www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

في علم النفس

الدوافع النفسية

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل ٢٠١٨

دكتور مصطفى فهمى

www.ibtesamah.com/vb

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة
** شهر إبريل 2018 **
www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل ٢٠١٨

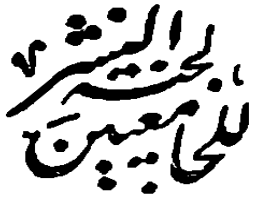

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل ٢٠١٨

في علم النفس

الدوافع النفسية

تأليف

دكتور مصطفى فهمى

أستاذ علم النفس المساعد بجامعة عين شمس
(معهد التربية للمعلمين)

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقى "الفجالة"

دار مصر للطباعة

٣٧ (١) شارع ٧ مسرقى ت ٧٥١٤٧

www.ibtesamah.com/vb

الطبعة الأولى : فبراير ١٩٥١
الطبعة الثانية : سبتمبر ١٩٥٣
الطبعة الثالثة : ديسمبر ١٩٥٥

www.ibtesamah.com/vb

مقدمة الطبعة الثالثة

يسرنا أن نقدم إلى قراء المكتبة العربية من المشتغلين بعلم النفس ، الطبعة الثالثة من كتاب « الدوافع النفسية » ، بعد أن نفدت الطبعة الثانية منه.

والكتاب فى ثوبه الجديد يساير فى منهجه العام نفس الخطة التى عالجنا بها موضوع البحث ، فيما خلا من إضافات وتعديلات ، قصدنا بها تكميل منهج البحث .

ومن التعديلات ما تناولنا به تفسير معنى الدافع ، وقد توخينا فى هذا، الأسلوب العلمى الذى يعتبر التكوينات النفسية معانٍ تلخص لنا علاقات معينة بين المتغيرات السيكلوجية . وهذا هو الاتجاه السائد الآن فى علم النفس الحديث .

ومن الإضافات : الملاحظات التى جمعناها من دراستنا لسلوك قبيلة الشيلوك بجنوب السودان أثناء البعثة العلمية التى أوفدتنا فيها جامعة عين شمس فى عام ١٩٥٤ .

وكذلك قمنا ببعض التعديلات فى الجزء الخاص بالدوافع اللاشعورية وأثرها فى توجيه سلوك الفرد إلى نواحى تعتبر انحرافا عما اصطلح عليه المجتمع .

وعلى ضوء هذا التفسير ، يصبح سلوك الفرد محصلة للتفاعل بينه وبين مقومات الحضارة التى يعيش فيها . وهذه هى الفكرة السائدة الآن فى تفسير الدوافع الإنسانية بعد أن كان المفهوم أن الناس تولد وعندها استعدادات معينة موجودة بنمط واحد فى جميع أفراد الجنس .

ونود بهذه المناسبة أن نشكر الزميل الدكتور محمد عماد الدين إسماعيل على تعليقاته على الطبعة الثانية ، مما كان له بعض الأثر فى التعديلات التى أحدثناها فى هذه الطبعة .

القاهرة فى ٢ ديسمبر سنة ١٩٥٥

مصطفى فهمى

www.ibtesamah.com/vb

مقدمة الطبعة الثانية

يسرنا أن نقدم إلى قراء المكتبة العربية من المشتغلين بعلم النفس ، الطبعة الثانية من كتاب « الدوافع النفسية » ، بعد أن نفدت الطبعة الأولى منه . والكتاب فى ثوبه الجديد يساير فى منهجه نفس الخطة التى عالجنا بها موضوع البحث السابق ، فيما خلا من إضافات ، قصدنا بها إيضاح ما عرضناه من مذاهب ؛ ولقد كانت هذه الايضاحات على شكل مزيد من التجارب والدراسات التى ظهرت فى الثلاثة أعوام الأخيرة .

والكتاب كما يرى القارىء ، ما هو إلا عرض لأهم المذاهب النفسية فى تفسير السلوك والقوى الكامنة المحركة له فى أشكالها المختلفة . ولقد تأثرنا أثناء عرضنا لشتى المذاهب والمدارس بفكرة (الدافع) على أنه المحرك لأنماط السلوك المختلفة . والدافع على حسب ما جاء فى هذا الكتاب ، لفظ عام ، شامل ، يتضمن الفطرى والمكتسب من مصادر السلوك الانسانى ؛ ولا شك أن هذا الاستعمال يعفينا من التناقض الذى نجده فى كتب علم النفس ، من استعمال مصطلحات بلبلت الأفكار مثل « حوافز » و « غرائز » و « حاجات » و « بواعث » و « نزعات فطرية عامة وخاصة » و « عواطف » و « عقد » ، وإلى غير ذلك من ألفاظ عدة يضيق بنا حصرها فى هذا المجال الضيق .

هذا من ناحية الشكل ، أما من ناحية الموضوع ، فإن هذا المنحى الجديد الذى سنتخذه فى هذا الكتاب ، وهو منحى يعتمد على الناحية الديناميكية فى فهمنا وتفسيرنا لسيكلوجية الدوافع ، سوف لا يقوم على أساس وجود قوائم محدودة ، مرسومة ، مبوبة من الغرائز والحاجات ، لأن هذا التحديد فيه قصور لفهم طبيعة التكوين النفسى ؛ ولا شك أنه

www.ibtesamah.com/vb

كان لعلم النفس الإجتماعى فضل كبير فى فهم طبيعة النفس البشرية ، وتفسير السلوك تفسيرا يخرج عن تلك الآلية البغيضة التى نادت بها « نظرية الغرائز » ، التى تعتمد على الوراثة والفطرة . إلا أننا نحب أن نشير ، فى الوقت ذاته ، إلى أن المشتغلين بعلم النفس الاجتماعى لم ينكروا أن لدى الفرد بعض الحاجات الفطرية ، ترتبط بحياة الفرد البيولوجية مثل الحاجة إلى الطعام ، والحاجة إلى الراحة ، والحاجة إلى إشباع الرغبة الجنسية ، وأن أمثال هذه الحاجات توجد بصفة عامة بين الأفراد وحتى بين الحيوانات . إن كل ما نعترض عليه ، أنه يتعذر علينا فهم أو تفسير السلوك الإنسانى على أساس هذه القوائم المبوبة من الغرائز والتى بلغت فى آخر ما كتبه (مجدوجل) زعيم هذه المدرسة ، حوالى ثمانى عشرة غريزة .

إن ما نعترضه على (مجدوجل) يتصل بناحية هامة ، كثر بشأنها الجدل ، وهى فطرية تلك القوائم من بواعث السلوك (الغرائز) ، والتى اختلف ، حتى القائلين بها فيما بينهم ، على تحديد عددها . « ومما لا شك فيه أن دراسة عوامل الوراثة وقوانينها وكذلك دراسة عوامل البيئة وطرق تفاعلها وتقدير أثر كل عامل بالنسبة إلى الآخر وطبيعة التأثير المتبادل بين الوراثة والبيئة لا تزال حديثة العهد ونتائجها قليلة وجزئية . ولهذا فإنه من الخطأ تأويل بعض النتائج الجزئية المحدودة التى تلائم أى مذهب من المذاهب على أنها حقائق عامة ثابتة مدعمة ، يمكن تطبيقها بأمان على الجنس البشرى ، غافلين الفوارق الأساسية التى تفصل بين النبات الحيوانات الدنيا [1] » .

وقد يكون الأمر ميسوراً فى وضع حد فاصل بين ما هو مكتسب وما هو موروث فى حالة الحشرات ذات الخلية الواحدة ، والتى يتصف

---

(١) الدكتور يوسف مراد — مجلة علم النفس ، عدد أكتوبر المجلد الثامن ص ٢١١

www.ibtesamah.com/vb

سلوكها بالصفة الانتحائية . أما فى حالة الإنسان فمن العسير التحكم فى البيئة عن طريق إبعاد العوامل التى تؤثر فى السلوك أثناء مرحلة النمو ، ذلك لأن الإنسان لا يعيش فى فراغ . خذ لذلك مثلا — إذا أردنا أن نعرف إذا كان المشى سلوكا فطرياً بحتاً ، وجب أن نتحكم فى بيئة الطفل تحكما يحول بينه وبين القيام بأى نشاط أو تمرين ، وبدون هذه الخطوة ، ليس فى استطاعتنا القول إن المشى سلوك فطرى ، وما يعترض الباحث من صعوبات تحديد فطرية المشى أو اكتسابه ، ينطبق كذلك على ما يسميه (مكدوجل) بغريزة السيطرة ، فإذا كنا سنأخذ بفطرية هذا السلوك ، وجب أن يكون وراء هذا القول ، سلسلة من التجارب والملاحظات والدراسات الطويلة ، أساسها التحكم فى البيئة . فإذا ثبت بعد كل ذلك أن الفرد يقوم بمظاهر سلوكية تفيد وجود النزعتين فيه قطعنا إذن بفطرية هذا السلوك .

ولم يكن النقد الموجه لنظرية الغرائز موجهاً للقطع بفطرية بعض أنماط السلوك فحسب ، بل تعدى ذلك إلى اعتراضات أخرى قام بها جمهرة كبيرة من الباحثين فى بقاع العالم المختلفة وخاصة فى أمريكا .

لقد اشتد نقد الأمريكيين لنظرية الغرائز معتبرين إياها وحدات مستقلة ، معقدة ، آلية ، ثابتة ، تبين أن السلوك الإنسانى يكون محتوماً ، محدوداً ، ولا يحيد عن خطة يمكن التنبؤ بها ، إذا ما خضع الفرد لظروف معينة . . . فغريزة حب الاجتماع مثلا ، تستثار إذا ما تواجد الإنسان فى موقف معين ، يجعله يدرك ذلك الموقف ، فينفعل انفعالا خاصاً ثم ينزع نزوعاً خاصاً . كل ذلك يحدث بطريقة آلية تلقائية سواء سمح المجال النفسى للفرد بهذا النوع من الاستجابة ، أم لم يسمح .

إن السلوك الإنسانى على حسب هذا الوضع المحتوم ، يكون أشبه

www.ibtesamah.com/vb

شيء بعملية الضغط على (الزر) الكهربائى نضغط على الزر الخامس فنصعد إلى الطابق الخامس مثلا ، وعند ما نضغط على الرقم سبعة نجد أنفسنا أمام الطابق السابع ، وهكذا . وما يقال عن المصعد (والزر) الكهربائى ، يقال كذلك على تلك الآلات التى شاهدناها فى الممالك الأوروبية ، والتى تخرج ألواناً من علب السجائر أو الكبريت أو قطع الحلوى . فعند ما نضع قطعة من النقود فى ثقب خاص ، تخرج قطعة من الحلوى ، أما إن وضعنا قطعة أخرى من النقود أكبر قيمة ، نحصل على علبة من السجائر ، وعند ما نضع قطعة من ذات المليمين نحصل على علبة من الكبريت . إن هذه الآلة تعمل فى نظام ثابت وئيد لا يتعدل ولا يتغير ، ما دمنا نقوم بإمدادها بقطع النقود . وهذه الآلة تشبه إلى حد كبير الإنسان فى نظر أصحاب نظرية الغرائز ، فالإنسان عندهم مقسم إلى وحدات مستقلة ، منفصلة من الغرائز تستثار كل منها فى موقف معين ، فيسلك الإنسان عند الاستثارة سلوكا محدوداً ، معيناً ، يمكن التنبؤ به وتحديده .

هذا ما أردنا أن نوضحه فى هذا الكتاب ، ونحن فى عرضنا مختلف موضوعاته ، لم ندّع ابتكاراً لمذهب جديد ، بل حرصنا على أن ننقل إلى قراء المكتبة العربية خلاصة لأحدث الآراء فى تفسير السلوك ، والتى تنظر إلى الإنسان على أنه كائن حى ينمو ويتطور ويتفاعل تفاعلا ديناميكياً ، يؤثر فى البيئة التى يعيش فيها ويتأثر بها ؟

مصطفى فهمى

القاهرة فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٥٣

www.ibtesamah.com/vb

مقدمة الطبعة الأولى

هذا هو الكتاب الثانى من سلسلة كتب (فى علم النفس) التى تفضل زميلى الأستاذ عبد المنعم المليجى ، مدرس علم النفس بمعهد التربية للمعلمين ، بتقديمها إلى القراء ، فى كتابه « النمو النفسى » .

وها أنذا أتقدم بالكتاب الثانى من السلسلة عن « الدوافع النفسية » .

وقد أعفانى الأستاذ المليجى مؤونة تحديد الغاية التى نهدف إليها فى ذلك الجهد العلمى المشترك ، حين قال :

« إن كل كتاب من هذه المجموعة ، لا يتناول غير موضوع واحد ، يعرض فيه أحدث ماوصل إليه العلم من نتائج عرضاً علمياً يراعى حاجة المربين . . . ولسنا نبغى إلا أن تكون هذه السلسلة منبراً علمياً يتحقق فيه تقليد عزيز ، هو تعاون المختصين تعاوناً علمياً مخلصاً — برغم ماقد يكون بينهم من اختلاف المذاهب والنظريات — على نشر الثقافة العلمية » .

وما دام الزميل قد قام عنا بالتقدمة العامة للسلسلة ، وبين السبب الذى أنهضنا ، والغاية التى اجتذبتنا ، فلأفرغ إلى عرض كتابى بما يعطى القارىء عنه فكرة واضحة :

إن هذا الكتاب يعالج السلوك ، ويكشف عما يكمن وراء هذا السلوك من دوافع ، وهل حياتنا مهما طال بها المدى ، وتعاورتها الأحداث ، إلا ألوان من السلوك تهدف إلى تحقيق حاجات الإنسان .

ولقد خرجنا فى كتابنا هذا عن المألوف فى بعض الكتب العربية ، لاجرياً وراء الحزبية العلمية ، فإننا نربأ بأنفسنا عن ذاك ، وإنما نحونا

www.ibtesamah.com/vb

هذا المنحى متأثرين بالأبحاث التى أجريت حديثاً فى علم الاجتماع ، وعلم الأجناس البشرية ، وعلم النفس المرضى .

ونحن فوق ذلك لا نفرض آراءنا على المعلمين والمتعلمين ، ولكننا نهدف إلى أن تكون نواة يتعهدها العلماء والباحثون بالعناية والإرواء ، حتى نصل إلى مانبغيه للعلم من نضرة وازدهار أو حتى يؤدى بنا العمل المتواصل إلى النتيجة التى نرتضيها جميعاً ، ونجمع على تأييدها .

وليست هذه الموضوعات التى عرضت لها بجديدة على القراء ، ولكنها موضوعات تناولتها أقلام الكثيرين من الكتاب ، غير أنى لجأت فى عرضى للكثير منها إلى الربط بينها حتى أكشف عن مدى الوحدة النفسية التى يهدف العلم الحديث إلى الكشف عنها ، كما أنى تحريت فيها التبسيط والتوضيح ، وإزالة ما كانت تتسم به من اللبس والغموض .

وقد بدأت كتابى بعرض تاريخى للآراء والنظريات التى أحاطت بالسلوك ، وحاولت تفسيره ، مبيناً إلى أى حد نستطيع أن نتقبل هذه الآراء .

ثم عرضت لبيان معنى الدافع ، وفرقت بينه وبين بعض المصطلحات التى تعبر عن أشياء لها صلة بالسلوك كالطاقة والباعث والمثير .

ثم خلصت إلى تقسيم الدوافع ، وبيان الأولية والثانوية منها ، وأيهما يمكن أن يقال إنه فطرى ، وأيهما يمكن أن يقال إنه مكتسب ، ولم يفتنى أن أوضح كل ذلك بالأمثلة ، وأن أدعمه بالتجارب .

وتناولت كذلك العواطف وبينت أنها ليست إلا انفعالات تفاعلت وتركزت حول موضوع معين ، ثم تحدثت عن الحياة اللاشعورية ، ودعانى ذلك بدوره إلى الحديث عن الجهاز النفسى ، وإلى ما يحدث من

www.ibtesamah.com/vb

صراع بين العوامل المكونة لهذا الجهاز ، سواء أكان هذا الصراع شعورياً أم غير شعورى ، وانتهيت إلى الحديث عن الأمراض النفسية التى يسببها الصراع باعتبارها من بين الدوافع التى توجه السلوك .

وأخيراً أعطيت فكرة تطبيقية يتبين منها المبلغ الذى يستطيع المربون أن يحققوه من الأهداف التربوية على ضوء ماجاء فى هذا الكتاب.

والكتاب على العموم محاولة علمية متواضعة ، رحيبة الصدر لتلقى كل ما من شأنه أن يعود بفائدة على العلم من تعليق العلماء ، ونقد الباحثين . وعسى أن نوفق فيما بعد لخدمة الثقافة فى ميدان أوسع بعد أن نأخذ له من الأهبة ما يؤهلنا لأن نصل إلى درجة أعلى من الكمال والنضج .

وإننى أنتهز هذه الفرصة فأتقدم بالشكر إلى صديقى وتلميذى الأستاذ محمد إسماعيل عبده المعيد بكلية دار العلوم ، بما قدمه إلىّ من معونة وما بذله من جهد ، حتى خرج هذا الكتاب بصورته الحالية .

كما أشكر الأستاذ كمال عفيفى المشرف على معمل علم النفس بمعهد التربية ، حيث قام بعمل الرسوم التوضيحية بالكتاب .

القاهرة فى فبراير سنة ١٩٥١ م

مصطفى فهمى

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الأول

عرض تاريخى

لأهم النظريات التى تفسر السلوك

(أولا) المدرسة السلوكية . . . . . .

(ثانياً) نظرية الغرائز . . . . . .

(ثالثاً) مدرسة التحليل النفسى . . . . .

(رابعاً) نظرية (جوردن البورت) الاستقلال الوظيفى .

(خامساً) نظرية (كيرت ليفين) — أو نظرية المجال النفسى .

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل ٢٠١٨

السلوك ومعناه :

إن كلمة سلوك بمعناها العام تتضمن كل نشاط يقوم به الكائن الحى ، وكذلك كل حركة تصدر عن الأشياء . فبحث الحيوان عن الطعام نوع من السلوك ، وانشغال الطفل فى اللعب نوع آخر من السلوك ، وحركة القلب أو المعدة نوع ثالث من السلوك ، وسير السفينة فى المحيط نوع رابع من السلوك .

والسؤال الذى يبرز الآن ، هل هذه الأنماط المختلفة من النشاط يتضمنها مدلول اللفظ ، كما يفهمه الباحث النفسى .

إن مدلول كلمة سلوك فى نظر الباحث النفسى يتضمن كل ما يقوم به الإنسان من أعمال ونشاط ، تكون صادرة عن بواعث أو دوافع .

إن السلوك كما نفهمه فى ضوء المنهج المستخدم فى هذا الكتاب ما هو إلا نتاج العلاقات الديناميكية الصادرة عن تفاعل الإنسان بميوله وحاجاته ونزعاته وحوافزه واتجاهاته ، مع إمكانيات البيئة التى تؤثر بدورها فى السلوك .

إن وحدة السلوك فى نظر المشتغلين بعلم النفس تعنى السلوك الكتلى . إن الإنماط الكلية للسلوك هى عبارة عن أنماط كاملة . ومن أمثلة تلك الأنماط : تقدم شخص لزواج فتاة ، أو التصويت لعضو فى حزب معين ، أو الذهاب للمسجد لتأدية الصلاة . . . الخ . إن هذا النوع من السلوك . عبارة عن وحدة كلية ، كتلية تتكون من أكثر من عنصر ، بعكس النشاط الآلى الذى تقوم به الحيوانات الدنيا (الأميبا) مثلا ، أو انقباضات الحواس والأطراف والغدد وما شابه ذلك ، فإن هذه عبارة عن نشاط مجزأ . أو كما يقول المشتغلون بدراسة السلوك : « وحدة جزئية » .

www.ibtesamah.com/vb

إن النوع الأول من السلوك هو الذى يعنينا فى هذه الدراسة ، يمتاز عن السلوك الجزئى بخصائص تنحصر فيما يلى :

(١) أنه عبارة عما يقوم به الفرد من سلوك فى وقت ما ، ويتضمن ذلك : حاجاته ، وانفعالاته ، وأفكاره ، وإدراكه ، ونشاطه المتصل بهذا السلوك .

(٢) أنه يتكون من سلسلة متصلة متحدة من الحوادث ، كل منها له بداية ونهاية . وكل واحدة من هذه الحوادث الاستطرادية تتدخل فى التى تليها ، والذى يوحد بينها جميعا ويجعلها غير متعارضة الاتجاه ، هو الهدف العام ونستطيع أن ندلل على ذلك بحالة الشخص الجائع ، فجميع ما يقوم به هذا الشخص من محاولات ، وما يصاحب ذلك من حالات انفعالية ، يتأثر بحاجته إلى الطعام ورغبته فى تحقيق هدفه ، وكل نشاط يقوم به يعتبر خطوة إلى الأمام فى سبيل تحقيق الهدف وإزالة حالة التوتر الناجمة من عدم تحقيق الهدف .

النظريات التى تفسر السلوك :

ذهب الباحثون مذاهب شتى فى تفسير السلوك ، وافترض كل منهم فى سبيل ذلك فروضا نتج عنها نظريات مختلفة . وسوف نعرض فى هذا الفصل أهم هذه النظريات على اختلاف وجوهها وتفسيراتها ، ونناقشها بقدر استطاعتنا ، ومن هذه النظريات ما يلى : —

(أولا) المدرسة السلوكية :

يتزعم هذه المدرسة (وطسن) الذى يفسر سلوك الإنسان على أساس الفعل المنعكس ؛ أى على أساس فكرة المثير ورد الفعل ، مع إنكار وجود حالة شعورية بينهما . وذلك دون شك تفسير عصبى يجعل السلوك متوقفا على تنبيه مختلف المراكز العصبية بمؤثرات خارجية متجاهلين بذلك الأحوال النفسية التى تقع بين التأثير والاستجابة .

www.ibtesamah.com/vb

(ثانياً) نظرية الغرائز :

تطالعنا كتب علم النفس العام ، وخاصة العربى منها ، بقوائم من الغرائز باعتبارها الدوافع الأساسية للسلوك .

والغريزة على حسب تعريف هذه الكتب ، هى عبارة عن استعداد فطرى لا يحتاج إلى تعلم ، يدفع الكائن الحى إلى القيام بسلوك خاص فى موقف معين ، ففراخ الدجاج مثلا فى استطاعتها أن تلتقط الحب بعد انقضاء ساعات قليلة على خروجها من البيض (غريزة البحث عن الطعام) ، والطفل عقب ولادته مباشرة يصرخ إذا سمع صوتاً عالياً مدوياً (غريزة الخوف) وهكذا .

ومن بين هذه القوائم ما عرضه (وليم جيمس)[١] فى أواخر القرن التاسع عشر ، حيث ذكر أن هناك عند الإنسان ما يقرب من ٣٢ غريزة ، منها : الصيد — الصراخ — الخوف — التقليد — اللعب — التسلق — الخجل — الغيرة — الطاعة — النظام — التنافس — الشفقة — إدارة الرأس جانباً — الابتسام — الحب — النظافة . . .

وبعد فترة من الزمن أخرج (ثورنديك)[٢] قائمة أخرى تختلف عن القائمة السابقة ، وذلك فى عام ١٩١٣ . حيث وضع للإنسان ما يقرب من ٤٢ غريزة ؛ ومن بين هذه الغرائز ما يأتى : الأكل ، البلع ، الجمع ، المقاتلة ، الضحك ، البكاء ، العض ، البصق ، التثاؤب ، السعال ، العطس ، القىء . . .

ويأتى بعد ذلك فى عام ١٩٢٣ (وليم مكدوجل) ، وهو زعيم المدرسة

---

(1) W. James : The Principles of Psychology (Vol. 11, pp. 404 — 41 (1905).

(2) E. L. Thorndike: Educational psy. Vol. II (1913).

www.ibtesamah.com/vb

التقليدية فى الغرائز ، حيث يذكر فى أحد مؤلفاته[١] أن لدى الكائن الحى ١٤ غريزة يصحب استثارة كل منها انفعال خاص وهى[٢] :

غريزة المقـــاتلة : انفعالها الغضب .
الغريزة الوالدية : « الحنو .
غريزة الهرب : « الخوف .
« حب الاستطلاع: « التعجب .
« البحث عن الطعام: « الجوع .
« النفور : « الاشمئزاز .
« الاستغاثة « الشعور بالضعف .
« الخنوع : « « بالنقص .
« السيطرة : « الزهو .
« التملك : « حب التملك .
« الحل والتركيب : « « العمل والنشاط .
« حب الاجتماع : « الشعور بالوحدة .
« الضحك « التسلية .
الغريزة الجنسية : « الشهوة الجنسية .

ولقد أضاف (مكدوجل) إلى هذه القائمة فى كتاب آخر له ، نشر فى عام ١٩٣٣[٣] بعض الغرائز الأخرى وهى : غريزة الراحة ، غريزة النوم ، غريزة الهجرة ؛ وقد لوحظ أنه بدأ فى هذا الكتاب ، الذى كتبه فى أواخر أيامه ، يستعمل كلمة (propensity) ومعناها استعداد فطرى ، بدل كلمة غريزة ؛ ولعل ذلك التعديل بسبب كثرة النقد الذى وجهه علماء النفس وبخاصة الأمريكيون منهم ، إلى نظريته التقليدية .

---

(١) Mc. Dougal. W. : An Outline of psy. p. 324.

(٢) اقتبست هذه القائمة من كتاب محاضرات فى علم النفس للدكتور عبد العزيز القوصى ١٢١ ، ١٢٢ . هذه الغرائز معروفة فى بعض الكتب العربية باسم النزعات الفطرية الخاصة

(٣) W. Mc. Dougal: The Energies of men (1933).

www.ibtesamah.com/vb

(ثالثا) رأى مدرسة التحليل النفسى :

يقرر (فرويد) وهو زعيم تلك المدرسة « أنه يجب الاحتفاظ بهذا المصطلح (كلمة غريزة) للنزعات الأولية وحدها . والغريزة عند (فرويد) تعبر عن قوة نفسية راسخة تصدر من صميم الكائن العضوى ، وتنبع أصلا من حاجات البدن التى تتأتى عما يجرى فى أعضاء الجسم وأجزائه ، بل فيه كله ، من عمليات بيولوجية لا يستغنى عنها الكائن الحى . هذه الحاجات التى تصدر من التكوين البدنى النفسى للإنسان تؤدى به ، إذا ما ثارت ، إلى حال من التوتر يدفعه إلى تدبير المواقف التى تهيئ له ما يلتمسه من الإشباع وتؤدى إلى التخلص أو التخفف من ذلك التوتر[١] » .

ويعتقد (فرويد) أنه يمكن ارجاع جميع أفعال الإنسان إلى غريزتين ، هما : غريزة الحياة وغريزة الموت ؛ وغريزة الحياة فى نظره ، هى الغريزة الجنسية التى تهدف إلى بقاء النوع ، وهى غريزة معقدة كثيرة العناصر تمر بعدة مراحل مختلفة حتى تصل إلى النضج الذى تتميز به عند الإنسان البالغ . ووجد أن أهم مناطق الجسم التى تصدر عنها الغريزة هى الفم والمخارج ثم الأعضاء التناسلية . أما غريزة الموت فى نظر (فرويد) فهى تلك النزعة إلى العدوان وهى استعداد فطرى غريزى قائم بذاته فى نفس الإنسان ، وتشاهد هذه النزعة فى الرضيع حين يعمل أسنانه فى الثدى ، كما تشاهد بين جماعات الصغار التى لا تتورع أحيانا فى إيذائها ، الذى توجهه إلى بعض أفرادها أو إلى بعض الحيوان ، كما نشاهده فى الكراهية الشديدة والغيرة الحادة التى تبدو حتى بين الإخوة[٢] .

---

(١) الدكتور اسحق رمزى فى مقدمة كتاب « ما فوق مبدأ اللذة » تأليف «فرويد» — دار المعارف ١٩٥٣ .

(٢) نفس المرجع — ص ١٨ — ١٩ .

www.ibtesamah.com/vb

(رابعا) نظرية (جوردن البورت) فى تفسير السلوك :

قد كان لعلم النفس الاجتماعى فضل كبير فى فهم طبيعة النفس البشرية وتفسير السلوك تفسيرا يخرج عن الآلية والتحديد اللذين قالت بهما نظرية الغرائز .

لم ينكر الباحثون فى علم النفس الاجتماعى أن لدى الفرد بعض الحاجات الفطرية ترتبط بحياة الفرد البيولوجية مثل الحاجة إلى الطعام والحاجة إلى الراحة والحاجة إلى اشباع الرغبة الجنسية ، وأن أمثال هذه الحاجات توجد بصفة عامة بين الأفراد . إن كل ما يعترض عليه هؤلاء ، أنه يتعذر علينا فهم أو تفسير السلوك الإنسانى ، على أساس هذه الحاجات الفطرية الأربع ، أو على أساس ما قاله (مكدوجل) فى آخر أبحاثه من أن هناك ثمانى عشرة غريزة تعتبر مسئولة عن تفسير السلوك . ويقول (ج . البورت)[1] فى ذلك : إن الغرائز مهما كان عددها لا تكفى هذا العدد الهائل من أهداف يطلب اشباعها عدد لا نهائى من الآدميين :

« Not four wishes nor eighteen propensities, seem adequate to accound the endless variety of goals sought by an endless vareity of mortals.»

ومن ثم كان ضروريا التفكير فى طريقة لا تقوم على تحديد دوافع الإنسان فى شكل قوائم محدودة ، مرسومة مبوبة من الغرائز أو الحاجات ، ذلك لأن هذا التحديد فيه قصور لفهم طبيعة التكوين النفسى . ولقد مهد قول (البورت) السابق إلى نظريته المشهورة (Functional Autonomy ، أى (نظرية الاستقلال الوظيفى) . وتتلخص هذه النظرية فى أن الكثير من الدوافع المكتسبة لدى البالغ تشتق من حاجاته الفطرية ، وتصبح مستقلة

---

(1) Personality : A psychological Interpretation, New York (1937) — Chap. 7.

www.ibtesamah.com/vb

من الناحية الوظيفية عن مصدرها ، وتؤثر بدورها تأثيرا ديناميكيا فى سلوك الفرد . إن هـذه التكوينات الجديدة تعتمد فى تكوينها على خبرات الفرد وميوله واتجاهاته ، وما يمر به من أحداث .

ويتضح ذلك بمثـال ذكره (هادلى كانترل)[1] : مستر (لويس) بدأ شخصا عاديا ، يعمل بجد ونشاط ، كان يتقاضى أجرا محدودا على ما يقوم به من أعمال ، ينفقه فى قضاء حاجياته الضرورية من مأكل ومشرب وملبس . وقد حالف الحظ مسـتر (لويس) فنجح نجاحا منقطع النظير فيما يقوم به من أعمال ، فزادت موارده واتسعت تبعا لذلك أعماله . وعندما بلغ الخامسة والأربعين من عمره ، كان لديه من المال الوفير ما جعله يفـكر فيما إذا كان جمع المال وسيلة لغاية ، أم غاية فى حد ذاتهـا . لنفرض أنه فى ذلك الوقت عرضت عليه وظيفة مدير لإحدى الجامعات الـكبرى ، أو حاكما لإحدى المدن أو المقاطعات الـكبرى ، أو سفيرا لبلاده فى أحد الأقطار الأجنبية ، فلا شك أن قبوله لإحدى هذه المناصب الـكبرى يجعله يغير من نظرته نحو المـال ، فينفق منه فى سبيل المحافظة على سمعة الوظيفة وما تتطلبه من جاه . وبالتدريج يكتسب اتجاها جديدا نحو المـال ، لم يكن يعرفه من قبل ، فيصبح المال على حسب هذا الاتجاه الجديد وسيلة نحو تحقيق غاية ، بعد أن كان غاية فى حد ذاته ؛ وكما رأينا فإن هذه الغـاية الجديدة اشتقت (Derived) من الدافع الأول الذى كان يسيطر على سلوك مستر (لويس) فى خلال الخمس والأربعين سنة الأولى من حياته .

---

(1) Hadley Cantril : The psy. of social movements (1940) P. 24.

www.ibtesamah.com/vb

(خامسا) تفسير السلوك وعلاقة ذلك بنظرية المجال النفسى :

يعتقد أصحاب هذه النظرية أن وجود أى دافع من الدوافع يتضمن النواحى الآتية :

١ — تحقيق هدف معين يتصل بالدافع .

٢ — أنماط معينة من السلوك .

٣ — تجنب ما يعرقل الوصول إلى الهدف ، وتركيز الانتباه فى الأشياء والعناصر والوسائل التى تحقق الهدف .

٤ — ظهور حالات انفعالية خاصة .

٥ — الشعور بالارتياح عند تحقيق الهدف والشعور بالاستياء عند الفشل .

إن أى أسلوب سلوكى لا يكون جامدا ، بل هو فى تغير دائم بسبب التفاعل الديناميكى للأجزاء أو العناصر التى يتكون منها المجال النفسى للفرد وينتج من هذا التفاعل الدائم أو التغير المستمر لعناصر المجال النفسى نوع من عدم الاستقرار أو عدم التوافق ويطلق على حالة عدم الاستقرار أو عدم التوافق لفظ توتر [١] ، وكل توتر يكون وراءه حالات من القلق أو الرغبة فى إشباع حاجة من حاجات الفرد أو إجابة مطلب من مطالبه ، أى أن هناك دافعا من الدوافع .

وما دامت حالة التوتر موجودة أو كائنة فى الفرد فإن عدم الاستقرار لا يزول . وعندما يحقق الفرد رغبته أو يشبع حاجته عن طريق الوصول إلى الهدف يزول أو يقل ذلك التوتر . وكما أن حالات التوتر السابقة قد تنجم عن أسباب شعورية يدركها الفرد تجدها فى بعض الأحيان ناجمة عن أسباب تخفى عن الفرد ، وهذا مايعرف باسم « الدوافع اللاشعورية » .

---

(١) أول من استعمل هذا اللفظ فى المجال النفسى (كيرت ليفين) .

www.ibtesamah.com/vb

وفى هذا يقول (فرويد) إن جزءا كبيرا من أعمال الإنسان يصدر عن اللاشعور ، أى أن الفرد يشعر بالتوتر دون علم بأسباب ذلك التوتر ، أو يقوم بأعمال معينة دون إلمام صحيح بمصادر تلك الأعمال . وسواء أكان الفرد شاعرا بمصادر دوافعه أم غير شاعر ، فإن هذه الدوافع تعمل بشكل ديناميكى لتوجيه السلوك .

ولقد غالى (فرويد) فى أهمية الدوافع اللاشعورية إلى حد أنه ينظر بحذر إلى الدوافع الشعورية ؛ إذ يعتقد أنها غطاء أو تبرير لما يحتويه العقل الباطن من دوافع لا شعورية . ونستطيع أن نوضح ذلك بالمثال الآتى :

أصيبت فتاة مخطوبة باللجلجة ، وفى أثناء المناقشة بين خطيبها وأسرتها قال إنه يؤجل الزواج إلى أن تشفى خطيبته من علتها الكلامية . وتقدمت أسرة الفتاة لإحدى العيادات السيكولوجية لعلاج الفتاة ، وأمضت الفتاة مدة طويلة دون أى تحسن . وبدراسة الحالة تبين أن الفتاة لا شعورياً لا تريد الزواج وأنها خائفة منه ، وأن علتها قد بقيت حتى لا يتم زواجها .

* * *

وإذا ما تعرض السلوك الذى يرمى إلى تحقيق هدف لنوع من الإعاقة تسبب عن ذلك نوع من الاحباط ويصحب هذه الحالة تغير فى الإدراك وكذلك فى النواحى النزوعية والانفعالية . ويؤدى الإحباط إلى تغيرات متنوعة فى المجال النفسى ، منها :

١ — أحيانا ينتج عنه مضاعفة مجهودات الفرد لتحقيق الهدف ، وتظهر ذلك بوضوح فى الأمور التى تتصل بالبيئة الخارجية (باب مغلق ، حائط ، شخص . . الخ) .

www.ibtesamah.com/vb

٢ — تعديل أو إبدال الغرض الأصلى بغرض آخر . ونستطيع توضيح ذلك بحالة امرأة لا تنجب أولاداً ؛ ولكنها استطاعت إشباع دافع الأمومة عن طريق الاشتراك فى جمعيات رعاية الطفولة .

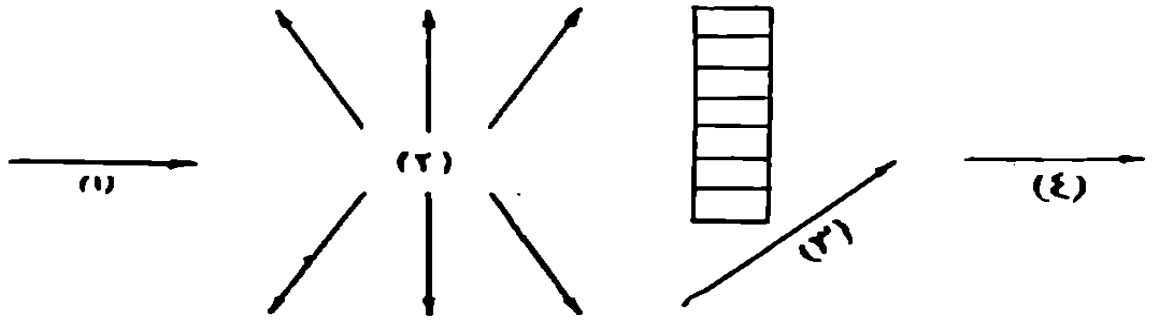

(شكل ١)

يوضح كيف يدفع العائق إلى محاولات كثيرة هى الموضحة برقم (٢) ، تنتهى بمحاولة ناجحة هى الموضحة برقم (٣) ، توصل الكائن الحى إلى تحقيق الغرض

٣ — فى بعض الأحيان يتعذر على الشخص إشباع دافع أو إيجاد بديل عنه فيزداد شعوره بالإحباط ؛ وينتج عن ذلك مظهر من المظاهر الآتية :

الاعتداء ، النكوص ، الكبت ، الاسقاط ، التفكير الاجترارى ، التقمص . وسنتحدث عن هذه العمليات وغيرها بالتفصيل عند ما نتناول الدوافع اللاشعورية .

أما إذا تعرض السلوك للإشباع فإن درجة هذا الإشباع تختلف باختلاف نوع الهدف الذى يحصل عليه الكائن الحى . فبعض تلك الأهداف يكون أفضل من غيره ؛ أو بعبارة أخرى ؛ يكون بعض الأهداف المتصلة بإشباع حاجة معينة فى درجة أعلى الهيراركى ، ويمكن التعبير عن ذلك أن بعض الأهداف يحقق اشباعاً أكبر ، فإذا أعطى الفرد حرية اختيار الهدف فإنه يختار أكثرها ملاءمة له وفى حالة إعاقة الوصول إلى هدف يلجأ إلى الذى يليه فى الرتبة .

www.ibtesamah.com/vb

ويلاحظ أنه إذا كانت الحاجة (الدافع) فى حالة من حالات عدم الشدة (Mild) ، فإن الفرد يدقق فى اختيار الهدف الذى يشبع تلك الحاجة ، بينما إذا كان الدافع شديدا ، حادا ، فإنه لا يدقق فى الوصول إلى أى هدف يشبع ذلك الدافع . فمثلا الدافع الجنسى يوجد أهداف كثيرة لإشباعها ، فمنها : الزواج ، والالتجاء إلى بيوت الدعارة ، والاستمناء ، والجنسية المثلية ، وهكذا ؛ فبعض تلك الأهداف يشبع الرغبة الجنسية بطريقة طبيعيـة مباشرة والبعض الآخر يشبعها بطريقة غير مباشرة : وما يقال عن الرغبة الجنسية ، يقال كذلك عن الدافع إلى (العدوان) الذى يمكن أن يعبر عنه بعدة طرق ، منها : الحروب ، وترويج الشائعات ، والانتقام عن طريق أحلام اليقظة .

وخلاصة القول أن المجال النفسى للفرد يكون معقدا إلى حد بعيد ، وذلك بسبب تعقد الموقف الواحد من ناحية وتداخل المواقف المتعددة من ناحية أخرى ، ويظهر أثر هذا التعقد عندما يسلك الفرد سلوكا مضطربا غير متناسق . إن حاجات الفرد ومطالبه عبارة عن قوى دافعة (driving forces) تجعله يقوم بأنماط مختلفة من السلوك ؛ وبالإضافة إلى ذلك فهذه القوى توجه عادة نحو هدف أو موضوع معين أو غاية خاصة. إن إدراك العلاقة بين هذين العاملين أو المتغيرين (variables) : القوة الدافعة والموضوع أو الغاية التى تتجه إليها هذه القوة . هو ما يعبر عنه بديناميكية السلوك .

ان فهم علم النفس على أساس ديناميكى يتجلى فيه التغير والتفاعل المستمر ؛ إن هذا الفهم يجعلنا نهتم بالأسباب التى توجد وراء السلوك ، ولا نكتفى بالنواحى الوصفية .

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل ٢٠١٨

الفصل الثانى

سيكلوجية الدوافع

تمهيـــد . . . . . .
معنى الدافع . . . . . .
الفرق بين السلوك الذى يصدر عن الدافع والنشاط الآلى
الطاقة والدافع . . . . . .

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل ٢٠١٨

تمهيـــد :

خلصنا من عرضنا التاريخى السابق ، إلى أن هناك وجهات نظر مختلفة فى تفسير السلوك ، وخلصنا كذلك إلى أن أصحاب نظرية الغرائز اختلفوا فيما بينهم على تحديد ما هو فطرى من سلوكنا فمكدوجل مثلا يحصر السلوك الفطرى فى تلك القائمة التى ذكرناها آنفا ، بينما يبلغ عدد الغرائز عند (ثورنديك) حوالى ٤٢ غريزة ، أما (فرويد) فلا يعترف إلا بوجود نزعتين فطريتين :

(الغريزة الجنسية وغريزة الاعتداء أو العدوان) .

ومما لا شك فيه أن دراسة عوامل الوراثة وقوانينها وكذلك دراسة عوامل البيئة وطرق تفاعلها وتقدير أثر كل عامل منها بالنسبة إلى الآخر وطبيعة التأثير المتبادل بين الوراثة والبيئة لا تزال حديثة العهد ونتائجها قليلة وجزئية . ولهذا فإنه من الخطأ تأويل بعض النتائج الجزئية المحدودة التى تلائم أى مذهب من المذاهب على أنها حقائق عامة ثابتة مدعمة ، يمكن تطبيقها بأمان على الجنس البشرى ، غافلين الفوارق الأساسية التى تفصل بين النبات أو الحيوانات الدنيا[1] .

قد يكون الأمر ميسورا فى وضع حد فاصل بين ما هو مكتسب وما هو موروث فى حالة الحشرات ذات الخلية الواحدة ، والتى يتصف سلوكها بالصفة الانتاجية . أما فى حالة الإنسان فمن العسير التحكم فى البيئة عن طريق ابعاد العوامل التى تؤثر فى السلوك أثناء مرحلة النمو ، ذلك لأن الإنسان لا يعيش فى فراغ ، خذ لذلك مثلا — إذا أردنا أن نعرف ما إذا كان المشى سلوكا فطريا بحتا ، وجب أن نتحكم فى بيئة الطفل تحكما يحول بينه وبين القيام بأى نشاط أو تمرين ، وبدون هذه الخطوة ، ليس

---

(١) الدكتور يوسف مراد — مجلة علم النفس ، عدد أكتوبر المجلد الثامن ص ٢١١ .

www.ibtesamah.com/vb

فى استطاعتنا القول بأن المشى سلوك فطرى ، وما يعترض الباحث من صعوبات تحديد فطرية المشى أو اكتسابه ، ينطبق كذلك على ما يسميه (مكدوجل) بغريزة السيطرة فاذا كنا سنأخذ بفطرية هذا السلوك ، وجب أن يكون وراء هذا القول ، سلسلة من التجارب والملاحظات والدراسات الطويلة ، أساسها التحكم فى البيئة ، فإذا ثبت بعد كل ذلك أن الفرد يقوم بمظاهر سلوكية تفيد وجود النزعتين فيه قطعنا إذن بفطرية هذا السلوك .

ولم يكن النقد الموجه لنظرية الغرائز موجها للقطع بفطرية بعض أنماط السلوك فحسب ، بل تعدى ذلك إلى اعتراضات أخرى قام بها جمهرة كبيرة من الباحثين فى بقاع العالم المختلفة وخاصة فى أمريكا .

لقد اشتد نقد الأمريكيين لنظرية الغرائز معتبرين إياها وحدات مستقلة معقدة ، آلية ، ثابتة ، تبين أن السلوك الإنسانى يكون محتوما ، محدودا ، ولا يحيد عن خطة يمكن التنبؤ بها ، إذا ما خضع الفرد لظروف معينة . . . فغريزة حب الاجتماع مثلا ، تستثار إذا ما تواجد الإنسان فى موقف معين ، يجعله يدرك ذلك الموقف . فينفعل انفعالا خاصا ثم ينزع نزوعا خاصا . كل ذلك يحدث بطريقة آلية تلقائية سواء سمح المجال النفسى للفرد بهذا النوع من الاستجابة ، أم لم يسمح .

إن السلوك الإنسانى على حسب هذا الوضع المحتوم ، يكون أشبه شىء بعملية الضغط على (الزر) الكهربائى بالمصعد إلى الطابق الخامس مثلا ، وعندما نضغط على الرقم سبعة نجد انفسنا أمام الطابق السابع ، وهكذا وما يقال عن المصعد (والزر) الكهربائى ، يقال كذلك على تلك الآلات التى شاهدناها فى الممالك الأوربية ، والتى تخرج ألوانا من علب السجائر أو الكبريت أو قطع الحلوى . فعندما نضع قطعة معينة من النقود فى ثقب خاص ، تخرج قطعة من الحلوى بينما إن وضعنا قطعة أخرى

www.ibtesamah.com/vb

من النقود اكبر قيمة ، نحصل على علبة من السجائر ، وعندما نضع قطعة من ذات المليمين نحصل على علبة من الكبريت . وإن هذه الآلة تعمل فى نظام ثابت وئيد لا يتعدل ولا يتغير ، طالما نقوم بتموينها بقطع النقود وهذه الآلة تشبه إلى حد كبير الإنسان فى نظر أصحاب نظرية الغرائز ، فالإنسان عندهم مقسم إلى وحدات مستقلة ، منفصلة من الغرائز تستثار كل منها فى موقف معين ، فيسلك الإنسان عند الاستثارة سلوكا محدودا ، معينا ، يمكن التنبؤ به وتحديده .

إن فهمنا للسلوك الإنسانى على هذا النحو المرسوم ، لا شك أنه يقلل إن لم يكن ينكر أهمية المجال النفسى للفرد (Psychological environment) ذلك لأن المجال النفسى يقوم على فكرة التفاعل بين بيئة الفرد الحقيقية (real Environment) وما تتضمنه هذه البيئة من عناصر وقوى مادية ، وبين استعداداته وحاجاته ومطالبه ، التى تتحكم فيه وتوجهه فى وقت ما . إن حاجات الفرد هذه ، تتغير طالما كانت هنالك حياه . فقد توجد فى الفرد فى وقت ما ، حاجة نحو جمع المال ، ثم تزول هذه الحاجة عنه ، إذا ما تغيرت ظروف الفرد ، أو عند ما يجد فى حياته ، ما يدعوه إلى التخلص من هذه الرغبة ، والاتجاه نحو مطلب آخر يختلف كل الاختلاف عن المطلب الأول فى طبيعته وكذلك فى الوسائل التى يحقق بها هذا المطلب الجديد . فقد يحدث مثلا أن يكون اتجاه الفرد الجديد نحو إسعاد أفراد المجتمع عن طريق التبرع بما لديه من مال مدخر لمساعدة الجمعيات الخيرية والملاجئ والمستشفيات ؛ ويجد الفرد فى هذا العمل الجديد أو الاتجاه الجديد ، لذة تفوق جمع المال . وقد يصل به الأمر أحياناً وهو تحت تأثير هذا الاتجاه الجديد ، إلى أن يعتبر سلوكه السابق (ادخار المال) مشينا .

www.ibtesamah.com/vb

وإننا إزاء هذا الاختلاف فى الرأى على تحديد الغرائز حتى بين القائلين بوجودها ، ونظرا للتناقض الذى يتصل بالتسمية أو للغموض الذى لابس تلك النظرية ، أو لتلك الآلية البغيضة التى تجعل الإنسان أقرب إلى الآلة منه إلى كائن حى ينمو ويتطور ويتفاعل تفاعلا ديناميكيا يؤثر فى البيئة التى يعيش فيها ويتأثر بها ، نفضل أن ننحو منحى آخر فى تفسير سلوكنا مسترشدين فى ذلك بتقدم البحوث التجريبية فى السنوات الأخيرة ، لا فى ميدان علم النفس فحسب بل فى علم وظائف الأعضاء وعلم الأجناس البشرية والاجتماع وعـــلم النفس المرضى والطب النفسى المرضى .

إن هذا المنحى الجديد الذى سنتحوه فى هذا الكتاب سوف لا يقوم على أساس وجود قوائم محدودة مرسومة ، مبوبة من الغرائز والحاجات لأن هذا التحديد فيـه قصور لفهم طبيعة التكوين النفسى ولأجل أن نتحرر من هذا التحديد وتلك الآلية فى فهم السلوك الإنسانى وتفسيره ، سنستعمل لفظاً أكثر مرونة من لفظ غريزة ، ذلك اللفظ البغيض البالى الذى يفيد الثبوت ؛ إن هذا اللفظ الجديد هو (دافع Motive) وهى كلمة أعم وأشمل ، تتضمن الفطرى والمكتسب من مصادر السلوك الإنسانى ولا شك أن هـذا الاستعمال ، يعفينا من التناقض الكائن فى كتب علم النفس — من استعمال ألفاظ معروفة لنا جميعا أمثال « حوافز وبواعث ونزعات فطرية خاصة ونزعات فطرية عامة ، وعواطف وعقد » وإلى غـير ذلك من ألفاظ واصطلاحات عدة ، يضيق بنا أمر حصرها فى هذا المجال الضيق .

معنى الدافع :

تستخدم كلمة دافع (motive) فى الحياة الجارية بمعان أشمل وأوسع من معناها السيكلوجى الخاص ، فتشمل بذلك الحاجات والحوافز

www.ibtesamah.com/vb

والمثيرات والبواعث والعادات والأهداف والانفعالات . . . الخ .

إن المدلول الحرفى لكلمة (دافع) يتضمن كل ما سبق من حيث إنه يتضمن معنى التحريك أو الدفع .

هذا من ناحية المعنى اللفظى العام ، أما من ناحية المعنى السيكلوجى ، فكلمة (دافع) اصطلاح يستعمل بكل بساطة للدلالة على (فكرة Concept) [١] تستخدم لكى نوضح بها أن سلوك الكائن الحى يتوقف فى تغيره وتعديله على إخضاع الكائن الحى وتعرضه أو تعريضه لعمليات معينة ؛ ويسمى هذا التفسير (operational definition) . ونستطيع أن ندلل على ذلك بالمثال التالى (الحرمان من الطعام) فطالما كان الكائن الحى شبعانا فإنه لا يبدى من أنواع السلوك ، ما يظهر منه عندما يكون محروما من الطعام . ثم ان هذا الحرمان يوجه نشاطه نحو هدف معين ، هو الطعام ، بحيث إذا ما حصل عليه فإنه يكف عن هذا النشاط .

وما يقال عن شعور الكائن الحى بالحرمان من الطعام ، يقال كذلك عن رغبة بعض الأسماك فى المهاجرة من المياه الساحلية إلى داخل المحيط . يفسر (مجدوجل) هذا السلوك على أنه سلوك غريزى فى هذه الأسماك أطلق عليه (غريزة الهجرة) . وفى اعتقادنا أننا نستطيع تفسير هذا السلوك ، لا على أساس غريزى كما يقول (مجدوجل) ، بل على أساس ظروف الكائن الحى الخاصة ، وهى ظروف تتصل بعملية النضج التى يمر بها وبطبيعة العوامل البيئية التى تتطلبها عملية النضج السابقة فقد أثبتت بعض الدراسات [٢] التى أجريت على أسماك (السلامون) أن هذه الأسماك تبيض بيضها وتفقسه فى المياه الساحلية الضحلة الصافية ، وتبقى

---

(1) Fred S. Keller & Willian N. Schoenfeld : Principles of Psychology — 1950.

(2) Introduction to Psychology by Ernesk R. Hillgard. الطبعة العاشرة (١٩٥٣) ص ١١٥ — ١١٦ .

www.ibtesamah.com/vb

الأسماك الصغار لمدة تبلغ السنة فى هذه المياه ثم تهجرها إلى داخل المحيط عندما تبلغ عامها الثانى . ومرجع ذلك أن أسماك السلامون فى عامها الثانى تكون لديها حساسية شديدة نحو الضوء ، ومن ثم فهى تهجر المياه الساحلية الصافية ، إلى داخل المحيط حيث تكون المياه عميقة الأغوار . وعندما تبلغ هذه الأسماك العام الخامس من عمرها ، فإنها تعود ثانية إلى الشواطئ لتبيض وتفقس صغارها . فالمسألة كما صورناها فى هذا المثال ، لا تقوم على أساس فطرى فى الأسماك يدفعها إلى الهجرة ، بل ان هناك من الظروف المتغيرة التى مر بها الكائن الحى ، مادعاه إلى القيام بهذا النمط من السلوك وعندما تتغير أو تتعدل هذه الظروف يعود السمك سيرته الأولى.

إن مفهوم الدافع على هذا النحو يختلف عن مفهوم الغريزة ، كما عرفها (مجدوجل) على أنها « مركب نفسى فيزيقى » Psycho-Physical ثابتة محددة بغض النظر عن الموقف . أن السلوك الإنسانى بناء على هذا التفسير يكون — كما سبق أن قلنا — محتوما محدودا ولا يحيد عن خطة يمكن التنبؤ بها ، فإذا ما رأى الإنسان طعاما فإنه ينفعل انفعالا خاصا ، ثم ينزع نزوعا خاصا . كل ذلك يحدث بطريقة آلية تلقائية ، سواء سمح المجال النفسى للفرد بهذا النوع من الاستجابة ، أم لم يسمح . ومن العوامل المؤثرة على استجابة الفرد فى هذه الحالة ، نوع الطعام المعروض وقابلية الفرد له ، ودرجة الجوع التى يكون عليها .

السلوك الذى يصدر عن دافع والنشاط الآلى :

إن الفرق كبير بين السلوك الذى يصدر عن الدافع كما وضحناه ، وبين النشاط الآلى ، مثل نشاط الحيوانات السفلى ، التى تتجه اتجاها جبريا (لا إراديا) تحت تأثير المنبه الخارجى . فحركة (الأميبا) ذات الخلية الواحدة لا يمكن فى العرف السيكلوجى ، أن تعد استجابة لدافع ، ولكنها

www.ibtesamah.com/vb

ضرب من السلوك يسميه علماء النفس بالانتحاء Tropistic ، إذ يتحرك جسم الحيوان حركات على نمط واحد ، مقيدة بالمثيرات الطبيعية كالضوء والظلام أو الحرارة أو الجاذبية .

ومن الأمثلة عن السلوك الانتحائى ، ما ذكره (لوب Loeb) عن « اللارفا » ، وهى حشرة صغيرة تبيض فى فتحات جذوع الأشجار ، حيث الظل ، وعندما يأتى فصل الربيع ، تتحرك صغارها إلى الأجزاء العليا لتأكل ، حيث تتكاثر البراعم . وعندما ينتهى الموسم ، تعود ثانية إلى وضعها الأول . ويفسر (لوب) هذا النشاط بأنه نوع من الانتحاء نحو الضوء ، خال من الذكاء أو الإرادة ؛ إن نشاط « اللارفا » فى نظره ما هو إلا عمل آلى صرف ، حيث يتحرك جسم الحشرة فى اتجاه الضوء .

وكذلك يمكن اعتبار الانقباضات التى تعتور حدقة العين مثلا ، حين تتأثر بانعكاس الضوء ، ليست استجابة لدافع ، ولكنها ضرب آخر من السلوك الذى يطلق عليه الفعل المنعكس Reflex action ؛ وكل فعل منعكس ، ما هو إلا استجابة أو رد فعل لمثير خارجى ، والعلاقة بينهما تقوم على أساس عصبى بحت (أنظر شكل ٢) .

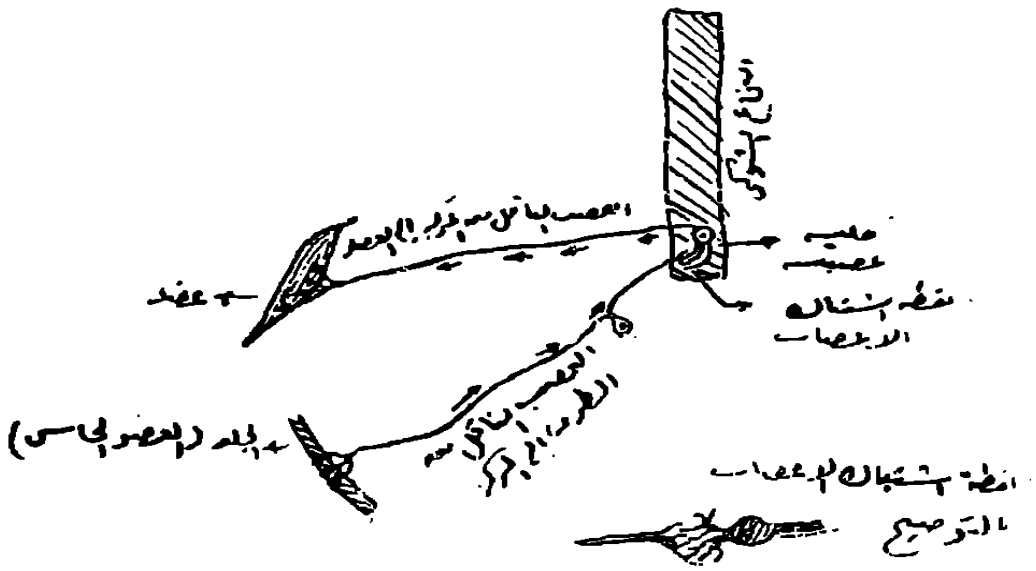

(شكل ٢) عن Cattell — General Psy p. 137

www.ibtesamah.com/vb

إن الكيان العضوى الذى تصدر عنه تلك الاستجابات الإنعكاسية تعتبر حركاته رد فعل بسيط لعوامل محددة معروفة يمكن التنبؤ بها ، ومرجع ذلك هو افتقار الكيان العضوى إلى الاستقلال الذاتى ، كما أن استجاباته خاضعة خضوعا مطلقا لطبيعة تكوينه ، وللقوى الخارجية التى يكون متأثرا بها وقت حدوث الاستجابة .

وكلما ارتقينا فى سلم الكائنات الحية صعدا ، رأينا هذا الطابع اللا إرادى أقل وضوحا وأضأل أثرا . فضلا عن أن الكائنات العليا خاضعة للمنبهات الخارجية التى تتعرض لها فى كل لحظة ، فإنها خاضعة أيضا لحالات (فسيولوجية) متغيرة ، وكذلك للتسجيلات العصبية (Neural Records) ، التى تنشأ من التجارب السابقة ، فليس فى وسعنا أن نحكم بأن حيوانا سيشرب من ماء وضع أمامه ، أو يرفض الشرب منه ، ما لم نكن على علم بالحالة الفسيولوجية النفسية التى يكون عليها . كما أننا لانستطيع أن نتنبأ بأن طفلا سيدنو من شعلة نار أو يتجنبها ، ما لم يسبق لنا علم بما كابده هذا الطفل من خبرة سالفة بالنار .

وعلى ضوء ما سبق يمكننا أن نقرر أن سيكلوجية الدوافع ، إنما هى دراسة للظروف التى مر بها الكائن الحى وتجاربه الماضية ، هى دراسة تسوغ لنا القول بأنها تبحث فى العلاقة بين هذه الظروف والتجارب من ناحية ، وبين سلوك الكائن الحى من ناحية أخرى .

يخلص لنا مما تقدم أن الدوافع يمكن الاستدلال عليها أو استنتاجها مما نلحظ ونشهد من سلوك وتصرفات . ولا يشاهد العالم النفسانى عيانا من تلك التصرفات وذلك السلوك أكثر مما يشاهد عيانا عالم الطبيعة من قوى الجاذبية الأرضية ، فكما يعاين عالم الطبيعة ظواهر طبيعية مختلفة تتدرج تحت ناموس طبيعى عام ، هو جنوح الأجسام إلى الاتجاه صوب مركز الأرض ، فيسمى هذا الجنوح بالجاذبية ، كذلك العالم النفسانى إذ يعاين

www.ibtesamah.com/vb

ضروبا مختلفة من التصرفات والسلوك تستمد توجيهاتها — فى المقال الأول — من الكائن الحى ، وفى مقام ثانوى بحت ، من الظروف المتغيرة التى يخضع لها .

الدافع والطاقة :

تتولد الطاقة Energy فى الجسم نتيجة عملية احتراق الطعام وتستهلك عادة فى الأعمال البدنية وفى الإشعاع الحرارى ويختزنها الجسم ثم يستهلكها رويدا وفقا لمقتضيات الأحوال ، أو يطلقها دفعة واحدة ، فى ثورة غضب مفاجئ مثلا . بيد أن جانبا من الطاقة يذهب هباء إذا اختل نظام عضلات الجسم ، فيعمل بعضها ضد البعض الآخر ، أو إذا زاول الانسان أعماله فى جو يسوده القلق وتشتت البال .

هذه الطاقة المختزنة فى الجسم لإفادته فى وقت ما — لابد — من توفر الدافع الذى يستغلها فى مختلف الأعمال . فالدافع يوجه الطاقة هذه الوجهة أو تلك ، فى سبيل التعبير عن نفسه ، فهو بمثابة الصمام الذى يطلق الطاقة من محبسها ، أو يحول مجراها من اتجاه إلى آخر . ومعنى ذلك أن سلوك الكائن الحى لا يمكن أن يتم ما لم يتوفر أمران : أولهما الطاقة ، وثانيهما الدافع الذى يسخر هذه الطاقة لصالح الكائن الحى ، ويتصرف فيها كى يوجهها هذه الوجهة أو تلك ، وتتوقف سلامة السلوك على هذين العاملين .

فإن أصاب الطاقة نقص كما فى حالة المرض ، لم يستطع الشخص التعبير الكافى عن دوافعه بالرغم من توفرها ، وذلك نتيجة نقص فى الطاقة بسبب المرض . مثال ذلك : إن المريض قد نستثير لديه دافع المقاتلة ، ولكن نقص الطاقة عنده يعجز عن التعبير عنه ، وكذلك قد يشعر بالميل الجنسى ، ولكنه لا يجد الطاقة الكافية للإيضاح عنه . وعلى العكس من

www.ibtesamah.com/vb

ذلك قد تتوفر للكائن الحى طاقة زائدة ، ولكن الدوافع تكون غير منتظمة ، فيؤدى ذلك إلى تبدد الطاقة فى غير مصلحة الكائن الحى ، كما يحدث فى حالة بعض الأمراض النفسية وإجرام الأحداث .

إن علم النفس لا يعنى كثيرا بدراسة الطاقة وبتحولاتها فى الجسم ، عنايته بالسلوك من حيث هو ، وصلته بالدوافع المختلفة .

وكل مايهمنا فى علم النفس من الطاقة ، هو أن الدوافع فى حاجة دائمة إلى الطاقة التى تكون دائما مختزنة فى الأنسجة العصبية (Neurones)[1] ، وفيها وحدها يتاح للدوافع أن تعبر عن نفسها فى مختلف صور النشاط .

(1) Guilford : Ceneral Psychology (1647) P. 224.

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الثالث

تقسيم الدوافع

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل ٢٠١٨

تقسيم الدوافع

لو أمعنا النظر فى السلوك الإنسانى لوجدنا أنه يصدر عن دوافع مختلفة ، على النحو الذى يتيح لنا أن نناضل فى سبيل الحياة فى معترك هذا الوجود .

والسؤال الذى يرد فى هذا المقام هو :

أى هذه الدوافع فطرى ، وأيها مكتسب عن طريق الخبرة والتعلم ؟

ورغم أن الإجابة عن هذا السؤال ليست بالأمر اليسير — وترجع هذه الصعوبة أولا إلى طبيعة الإنسان نفسها ، وثانيا إلى تأثير البيئة الاجتماعية منذ الميلاد حتى الموت — فإننا ونحن بصدد الإجابة عن هذا السؤال نميل أن نقسم الدوافع إلى قسمين رئيسيين ، متأثرين فى ذلك بالأبحاث التى أجريت بأمريكا فى السنوات الأخيرة :

١ — دوافع أولية . . . Primary

٢ — دوافع ثانوية . . . Secondary

وهناك تقسيمات أخرى للدوافع : يطلق البعض على الدوافع الأولية دوافع عضوية (organic) ، وعلى الدوافع الثانوية ، دوافع نفسية اجتماعية أو دوافع ذاتية (شخصية) .

ويدخل تحت كل من التقسيمات الرئيسية دوافع مختلفة سنفصل الحديث عنها فيما يلى :

www.ibtesamah.com/vb

الدوافع الأولية

معنى الدوافع الأولية :

يقصد بالدوافع الأولية تلك الدوافع التى لم يكتسبها الفرد من بيئته عن طريق الخبرة والمران والتعلم ، وإنما هى عبارة عن استعدادات يولد الفرد مزودا ، بها ولهذا فهى تسمى أحيانا بالدوافع الفطرية .

إن هذا النوع من الدوافع يعتمد فى إثارته على الحالات الجسمانية الداخلية (الفسيولوجية) . وكما نعرف فلا بد للإنسان — فى سبيل احتفاظه بحياته — من أن تتوفر لديه حاجات عدة ، يعمل بعضها على المحافظة على كيانه العضوى ، والدفاع عن فرديته البيولوجية ، بينما يعمل بعضها الآخر للمحافظة على بقاء النوع . فلأجل أن نعيش وأن نتحاشى عوامل الهدم فينا ، يجب أن نمد الجسم بالطعام والشراب ، وللطعام والشراب فضلات تضر الجسم لو بقيت فيه ولذلك فهو بطبيعة تكوينه يعمل على التخلص من تلك الفضلات . كما أن الجسم ليحتفظ بحيويته ونشاطه يجب أن يتمتع بالقسط الكافى من الراحة والاستجمام بين حين وآخر .

وإلى جانب تلك الدوافع الأولية التى تعمل على الاحتفاظ بالكيان العضوى للشخص ، هناك دوافع أخرى أولية تعمل على بقاء النوع ، ومنها الدافع الجنسى .

ونظراً لكون الدوافع الأولية معقدة ، فقد درسها علماء النفس من نواح ثلاث :

(ا) الناحية الفسيولوجية .

(ب) الناحية الشعورية .

(حـ) ناحية السلوك الظاهرى .

www.ibtesamah.com/vb

الناحية الفسيولوجية :

وأعنى بذلك التغيرات الكيميائية والعضوية والعصبية داخل الجسم ، والدور الذى تلعبه الغدد فى توجيه النشاط . ففى حالة الجوع مثلا تحدث تقلصات وانقباضات فى المعدة ، وفى حالة العطش يشعر الظمآن بجفاف فى البطانة المخاطية فى فمه وحلقومه ، نتيجة نقص إفرازات الغدد اللعابية . كما تتمثل الحالة العضوية فى الميل الجنسى ، إما فى إفرازات الغدد التناسلية ، أو فى التغيرات الداخلية التى تصيب الأنسجة المكونة لأعضاء التناسل .

وتنتهى تلك التغيرات الفسيولوجية المختلفة إما بالأكل أو الشرب أو الاتصال الجنسى ، وبين طرفى تلك البداية وهذه النهاية يتراوح السلوك مدا وجزرا ، ويختلف اختلافا بينا ، ولكنه فوق كل هذا خاضع لحساسية الكائن الحى بالمنبهات والمثيرات التى يترقبها .

(ب) الناحية الشعورية :

إذا طلب إلى إنسان جائع أن يصف شعوره فإنه يعبر عن جوعه بقوله إنه يحس فراغا فى معدته ، وأن معدته فى حركة دائمة ولو سئل ظمآن عما يشعر به ، لشكى جفافا فى فمه وحلقومه . وكل من الجائع والظمآن يشعر بالوهن والإعياء . فإن كان دافع الجوع أو العطش أو الرغبة الجنسية شديدا ، اتجه اتجاها قويا نحو الشىء الذى يرضى نزوته . فقد يحلم بالطعام أو الشراب أو الجنس الآخر ، أو يتراءى له ذلك فى شروده وأحلام اليقظة . ولو أنه ترك على سجيته يعبر لك عما يخالجه ، لحدثك عن رغباته وآماله ومشتهياته وأمنياته .

ولكن هناك ظروفا ترجع إلى قيود المجتمع لا تنكشف فيها الدوافع الجنسية ، مثلا ، سافرة ، ظافرة ، فالشخص الذى يستحى من دوافعه الجنسية قد يستطيع كبت حالته الشعورية لمشاعره الجنسية .

www.ibtesamah.com/vb

(ح) السلوك الظاهرى :

لو أنك راقبت تصرفات طفل منع عنه الطعام لرأيت فى جلاء ووضوح كيف تستبد به الحيرة والضجر ، وكيف أنه لا يفتأ يبحث هنا وهناك . ولا يقتصر الأمر على ازدياد نشاطه ، بل ترى تصرفاته قد اتخذت وجهات ومناحى معينة ، فهو يستجيب إلى روائح معينة ، ويستجيب كذلك فى سرعة زائدة إلى الأصوات والمشاهد التى ألفها ، فيما سبق ، مقترنة بالطعام . فإذا أصاب الطعام انكب عليه وأخذ يلتهمه فلا يزال به حتى تراه قد فتر حماسه ، وبعد مضى ساعات يعاود الكرة ، وتعود الأمور سيرتها الأولى ، وهكذا .

على هذه الوتيرة تجرى تصرفات الإنسان فى (دافع الظمأ) وفى (دافع الميل الجنسى) : نشاط يشتد ويزداد ، وطاقة أقوى تنطلق من محابسها ، ولكن هذا كله منصرف إلى أشياء حسية ، كالطعام أو الماء ، أو الجنس الآخر ، تنتهى بالأكل أو الشرب أو الاتصال الجنسى ، وهى أمور من شأنها إضعاف حدة الدافع .

أما إذا كان الطريق إلى الهدف غامضا غير واضح ، تلمس سبيله إليه عن طريق المحاولة والخطأ ، فيزداد نشاطه وتشتد حركاته وأفاعيله وتقوى انفعالاته ، إلى أن يبلغ أربه ويصل إلى تحقيق الهدف .

وإذا لم يعمل الإنسان على إشباع تلك الدوافع الفسيولوجية نتج عن ذلك إخلال بتوازنه الحيوى ؛ فالأكل والشرب ، مثلا . من شأنهما إشباع حاجة الجسم الأولية . ومعنى ذلك أنهما يعيدان التوازن الفسيولوجى ، الذى يصيبه الخلل نتيجة الحرمان منهما .

www.ibtesamah.com/vb

قوة الدوافع الأولية

ونحب أن نشير ، ونحن بهذا الصدد ، إلى أن الأغراض التى تتطلب الدوافع الأولية تحقيقها ، تتفاوت من حيث ضرورتها لحفظ حياة الفرد ، ومن حيث قدرته على الاصطبار عنها . فالجوع والعطش اللذان يعتبران من الظواهر العضوية الفطرية ، واللذان يعدان من أبرز العوامل فى الدفاع عن حياة الإنسان ، نجد أنهما يتطلبان غرضا لا يستطيع شخص ما أن يعيش بدونه ، ولا أن يصطبر عنه مدة طويلة .

ولو أننا قارنا ذلك بالميل الجنسى : لوجدنا أن الأخير أقل أهمية بالنسبة للفرد ، إذ أن حياته لا تتوقف على تحقيق غرض هذا الدافع ؛ كما أن يستطيع أن يصبر عنه مدة طويلة . وأقرب مثل لذلك هؤلاء الرهبان الذين يعكفون فى أديرتهم ويعتزلون العالم الخارجى ، ويتجنبون معاشرة النساء ، فهؤلاء يصبرون عن تحقيق الرغبة الجنسية ، بينما لا يستطيع أحدهم أن يصوم عن الطعام صوما غير عادى .

ومن هنا يتبين لنا ، أن الدوافع الأولية ، تختلف من حيث القوة التى تؤثر على سلوك الفرد وتدفعه لتحقيق الغرض .

ويجدر بنا أن نذكر شيئا عن التجارب التى أجريت على الفيران ، لقياس القوة النسبية بين الدوافع الأولية والتى لها أصل (بيولوجى) . وترجع أسباب اختيارنا لتلك التجارب ، إلى أن الحيوان يختلف عن الإنسان ، فى أنه بعيد عن العوامل الثقافية التى يكون لها أبعد الأثر على أمثال تلك التجارب . كما أننا نستطيع أن نخضع الحيوان للتجريب ، أكثر من إخضاعنا للإنسان . وبالإضافة إلى ذلك ، نستطيع أن نكرر تجاربنا على الحيوان بالشكل الذى يوصلنا إلى النتائج التى يكون لها دلالة .

www.ibtesamah.com/vb

ومن التجارب التى أجريت فى هذه الناحية ، تجربة صندوق الإعاقة (obstruction box)(*) (انظر الشكل ٣) .

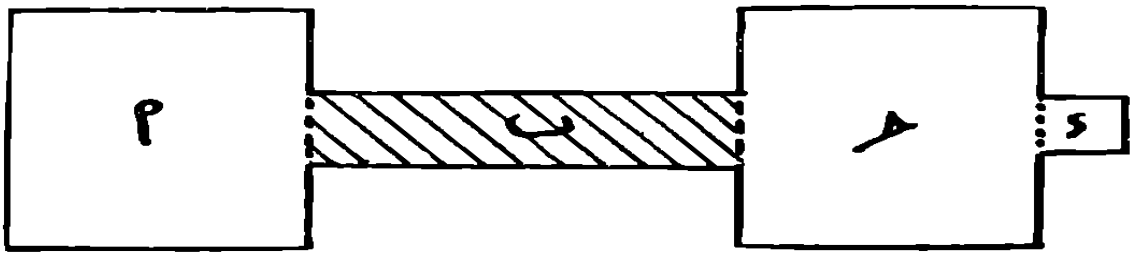

(شكل ٣) صندوق الاعاقة .

وتتلخص هذه التجربة فى أن الحيوان يوضع فى جانب من الصندوق (ا) منفصل بممر (ب) عن الجانب الآخر (جـ) الذى يوضع فيه الباعث. والممر (ب) منفصل بأسلاك كهربائية تنقل إليه شرارة أو تيار كهربائى عند الطلب .

بدئت التجربة بإحضار فأر جائع ، ودرب على معرفة الطريق الذى يوصل إلى الطعام . ثم أعيد الفأر إلى وضعه الأول . وبعد ذلك أعيدت التجربة ، مع تعريضه لصدمات كهربائية ، أثناء مروره بالممر (ب) الذى يؤدى إلى الطعام . والذى حدث أن الفأر كان يعود إلى الموضع الذى ابتدأ منه التجربة ، عند شعوره بالصدمة الكهربائية — غير أن دافع الجوع ، أو بعبارة أخرى ، دافع البحث عن الطعام ، كان يلح عليه ، فيحاول مرة أخرى ، وثانية ، وثالثة ، وهكذا .

وأعيدت التجربة على عدد كبير من الفيران من نفس العمر ومن نفس الفصيلة ، فكان متوسط محاولات العبور ١٨,٢ .

---

(1) R. Woodworth : Psychology (1947) o. 329.

www.ibtesamah.com/vb

وما اتخذ من إجراءات بالنسبة لدافع البحث عن الطعام فى حالة الجوع ، اتخذ مثله بالنسبة لدافع العطش والميل الجنسى وكذلك الأمومة ، وكانت متوسط محاولات العبور كالآتى :

الدافع	متوسط عدد المحاولات
الأمومة	٢٢٫٨
العطش	٢٠٫٤
الجوع	٨١٫٢
الدافع الجنسى	١٣٫٨

ويتضح من هذا البيان أو دافع الأمومة أقوى الدوافع ، ويليه دافع العطش ، فالجوع .

النضوج العضوى والتعبير عن الدافع

يهمنا أن نشير إلى أن العلاقة وثيقة بين النضوج العضوى والقدرة على تحقيق الدافع ، وقد أجريت بعض التجارب التى أيدت القول بوجود هذه العلاقة ومن هذه التجارب ، تجربة أجريت على مجموعة من أفراخ الدجاج ، حيث حرمت بعد الفقس مباشرة من نقر الحب لمدة ٢٤ ساعة ، ثم صرح لها بذلك ، فلوحظ أنها تلتقطه بدقة أكثر من أفراخ مجموعة أخرى ، لم يحل بينها وبين الحب بعد الفقس ، وبعد فترة من الزمن تساوت أفراخ المجموعتين . ولا شك أن هذا يبين أثر النضوج العضوى فى التعبير عن دافع البحث عن الطعام(*)

كما أجريت تجربة بشكل آخر على أفراخ الدجاج ، حيث حرمت مجموعة منها من التقاط الحب لمدة أسبوعين ، كانت تغذى خلالهما بطريقة

(*) Bird, C. : The Effect of Maturation upon the Pecking Instinct of Chicks. Pedagogical Seminary, Vol 32.

www.ibtesamah.com/vb

صناعية ؛ وحين عرض عليها الحب ، بعد فترة طويلة الانقطاع السابقة ، لوحظ عدم قدرتها على التقاطه . وهذا دليل على أن النضوج العضوى وحده غير كاف ، ولكن لابد أن يعطى الكائن الحى ، فرصة للعمل والتمرين . فبدون التمرين والتعلم ، يتعذر على العضو القيام بوظيفته بطريقة ملائمة ناجحة .

وما يقال عن التقاط الحب عند أفراخ الدجاج ، يقال عن قدرة الفرد على الاتصال الجنسى . ذلك أن عملية النمو أو النضج ، لا تكتمل إلا فى مرحلة البلوغ .

وأحب أشير أن هناك تفاوتا كبيرا بين الحيوانات ، من حيث نضوجها العضوى : فمنها ما يولد وهو مجهز بمجموعة من الاستعدادات الآلية ، تمكنه من القيام ببعض الحركات بطريقة ملائمة لتحقيق حاجاته الأولية. ويرجع ذلك التفاوت إلى المدة التى يقضيها الجنين قبل الولادة . ولنأخذ مثلا حيوانين من فصيلتين متقاربتين كالفأر الأبيض والأرنب الرومى : فالأرنب الرومى الذى تستغرق مدة تكوينه الجنينى ٦٣ يوما ، يقوم بجميع ضروب السلوك فى اليوم الأول من حياته ، بينما لا يكمل السلوك الحركى لدى الفأر الأبيض ، إلا بعد ثمانية وعشرين يوما ، عقب الولادة، ويرجع ذلك التأخير إلا قصر مدة التكوين الجنينى وهى ٢٢ يوما[1]

---

(١) المثل مأخوذ من كتاب الدكتور يوسف مراد «مبادىء علم النفس العام» ص ٨٩ .

www.ibtesamah.com/vb

الدوافع الثـــــانوية[1]

ثبت بالملاحظة أن الدوافع الأولية مشتركة بين جميع أفراد الإنسان والحيوان ، فهى جزء من كيانهما الحيوى . ولكن ما نطلق عليه دوافع ثانوية ، له مزيد اختصاص بالإنسان وبعضه مشترك بين جميع أفراده ، مع فوارق شكلية بين بيئة وأخرى ، أما البعض الآخر فهو شخصى ، يختص بفرد دون آخر ، وهو مرجع ما بين الأفراد من فروق ، فى الخلق ، والميل ، والإتجاه ، والشخصية .

هذه نقطة تختلف فيها الدوافع الأولية عن الثانوية ، ونقطة أخرى تتصل بطبيعة كل من هذين النوعين وإرجاعهما إلى أصولهما . فقد سبق أن بينا عند الحديث عن الدوافع الأولية أنها فطرية ، ولكننا نميل إلى اعتبار الدوافع الثانوية مكتسبة دون أن ننكر أن لبعضها صلة ، من قريب أو بعيد ، بالناحية الفسيولوجية .

ولو أننا استعرضنا بعض هذه الدوافع ، كالعواطف والعقد مثلا ، لوجدنا أنها تنشأ فى ظل الظروف المختلفة للفرد ، وتتأثر إلى حد كبير بالبيئة المحيطة به . فالطفل فى الأسابيع الأولى من حياته ، تكون علاقته بأمه قائمة على أساس تحقيق حاجياته الأولية ، فهى بالنسبة له مصدر الغذاء والشراب واللذة الحسية والأمن الذى يتصل بالنواحى الجسمية . ولكنه مع النمو الجسمى والعقلى ، يستطيع أن يميز بين ذاته وبين أمه ، وحينئذ تنشأ علاقة جديدة بينهما تقوم على أسس نفسية قوامها المحبة والعطف ، ومن هنا تتكون لدى الطفل عاطفة نحو أمه ، اكتسبها عن طريق صلته بها ، وتحقيقها لرغباته .

---

(١) تعرف هذه الدوافع أحيانا بالدوافع الشخصية أو الاجتماعية كالرغبة فى الانتماء إلى جماعة والحاجة إلى الأمن والتقدير .

www.ibtesamah.com/vb

وفى بعض الأحايين يكابد الطفل ضروبا من مشاعر الخوف ، وانعدام الأمن النفسى ، وهى ذات أثر فعال فى تكوين عقد نفسية لديه. ومن الأسباب الرئيسية فى تكوين مشاعر الخوف والاضطراب ما يلى :

(ا) افتقار الطفل إلى عطف أحد والديه .

(ب) التعس والشقاء العائلى .

(حـ) تعارض التيارات وتنازع الأهواء فى الأسرة كأن تكون الأم سمحة مترفقة والأب صارما متعنتا .

(ء) محاباة طفل فى الأسرة ، وإيثاره بالحظوة والتدليل ، مما يؤدى إلى إيغار صدر إخوته عليه .

إن مثل هذه العوامل البيئية لا تلبث أن تقضى فى نفس الطفل على مشاعر الطمأنينة والأمن ، وبين هـذا وذاك لا يجد الطفل المسكين حوله أناسا يطابق بين رغبته ورغبتهم أو يقارن بين ذاته وذاتهم ، فلا يلبث أن تتكون لديه بعض العقد ، التى ينشأ عنها اختلال اتزانه النفسى اختلالا تظهر آثاره فى أشكال شتى من اضطراب السلوك .

يلوح لنا مما سبق أن الدوافع الثانوية تتميز بأنها دوافع معقدة ، والسر فى ذلك التعقيد أنها تنشأ فى ظل الظروف المختلفة للفرد ، وتتأثر إلى حد كبير بالبيئة المحيطة به ، وما يسيطر عليها من عادات ، وأنظمة وقوانين ، بخلاف الدوافع الأولية ، فإنها بسيطة فى طبيعة تكوينها .

وكما أننا نطلق على الدوافع الأولية ، دوافع فسيولوجية نستطيع أن نطلق على الدوافع الثانوية ، دوافع سيكولوجية بمعنى أن صلتها بالتكوين النفسى (العقلى) أوثق من صلتها بالتكوين العضوى ؛ وليس معنى هذا أن الدوافع الأولية عديمة الصلة بالكيان النفسى للفرد ، فلا يقل شعور شخص نال فيه الجوع ، عن شعور آخر بالحاجة إلى النجاح فى امتحان ما .

www.ibtesamah.com/vb

إن طبيعة التكوين النفسى تسمح بوجود إستعدادات مختلفة تعتبر أساسا لعدد لا حد له من تشكيلات غير ثابتة(Unstable Configuration) تعتبر نواة لمطالب وميول متنوعة . واى تغيير يشمل الحالة النفسية أو الموقف الاجتماعى ، له إمكانيات أحداث أو تكوين دوافع جديدة فى الفرد ، وأن هذا النوع من الدوافع قابل للتغير أو التعديل على حسب الظروف المادية أو الاجتماعية التى يعيش فيها الفرد ، فمثلا الشعب الألمانى ، فهو نتيجة لعوامل ثقافية خاصة يميل أفراده إلى السلطة ، ولكن إذا ما انتقل فردمنهم إلى بيئة تميل إلى التسامح ، فإنه سرعان مايغير هذا الاتجاه .

إن الدوافع الثانوية ، ليست غير محدودة العدد فحسب ، بل إنها فوق ذلك متغيرة من وقت لآخر فى نفس الفرد ، كما أنها تتغير باختلاف الأفراد ؛ ومعنى ذلك أن الأفراد يقومون بأنماط من السلوك تختلف من فرد لآخر ، فمنهم من يذهب إلى المسجد أو الكنيسة فى أوقات الصلاة لتأدية الفريضة الدينية ، ومنهم من لا يذهب ، وهناك من يميل إلى الاشتراك فى المظاهرات وأعمال العنف كلما تهيأت الفرصة لذلك ، ومن لا يشترك فيها مهما كانت الظروف . ثم هناك من يعطى صوته فى أثناء الانتخابات لحزب معين ، ومن يعطيه لحزب آخر . ونجد كذلك من ينتمى إلى حزب بالذات ويتعصب له ، بينما أخوه لا ينضم إلى حزب إطلاقا ، أو ينتمى إلى حزب معارض . وهكذا .

ولاشك أن بعض هذا الاختلاف فى سلوك الأفراد ، هو الفروق الفردية فى الدوافع ، فالشخص الذى يذهب إلى المسجد أو الكنيسة يكون مدفوعا بدافع دينى ، ومن يشترك فى أعمال التخريب يكون مدفوعا بدافع العدوان ، ومن ينتمى إلى حزب اشتراكى يكون مدفوعا بدافع المساواة الاقتصادية .

www.ibtesamah.com/vb

إن المشتغلين بعلم النفس الاجتماعى لا يميلون إلى تحديد عدد الدوافع الثانوية فى الكائن الحى ، فهو فى نظرهم عبارة عن وحدات تكوينية تعتمد فى تكوينها على خبرات الفرد وميوله واتجاهاته ، وما يمر به من أحداث ، وقد تكون فى أول أمرها وليدة الصدفة ، ولكنها فى ظل هذه الملابسات تنمو تدريجيا ، حتى تصبح أمرا فعالا فى توجيه السلوك . ويتضح هذا فى طفل يشاهد رجالا يعملون فى حديقة منزل ، وهم بين الحين والآخر يدعونه لمشاركتهم ، فإذا ساهم معهم فى عمل من الأعمال شجعوه وامتدحوا عمله ، فتنمو فى هذا الطفل بالتدريج رغبة فى مزاولة ذلك العمل ، وقد يصل نمو تلك الرغبة إلى أن تصبح دافعا له أثره فى تحديد ميوله واتجاهاته فى المستقبل ؛ فقد يتخذ من هذا العمل مهنة يكتسب منها ، أو يصبح على الأقل هواية ينفق فيها أوقات فراغه . وهكذا نرى أن أمرا يكاد يتأتى عن طريق الصدفة ، يكتسب أهمية خاصة فى توجيه سلوك الفرد .

إن الاصطلاحين (أولى) و (ثانوى) يقصد بهما طبيعة الدافع ، ومرد هذا الدافع إلى أصوله ، دون المقارنة بينهما من حيث القوة والأهمية . فقد يحدث أحيانا ، أن يكون الدافع إلى التملك وجمع المال عند شخص ما ، أقوى من الدافع إلى البحث عن الطعام أو الدافع إلى الراحة ، لدرجة أن يهمل ذلك الشخص مطالبه الحيوية ، وقد يتسبب عن ذلك هلاكه . وفى مثل هذه الحالة تكون الرغبة فى جمع المال أقوى من حاجته إلى الطعام التى تصبح بالنسبة إليه فى مرتبة ثانوية . ومن أمثلة ذلك : البخيل الذى وصفه الجاحظ فى كتابه (البخلاء) ، أو ذلك الذى وصفه الكاتب الفرنسى (بلزاك) فى روايته (ابنة البخيل) ؛ وفيما يلى أقتطف بعض فقرات من هذه القصة الخالدة للتدليل على ما أقول :

www.ibtesamah.com/vb

« لم يكن المسيو (جراندیه) يشترى اللحم أو الخبز قط ، فقد كان بعض إيجار أملاكه يدفع عينا . وفى كل أسبوع كان المستأجرون يحضرون إليه من الدجاج والبيض والزبد والدقيق ، ما يكفى حاجة بيته ويزيد ! . . وكان إلى ذلك يملك طاحونة ، يتطوع مستأجرها لأن يطحن له كل ما يحتاج إليه من الحنطة بالمجان » .

« وكانت (مانون) خادمة البيت تتولى صنع الخبز مرة كل أسبوع صباح يوم السبت . وكذلك كان زراع الخضر والفاكهة يتكلفون بإمداد بحاجته منها . . بل إنه كان يبيع الفائض عن حاجته من الأخيرة فى الأسواق ! » .

« وخشب المدفأة كان يجمع من الأشجار الكثيرة التى تنمو على حدود حقوله ، فيقطعه المستأجرون له وينقلونه على عرباتهم إلى منزله ، دون أن يتلقوا منه على ذلك غير كلمة الشكر . . » .

«وهكذا كان ، فيما عدا الضرائب الحكومية ، يندر أن تتاح له فرصة لإنفاق المال ، إلا فى شراء ثياب لزوجته وابنته ودفع أجر خادمته (مانون) ، وبعض الإصلاحات التى يستلزمها الأمر فى المنزل ! وكان قد اقتنى أخيرا ستمائة فدان من الغابات ، وإذ عجز عن حراستها بنفسه عهد فى ذلك إلى حارس من حراس أصحاب الأراضى المجاورة ، واعدا بأن يكافئه فى آخر العام ! » .

« وكان (جراندیه) قليل الكلام ، يعبر عن آرائه بعبارات قصيرة موجزة ينطق بها فى صوت خافت . . وكان يحتال لإخفاء نقص ثقافته بالصمت فى بعض الأحيان ، وفى أحيان أخرى بالإجابة بإحدى عبارات أربع لا يكاد يستعمل غيرها ، وهى : «لست أدرى» . و «لا أستطيع أن أفعل ذلك» . «ولن أشترك فى شىء من هذا القبيل» . وأخيرا « سوف

www.ibtesamah.com/vb

نرى» . أما « نعم » أو « لا » فلم يكن ينطق بها قط ، ولا كان يسجل رأيا من آرائه كتابة . وكان يصغى إلى محدثه وهو يفرك ذقنه ، وقد بدا عليه طابع عدم المبالاة ! . » .

«وحين يرى رأيا فى موضوع ما ، كان يتعذر عليه أن يغيره . . وإذا أدركته الحيرة فى مأزق من مآزق معاملاته مع الناس ولم يدر وجهة المصلحة فى الأمر تخلص من الحرج قائلا : «ينبغى أن أتشاور فى ذلك مع زوجتى قبل أن أقطع برأى ! » .

«وكان المسيو جراندیه عريض المنكبين يزيد طول قامته على خمس أقدام ، نحيل الساقين ، بارز الركبتين ، ذا وجه صوحته الشمس وشوهته آثار الجدرى ، وذقن مدبب وأسنان ناصعة البياض ، وعينان تنطويان على نظرة الجشع المتحجرة ، وشعر كان يوما فى لون الرماد فأمسى فى لون الرماد .

« وكانت هيئته العامه تدل على المكر الخطر برغم أنه كان حريصا على مجاراة القانون .. كما تلوح على قسماته الأنانية ، فلم يعبأ من أمور الدنيا بغير أمرين : متعة كنزه الذهبى ثم بنته (أوجينى) التى لم ينجب غيرها » .

« وكان (جراندیه) محافظا فى زى ثيابه فبقى حتى سنة ١٨١٩ يرتدى الزى الذى كان يرتديه سنة ١٧٩١ ، ولم يغير حتى نوع الجوارب الصوفية السميكة ، ولا رباط الرقبة الأسود ، والقبعة ذات الحافة العريضة ، والقفازين السميكين يختارهما من صناعة متينة ، بحيث يعيشان عامان على الأقل ، ولكى يحتفظ بهما نظيفتين كان يضعهما دائما على حافة قبعته العريضة[1] » .

---

(١) من مطبوعات دار الهلال ١٩٥٢ .

www.ibtesamah.com/vb

أمثلة من الدوافع الثانوية :

سبق أن ذكرنا أن الدوافع الثانوية تقسم عادة إلى :

(أولا) دوافع نفسية اجتماعية .

(ثانياً) دوافع ذاتية (شخصية) .

ويدخل تحت كل قسم من التقسيمين السابقين دوافع مختلفة ؛ ومن أمثلة النوع الأول من الدوافع : الميل إلى الاجتماع والميل إلى اختيار أصدقاء ، والميل إلى السيطرة وتأكيد الذات . . . الخ . أما الدوافع الثانوية الشخصية ، فتشمل : الحاجة إلى الحنو ، والانتماء ، والنجاح ، والاستقلال ، والميل إلى التملك . وهناك بجانب هذه القائمة عدد لانهائى من الرغبات والميول الثانوية والتى تلعب العوامل البيئية والتأثيرات الخارجية دوراكبيرا فى تكوينها .

وسنعرض فيما يلى بعض هذه الدوافع :

الميل إلى الاجتماع

يوجد الدافع الإجتماعى عند الإنسان والحيوان ، وقد أثبتت الأبحاث المتصلة بعلم نفس الطفل ، أن هـذا الدافع لا يوجد عند الأطفال قبل نهاية النصف الثانى من السنة الأولى . ففى الخمسة شهور الأولى لا يستطيع الأطفال إدراك أو ملاحظة غيرهم ممن أمامهم ، وفى الشهر السادس يبدأ الطفل العادى يشعر بغيره ، وملاحظة من يقترب منه ، وينظر حوله ليلفت نظر طفل آخر موجود فى حضرته . وهكذا نجد الطفل يكون علاقات مع غيره .

وعندما يصل إلى السادسة من عمره ، نجد أن مثل هـذه العلاقات الاجتماعية لا تتعدى جماعات يقتصر عددها على فردين ، فمثلا فى مدرسة

www.ibtesamah.com/vb

الحضانة لا نلاحظ فى سلوك الطفل مايدل على حبه للانزواء ، فهو يختلط ولكن فى مجاميع صغيرة جدا ، يزداد عددها مع السن . وفى المدة بين ٦ — ٧ سنوات ، نجد أثر الميل للإجتماع ، ولكن على مدى ضيق ، فنرى الطفل لا يختلط فى المدرسة بكل رفاقه فى الفصل ، ولكن عندما يصل إلى الفترة التى تقع بين ١٠ — ١١ سنة ، نجده يميل إلى الاجتماع بكل أفراد الفرقة الواحدة ، وهكذا مع نمو الطفل ، نجد أنه يشعر تدريجيا بكيانه الاجتماعى ، وبرغبته فى التعاون مع غيره من الأفراد ، على قدر طاقته واستعداداته وميوله .

وكما تتبعنا سلوك الطفل الاجتماعى فى البيئة المدرسية نستطيع أن نتتبعه فى البيئة المنزلية ، فالطفل منذ نشأته يعتمد على أمه فى قضاء حاجياته الأولية ، وكذلك على غيرها من المتصلين به فى بيئته ، ويمر الزمن فتكون لديه عواطف معينة نحوهم ، وتدفعه هذه العواطف إلى الرغبة فى ملازمتهم ، وعدم الإنعزال عنهم ، حتى عندما يصل إلى المرحلة التى يمكن فيها من الاعتماد على نفسه ، وبالتدريج نلاحظ أن دائرة اجتماعه بغيره تتسع ، لأنه يرى عن طريق تكوين علاقات اجتماعية مع غيره ، أنه يستطيع أن يصل إلى تحقيق مطالبه بسهولة ، وذلك أمر يجلب إلى نفسه البهجة والسرور ، ومن ثم فهو يحرص دائما على توسيع نطاق علاقاته مع غيره فإذا أخفق فى تكوين علاقات مع الغير ، فإنه يشعر دائما بالقلق وعدم الاستقرار لشعوره بالعزلة ، وإذا طالت عزلته ضاق بها ، وحاول البحث عن الجماعة التى يستطيع أن يحقق معها رغباته ، فإذا تم له ذلك عاودته البهجة والسرور .

وهكذا باستعراضنا لمراحل حياة الإنسان منذ نشأته نجده فى جميعها يعيش فى مجتمع ما ، يتفاوت بحسب حاجة الشخص وظروف حياته ، فهو يقضى سنى حياته المبكرة بين أسرته ثم يلتحق بالمدرسة فيجد مجتمعا

www.ibtesamah.com/vb

أوسع من الأسرة ، فإذا تم تعليمه ترك المدرسة للعمل ، وحينئذ يتصل بمجموعة جديدة فى المكان الذى يعمل به ، سواء أكان ذلك متجرا ، أم مصنعا ، أم معملا أم شركة ، أم مصلحة من المصالح . فإذا استقرت حياته ، وطاب له العيش أخذ يفكر فى الاتصال بحزب من الأحزاب أو جماعة من الجماعات ، التى تتفق مبادئها مع ميوله ، وعندما يصل إلى هذه المرحلة ، يدرك الشخص العادى أنه يستطيع أن ينجح فى حياته ، بقدر تعاونه مع كل مجموعة من تلك المجموعات التى سبقت الإشارة إليها .

ولا يخفى أن درجة استجابة الفرد للمجتمع ، تتوقف إلى حد كبير على درجة نضوجه العقلى والجسمى والوجدانى ، ذلك أن لكل دور من أدوار النمو خصائصه التى تميزه عن غيره ، فدرجة النضوج العقلى مثلا فى مرحلة الطفولة المتأخرة ، غيرها فى مرحلة الطفولة المبكرة ، وقدرة طفل التحكم أو السيطرة على انفعالاته فى الثانية ، غيرها فيما بين الخامسة والسابعة ، ذلك أننا نلاحظ أن حياة الطفل الانفعالية ، تأخذ سيرها الطبيعى ، وتتجه نحو الثبوت والاستقرار شيئا فشيئا مع تقدم الزمن .

وعلى ضوء عرضنا السابق يتضح لنا أن الميل إلى الاجتماع غير موجود منذ ميلاد الطفل ، وإنما ينشأ نتيجة تفاعل الفرد بالمجتمع على مستوياته المختلفة ، وعلى هذ فالأسلم لنا أن نفترض أن الدافع الاجتماعى يستند فى أساسه إلى عوامل مكتسبة .

ويؤيدنا فى ذلك ما أجرى من تجارب على الحيوان ، لمعرفة ما إذا كان ذلك الدافع فطريا أم مكتسبا . ومن بين هذه التجارب ما قام به (باتى Pattie)(*) من بحوث أجراها على ٤٢ فرخا من أفراخ الدجاج ، فقد

(*) Pattie, F. A. : The Gregarious Behaviour of normal chicks and chicks hatched in isolation. Jour. Comp. Psv., 1936 21. P. 16a.

www.ibtesamah.com/vb

عمل على عزل مجموعة منها فرادى عقب فقسها مباشرة ، بينما ترك المجموعة الأخرى تختلط بغيرها . وقد استمرت مدة عزل المجموعة الأولى أربعة أيام ، لم يقع فيها نظر فرخ على الآخر . وفى نهاية اليوم الرابع أخرج كل فرخ من عزلته ، ووضعه على حالة يكون فيها بين فأرين من جهة وفرخين من جهة أخرى ، وكان يغير بين حين وآخر وضع الأفراخ والفيران ، لئلا تتكون لها عادة فى الاتجاه ، فلاحظ أن الأفراد التى كانت منعزلة ، لم يقتصر اتجاهها على ناحية الأفراد الأخرى ، وإنما كانت تتجه كذلك إلى الفيران . وكان متوسط المحاولات فى الناحيتين هو ٣١,٦ ، ٣٤,٦ على التوالى .

وعلى العكس من ذلك أجرى تجربة أخرى مماثلة ، على مجموعة أخرى من الأفراخ لم تنعزل ، فكانت متوسطات النتائج هى ١٩,٤ نحو الفيران ، ٦٠,٧ نحو الأفراخ .

ومن ثم استنتج أن أفراخ الدجاج التى لم تعزل أظهرت استعدادا أقوى للاجتماع بمثيلاتها ، وعلى العكس من ذلك الأفراخ المعزولة ، أى أن الدافع إلى الاجتماع بالنوع عند الأفراخ ليس فى أساسه أمرا فطريا .

وينمو فى ظل الميل إلى الاجتماع ، طائفة من الميول الاجتماعية التى من شأنها تحقيق الصلة بين أفراد المجتمع ، ومن أهمها :

(ا) الاستهواء .

(ب) المشاركة الوجدانية .

(حـ) التقليد .

وسنتحدث باختصار عن كل منها على حدة لنعرف شيئا عن طبيعتها ومدى علاقتها بالناحية الاجتماعية .

www.ibtesamah.com/vb

التقليد :

يميل الأطفال عادة إلى تقليد الكبار فى كثير من أعمالهم ، والناس عامة يتعلمون كيف يقلدون لأن فى هذه العملية تيسيراً لهم فى قضاء حوائجهم ، وإشباع رغباتهم ، والوصول إلى أهدافهم فى شىء من السرعة والسهولة . وطالما كان التفكير لا يؤدى بهم إلى العقاب أو الحرمان لجأوا إليه كوسيلة من وسائل التعلم .

وللتقليد مستويات ثلاثة يظهر فيها أثر التعلم بوضوح[1] :

١ — التقليد البسيط Simple imitation :

ومن أمثلة ذلك النوع الطريقة التى يكتسب بها الطفل الصغير اللغة ، ولنا أن نعتبر ذلك النوع من التقليد فعلا شرطياً ويتضح ذلك من المثل التالى : تصدر عن الطفل فى الأسابيع الأولى من حياته أصوات عشوائية (م) يحاول تقليدها عند ما يسمعها (R) ثم يسمع نفس الأصوات تكرر ممن حوله من الأفراد (مَ) فيحاول مرة ثانية تقليدهم كما حاول تقليد نفسه ، بتكرير هذه الأصوات وتظهر هذه العلاقة فى الشكل التالى :

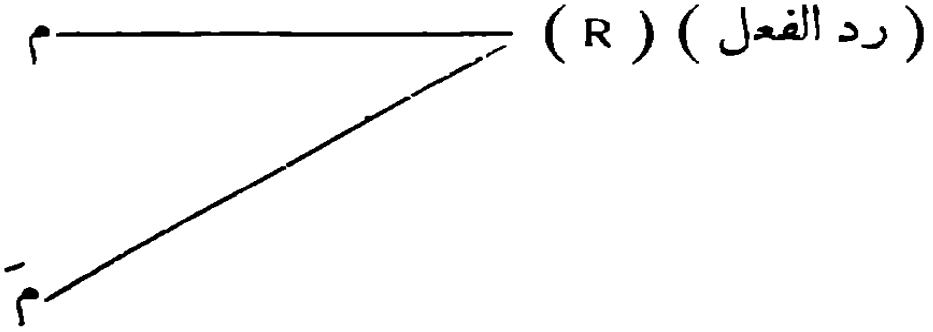

(1) Miller & Dollfard : Social learning & imitation (1947) chapters 9 & 10.

www.ibtesamah.com/vb

٢ — تقليد يعتمد على القياس Mat Ched-dependent behaviour[1] :

نستطيع أن نوضح هذا النوع من التقليد بالمثال التالى :

محمد وحسن طفلان صغيران ، عمر الأول ست سنوات ، وعمر الثانى ثلاث سنوات . كان الطفلان يلعبان فى حجرة نومهما التى تقرب من مدخل المنزل ، واقتربت الساعة السادسة مساء ، واقترب معها مجىء الأب حسب عادته ، ومعه الحلوى التى تعود أن يحضرها معه ، لم يثر ذلك اهتمامه ولم ينبعث وراء أخيه لاستقبال والده .

ولقد تكررت المسألة عدة مرات ، يهرع فيها الأكبر ، بينما يكتفى الأصغر بالنظر من النافذه ، أو يواصل لعبه ، لأنه لم يكن يربط بين حضور والده ، وقطعة الحلوى التى كانت تقدم له وهو يتناول طعام العشاء ، دون أن يعرف مصدرها .

وبينما كان الأخ الأكبر فى إحدى المرات آخذاً طريقه نحو الباب كعادته ، لاستقبال والده تصادف أن كان شقيقه الأصغر يسير فى نفس الاتجاه فرأى بنفسه المصدر الذى يحصل منه شقيقه على الحلوى (دون وقت الطعام) . ومن ذلك الحين أخذ الطفل الصغير يقلد أخاه كلما رآه يجرى نحو الباب ، أو فى أى اتجاه آخر .

ولنتتبع قصة هذين الطفلين بعد ذلك زيادة فى الإيضاح : كان الطفلان ذات مرة يلعبان مع والدهما فى حجرة الجلوس ، فحدث أن طلب إليهما الوالد مغادرة الحجرة حتى يخفى فيها قطعتين من الحلوى ، ثم أذن لهما بالدخول ليبحث كل منهما عن قطعته ، وجعل لكل منهما الحق فى أكلها بمجرد العثور عليها . وضع الأب إحدى القطعتين تحت الوسادة ،

---

(1) Miller & Dollard : Social learning & imitation 1947 P. 93 — 94.

www.ibtesamah.com/vb

والأخرى بجانب جهاز الراديو بشكل غير ظاهر ، وعند ما دخل الطفل الأكبر الحجرة عند سماع الإشارة ، ومن خلفه الأخ الأصغر ، بدأ الأول بحثه فى المدفأة ، فما كان من الثانى ، إلا أن تبعه وفتش فى نفس المكان . ثم ثنى الأخ الأكبر البيانو فتبعه الأخ الأصغر كذلك فى كل تصرفاته . ثم حرك الأخ الأكبر الوسادة ، فوجد قطعة الحلوى . وهنا توقف عن البحث ، وتوقف الثانى فترة من الزمن حائراً ، ثم اتجه إلى الوسادة ، حيث وجد أخوه قطعة الحلوى ، ولكنه لم يجد شيئاً . وأخيراً وبعد شىء من التردد استغرق فترة لم يقم فيها الطفل بأدنى محاولة ، استخرج الوالد القطعة الأخرى من مخبئها وأعطاه إياها .

وعند ما كررت التجربة مرة أخرى ، لم يزد نشاط الطفل الصغير عنه فى المحاولة الأولى ، فكان كل همه منصباً على تقليد أخيه .

ويتبين من هذه التجربة ، أن الجزء الأول منها كان خالياً من أية محاولة للتقليد ، فلم نر الطفل الأصغر يتأثر تأثراً آلياً بتصرفات أخيه ، ولا ينقاد له انقياداً أعمى ، ولكن التقليد بدأ يحدث حينما اتضح السر ووجدت الإشارة أو المفتاح عنده (cue) فى المجال الإدراكى الذى يبعث على ذلك . ولولا وجود هذه الإشارة ، لما توجه الطفل نحو تقليد أخيه كما أنه لو لم يلمس الصغير أن تقليده للكبير يكسبه شيئاً محبباً إليه ويشبع رغبة محببة إلى نفسه ، لما انساق وراءه فى جميع الأحيان ، وما قلده فى كل الظروف .

وخلاصة القول ، إن التقليد فى هذه الحالة ليس عملية عمياء تصدر دون قصد ، بل إنه فى أساسه يتصل بالإشارات الخارجية (cues) التى توجه استجابات الطفل .

www.ibtesamah.com/vb

٣ — النقل أو النسخ (copying) :

ويحتاج النوع الثالث من أنواع التقليد إلى التأنى والإمعان ، فلأجل أن يكون النقل مطابقاً للنموذج أو الأصل ، يجب أن تتوفر فى الشخص الذى يقوم بالعملية صفات خاصة ؛ فالرسام الذى ينقل صورة ، والمثال الذى يقلد نموذجاً يعبر عن فكرة ، لا بد أن تتوفر فى كل منهما مهارات من نوع خاص ، كما أن الأمر يحتاج فى غالب الأحيان إلى القيام بعدة محاولات خاطئة تنتهى إلى نوع من المطابقة الصحيحة بين الأصل والصورة ، ويرمى هذا النوع من التقليد إلى تحقيق هدف واضح (purposful) كما أنه يدل على تفكير وتعقل (rational) فهو بذلك يختلف اختلافاً كبيراً عن النوع الذى سبق أن أطلقنا عليه تقليداً بسيطاً [1] . ومضمون هذا العرض المتقدم أن التقليد بمختلف أنواعه عبارة عن (ميكانيزم) يتعلمه الفرد — وخاصة الطفل — لأنه يجد فيه وسيلة ناجحة لتحقيق دوافعه ؛ إن الصلة وثيقة بين التقليد والتعلم الاجتماعى ، فالتقليد كما بينا يقوم فى أساسه على التعلم من المجتمع المحيط بالمقلد ، ولولا هذا المجتمع وما يصدر عنه من تصرفات لما وجد الطفل النماذج التى يقلدها ولما استطاع أن يكتسب حضارة المجتمع ونظمه وأن ينطبع بطابعه فى حركاته وسكناته . كما أن التقليد وسيلة ناجحة من وسائل التعلم ، فعن طريقه يستطيع أن ينتفع بكل ما يرى وأن يجعله جزءاً من خبرته ويستطيع كذلك أن يكتسب المهارات والمعارف وأن يحصل العلوم .

وقصارى القول أن هناك أمرين متلازمين : البيئة التى تساعد على اكتساب عملية التقليد ، والتقليد الذى يساعد على اكتساب حضارة البيئة .

---

(1) Murphy & Newcomb : Experjmental Social Psychology, p. 181.

www.ibtesamah.com/vb

الاستهواء:

يقول (ف . ه . البورت)[1] إن الاستهواء عبارة عن خاصية من خصائص الشخصية Special trait of personality تجعل الفرد يتقبل أفكار معينة ، دون أن يحاول نقدها أو تمحيصها :

ويرجع ذلك إلى سببين رئيسيين ، هما [2] :

(أولا) عند يكون الفرد فى حالة عقلية غير ملائمة .

inadequate mental context

(ثانيا) عندما يسيطر على تفكيره عقائد وأفكار ثابتة .

(fixed mental context)

ويتضمن النوع الأول الحالات الآتية :

١ — يكون الفرد أكثر قابلية للاستهواء ، عند ما تكون معايير الحكم على الأشياء لديه ناقصة ، فيتعذر عليه حينئذ مراجعة (cheching) ما يعرض عليه من أفكار وقضايا وأحكام ، ومن ثم نجده يقبلها على علاتها ، وهذا يفسر لنا كيف أن الطفل يكون أكثر قابلية للاستهواء من البالغ ، والرجل البدائى أكثر قابلية للاستهواء من الرجل الذى يعيش فى الحضر .

٢ — يكون الفرد أكثر قابلية للاستهواء عندما يكون فى حالة من القلق والارتباك الذهنى أو عدم الرضا ، تجعله فريسة لتقبل أى أفكار تصل إليه . ونستطيع أن نوضح ذلك بالمثال التالى : بعد الحرب العالمية الثانية تعرضت بعض الشعوب المغلوبة إلى حالة من عدم الأمن الاقتصادى والسياسى لدرجة أنها كانت تجد فى الدعايات التى كانت تقوم

---

(1) F. H. Allport : Social psy. 1924.

(2) Hadley lantril : The psy. of social. movements 1946 — P 65.

www.ibtesamah.com/vb

بها روسيا الشيوعية منقذا لها ، يبعد عنها شبح الجوع والحرمان والفوضى والاستبداد . وهذا ما حدث فعلا فى بلاد كبولندا ورومانيا وبلغاريا ، إذ استهوت هذه المبادئ والأفكار الشيوعية تلك الشعوب واستجابت لها دون نقد أو تفكير أو مقارنة بينها وبين مبادئ الشعوب الأخرى(*).

ولقد استغل كل من (هتلر) و (موسولينى) هذا المبدأ فقاما بدعوتيهما إلى قلب نظام الحكم فى كل من البلدين ، مستغلين حالة عدم الارتياح والقلق والارتباك الموجودة فى كل من الشعب الألمانى والإيطالى والناجمة عن سلسلة طويلة من مفاسد الحكم والارتباك السياسى فى كل من البلدين. ومن بين الوسائل التى تشغل أخيلة أمثال تلك الشعوب القلقة المضطربة ، النداءات المكتوبة أو الشفوية ، فهى تساعد على إبراز ونشر حالة عدم الرضا والتذمر .

إن التاريخ ملىء بأمثال تلك الدعايات والوسائل الاستهوائية المختلفة ، فلا يزال يعلق بأذهاننا ما كان يذاع أثناء الثورة الفرنسية ، مثل العبارة المشهورة « الحرية والإخاء والمساواة » ، أو ما كان يعلن خلال الثورة الروسية « السلم والخير والأمن » . ولقد ساعد أمثال تلك النداءات على إشعال روح التذمر بين أفراد تلك الشعوب ، كما جعلهم أكثر قابلية لتقبل مبادئ الثورة فى كلا البلدين .

أما النوع الأول من الاستهواء وهو الخاص بوجود عقائد أو أفكار ثابتة تسيطر على تفكير الفرد (fixed mental context) ، فيمكن توضيحه بالمثال الآتى : هب أن شخصا وجد أن الفئة الغالبة فى بلده تعتنق مبدأ سياسياً خاصا ، كالمبدأ الديمقراطى مثلا ، فليس معنى هذا أن كل فرد

(*) Newcomb & others : Readings in Social Psy. 1947 — P. 625 — 26.

www.ibtesamah.com/vb

يدين بهذا المبدأ فى تلك البلدة أو القطر ، قد اعتنق هذا المبدأ بعد دراسة مقارنة للمذاهب السياسية الأخرى كالاشتراكية والفاشية مثلا ، ولكن الواقع أنهم متأثرون بالمبادئ السائدة فى المجتمع الذى يعيشون فيه ، وهم لذلك تقبلوا هذا المبدأ بطريقة آلية ، لأنه لا يبدو غير ملائم لما هو سائد فى بلدهم ، وعلى هذا النحو أصبح المبدأ الديمقراطى فى أمريكا عقيدة ثابتة تسيطر على تفكير وعقول الكثير من أهلها ، وهذا هو السر فى سهولة استهواء أى أمريكى عن طريق هذا المبدأ . وعلى ضوء ما سبق يكون من اليسير استهواء الشعوب أو الأفراد المتمسكين بدينهم عن طريق الكتب المقدسة والعقائد والأحاديث الدينية . وهذا يفسر لنا كيف أن مبادئ جماعة الاخوان المسلمين تجد آذانا صاغية فى عدد كبير من سكان البلاد العربية .

بعض النواحى التطبيقية للاستهواء :

تستغل هذه الظاهرة فى طرق الدعاية والإعلان فى الشئون التجارية . ومن أمثلة ذلك : أن شركة أرادت الإعلان عن السيارات التى تنتجها مصانعها فذكرت أن من بين الذين اشتروا عرباتها فى السنوات الأخيرة أعضاء الأسرة المالكة والكبراء والوزراء والساسة ، فكان ذلك مدعاة لاستهواء الناس وتشجيعهم على اقتناء العربات المعلن عنها .

ويشبه هذا فى مصر ، الإعلان الذى تقوم به مصانع صابون « نابلسى شاهين » التى تنشر فى الصحف السيارة صور خطابات من الكبراء والوزراء تشير إلى أنهم يستعملون هذا النوع من الصابون ، وانهم يعجبون به . ويطلق على هذا النوع من الاستهواء (استهواء الصيت) prestige suggestion .

www.ibtesamah.com/vb

ويستعمل الاستهواء كذلك كوسيلة من وسائل العلاج التى تستخدم فى العيادات النفسية العصبية ، وقد أجريناه على جماعة من مصابى اللجلجة بطريقتين مختلفتين :

(ا) أزجى للمصاب أثناء تمرينات الاسترخاء عبارات إيحائية ، إزجاء مباشرا كأن يقال له مثلا : « إن حالتك لن تستمر على هذا السوء بعد الآن » . أو « إن حالتك آخذة فى التحسن يقينا » .

وقد كانت هذه العبارات وما جرى مجراها حافزة على تشجيع سائر مصابى اللجلجة ، وإعانتهم على انبعاث روح الثقة بأنفسهم .

(ب) كان المصاب فى خلال (الألعاب الكلامية vocal games التى استعملت كجزء من منهج التعليم الكلامى الجديد speech rehabilitation عظيم التأثر والشعور بالاستهواء) .

وقد كان الاستهواء فى هذه الحالة بطريقة غير مباشرة ، ويعزى التحسن المطرد الذى أحرزه المصابون أثناء تلك الألعاب الكلامية إلى أنهم نبذوا عنهم الخجل ، وطرحوا الخوف والتهيب فى أحاديثهم . وقد أوحى إليهم هذا النجاح تدريجيا الثقة فى نفوسهم ، والإيمان بقدرتهم على الكلام ، فما لبث أن انجابت عنهم رويدا رويدا تلك المشاعر الخبيثة ، مشاعر النقص والرهبة والقلق التى كانت فيهم ، ثم تفاقمت بسبب إخفاقهم وهزيمتهم فى أوساطهم الاجتماعية من جراء عثراتهم الكلامية .

ورغم أن الإقناع (persuasion) ذو صلة وثيقة بالاستهواء إلا أنه يزيد عنه بكونه يجنح إلى تحكيم العقل والإدراك ، فهو عبارة عن عرض رأى أو فكرة على شخص عرضا يكون مشفوعا فى نفس الوقت بما يعتبر فى نظره أسسا معقولة تسوغ قبوله .

www.ibtesamah.com/vb

المشاركة الوجدانية :

إن القدرة على مشاركة الناس فيما يحسون به من فرح أوحزن ، عامل مهم من العوامل التى تمكن الفرد من ملاءمة نفسه مع البيئة التى يعيش فيها . وهذا الاستعداد موجود فى الأطفال والكبار على حد سواء ، ولكن الطريقة التى تثار بها هذه المشاعر ، وكيفية التعبير عنها ، تتوقف على عوامل كثيرة تتصل ببيئة الفرد وقدرته الانفعالية .

ولقد أجرت (Lois B. Murphy)[1] سلسلة من الملاحظات على مجموعة من الأطفال أثناء لعبهم فى إحدى مدارس الحضانة الملحقة بجامعة هارفارد بأمريكا ، لدراسة هذه الظاهرة النفسية ، وتوصلت إلى الحقائق الآتية :

(أولا) أن المشاركة الوجدانية تخضع إلى النظام السائد فى مجتمع من المجتمعات . فقد يحدث أن يسيطر على مجتمع ما روح الاعتداء ، بينما يسود مجتمعا آخر روح المسالمة . ومن أمثلة النوع الأول : قبائل المندوجومور فى غينيا الجديدة[2] ، التى يتميز سلوكها بالميل العدوانى ، ويكتسب الطفل هذا الميل من بيئته للأسباب الآتية :

(ا) يشعر الطفل منذ صغره بأنه غير مرغوب فيه من والديه وأنه فى جو عدائى بالنسبة لمعاملة والديه له .

(ب) يسود الحياة المنزلية شجار دائم بين الزوج والزوجة على مرأى من الطفل .

(ح) كل ما يحيط بالطفل من ظروف بيئته يوحى إليه بالغيرة وحب الانتقام .

---

(1) Social Behaviour & child develop. (1937).
(2) Mead : Sex & Temperement (1952).

www.ibtesamah.com/vb

(ثانيا) أن الأطفال فيما بينهم يختلفون فى طريقة مشاركة الغير فيما يحسون من ألم وفرح .

ولقد دللت (ميرفى) على ذلك بالمثال التالى : كانت (ميرفى) تدرس مدى استجابات الأطفال الانفعالية والوجدانية عند مشاهدة طفل آخر يبكى ، وهاهى خلاصة تلك الملاحظات :

كان هناك نوع من المشاركة الوجدانية ، أخذت شكل مؤاساة وبكاء وذلك فى حالة ما إذا كانت تربط الطفل الملاحظ علاقة من نوع خاص بالطفل الذى يلاحظه .

أما إذا كانت توجد بين الطفلين حالة من حالات التنافس والغيرة ، فإن استجابة الطفل للموقف لا تزداد عن ابتسامة تدل على التهكم والسخرية والاستهزاء . وفى حالة ما إذا الطفل الباكى غريبا ، فلا تتعدى الاستجابة الانفعالية عن نظرة تدل على التعجب والدهشة .

وقد لوحظ أن درجة الاستجابة فى المشاركة الوجدانية تختلف قوة وضعفا على حسب العوامل الآتية :

(ا) يعتبر الشعور بالذنب (sense of guilt) ، عاملا من العوامل التى تدفع الفرد إلى مشاركة غيره وجدانيا . ونستطيع أن نوضح ذلك بمثال اقتبسته من تجارب (ميرفى) ، عندما كانت تلاحظ مجموعة من الأطفال : فى أثناء اللعب ألقى أحد الأطفال الرمل على وجه طفلة أخرى فأخذت الطفلة الصغيرة تبكى على إثر ذلك ، وعندما علا صراخ الطفلة ، تقدمت إلى المعتدى وأخبرته « أن الرمل مفروض أن يكون مادة للعب ، لا لإيذاء الغير . . . ألا تعلم أنه عندما يدخل الرمل فى عيون الأطفال الآخرين يسبب لهم آلاما ؟» . وهنا تقدم الطفل آسفا نحو الطفلة المعتدى عليها وأخذ يربت على كتفها ويمسح الرمل من على عينها .

www.ibtesamah.com/vb

(ب) إن القابلية للمشاركة الوجدانية تكاد تنعدم فى حالات عدم الأمن والطمأنينه والخوف ، والعكس يحدث إذا كان الطفل فى حالة نفسية عادية . فمثلا إذا كان الطفل فى حالة من الخوف فإنه بلا شك لا يبدى أى رغبة فى مشاركة غيره وجدانيا ، أما إذا كان فى حالة من الملاءمة النفسية ، فإنه يكون أكثر استجابة فى المشاركة الوجدانية .

(حـ) إن روابط الصداقة أو القرابة تكون مدعاة لظهور الاستجابات الوجدانية ، فمثلا تجد مشاطرة الأب لابنه وتأثره بما يصيبه أقوى من مشاطرته لشخص آخر وتأثره له ؛ وكذلك نجد أن درجة مشاطرة الأطفال لزملائهم أفراحهم وآلامهم ، تكون أوضح فى آخر العام الدراسى منها فى أول العام حيث تكون علاقات الصـــداقة بينهم لم تكن قد تكونت بعد .

ويهمنا أن نشير إلى أن الطفل الذى لا يجد من يشاطره شعوره ، يؤدى به هذا إلى أن يتميز سلوكه بالمظهر العدوانى ، وذلك يورثه فى المستقبل عدم الاكتراث لشعور الآخرين . إن الطفل الذى لا يشارك الغير شعورهم وأحاسيسهم ، فإنه يستمر على القيام بهذا النوع من السلوك فى كل مناسبة تستدعى هذا النوع من الاستجابة(*) ؛ ولا شك أن التربية المنزلية وطريقة معاملة الوالدين لأطفالهم ، تلعب دورا هاما فى تكوين تلك النزعة ، فقد ثبت بالملاحظة أن الأم التى تحنو على أولادها وتنشئهم نشأة تقوم على احترام الغير ، لا شك أنها تغرس فى نفوسهم بطريقة غير مباشرة كيف يحسون بإحساس الغير . وهنالك على العكس من ذلك من الأمهات من يربين أبناءهن تربية تنعدم فيها أى مشاركة وجدانية بطرق

(*) Readings in Social Psy. P. 247.

www.ibtesamah.com/vb

شتى ، كأن تقسو الأم على أولادها وتهملهم ، فى الوقت الذى تحنو فيه على أولاد الجيران ، فينتج عن ذلك ألا تنمو بين الأبناء وأمهاتهن وبين الأطفال وغيرهم أى رغبة فى تبادل أى مشاركة وجدانية ، إلى الحد المألوف ، فى أية بيئة طبيعية . ومعنى هذا أننا إن أردنا أن ننمى هذا الميل فى الطفل ، يجب علينا أن نعلمه عن طريق الخبرات السابقة كيف يشاطر غيره وجدانه ويعبر عن هذه المشاطرة بوسائل تدل عليها .

التملك

يمكن تعريف التملك بأنه عبارة عن الدافع أو الميل أو الرغبة . للحصول على شىء مفيد أو جذاب . وعلى حسب رأى (مكدوجل) فإن التملك عبارة عن استعداد فطرى ، موجود عند الحيوانات كما أنه موجود بصفة عامة عند الإنسان .

وسأورد هنا ملخصا لأهم الأبحاث الأنثر وبولوجية الاجتماعية على بعض القبائل البدائية لدراسة هذه الظاهرة . ومن أهم تلك الدراسات ما قامت به (مارجاريت ميد)[1] فى غينيا الجديدة على قبائل (الأراباش Arapesh): لاحظت (ميد) أن الرغبة فى تملك الأرض بين أفراد هذه القبائل معدومة إذ أن الأراضى فى نظرهم وما عليها من أشجار وفاكهة وحيوانات للصيد ، هى ملك للشياطين ؛ فإذا أراد شخص أن يقطع أخشابا من الغابة ، يخاطب الشياطين بهذه العبارة : « أيها الشيطان ، إننى ولدك ، حضرت لأقطع بعض الأعمدة الخشبية لأبنى كوخا ، يقينى أنا وأولادى وأقاربى من الأمطار والرياح والأعاصير . . . أدجو أيها الشيطان ألا

(1) M. Mead, Sex & Temperament ,952.

www.ibtesamah.com/vb

تعترض على حضورى للغاب ومثولى بين يديك . . . أرجو أيها الشيطان أن تستجيب لطلبى . . . » .

هذا وقد لاحظت (ميد) أنه على الرغم من أن أفراد هذه القبائل ميالون إلى التنقل من مكان إلى مكان طلبا للطعام ، فإنه قد يحدث أن يقيم — بصفة مؤقتة — بعض أفراد القبيلة فى صورة مجموعات تختلف من حيث العدد ، وتتكون تلك المجموعات غالبا من ثلاثة رجال أو أكثر ، ومع كل رجل ، زوجة أو زوجتان ، بالإضافة إلى أطفالهم ؛ وتعيش تلك المجموعة معا ، وتنام معا ، وتعمل معا ، وتتعاون فى كسب قوتهم ، وتقتسم ما يحصلون عليه من محصول زراعى أو من صيد .

إن هذا التعاون الجمعى — رغم أنه لا تربطهم أية رابطة قرابة — لأكبر دليل على أن معنى الملكية (seuse of ownership) والاقتناء ، لا أثر له فى تكوين هؤلاء الأقوام البدائيين .

ولقد ثبت من الدراسات الأنثروبولوجية كذلك أنه فى بعض القبائل الأسترالية — وهم ممن يعيشون فى الصحارى ، يكون الماء والطعام ملكا للقبيلة . وجرت العادة أن يخرج أفراد القبيلة للبحث عن الطعام عن طريق الصيد ، وكذلك عن الماء فى العيون والآبار (وهو قليل الوجود) ثم يعودون بكل ماحصلوا عليه ليقتسموه فيمابينهم ؛ ومعنى هذا أنه ليس من حق أى فرد أن يحتفظ لنفسه بما حصل عليه ، ولكن القبيلة تسير فى حياتها على نظام اشتراكى . ولم نذهب بعيدا ومثل ذلك النظام قائم بصفة أعم فى المستعمرات اليهودية فى فلسطين حيث يقدم أصحاب المزارع كل منتجاتهم إلى الجهات المسئولة التى تقوم بعملية التوزيع ؟

كذلك تبين للمؤلف أثناء بعثته إلى جنوب السودان لدراسة قبيلة الشيلوك فى العام الدراسى (١٩٥٤ — ١٩٥٥م) أن موارد الرزق عندهم من الوفرة ، وأن الأراضى الزراعية من الكثرة بحيث لا تبلغ الملكية حد

www.ibtesamah.com/vb

الاحتفاظ الضنين بالطيبات ؛ فالمحاصيل تكاد أن تكون مشاعا بينهم إذ يتخير الرجل لنفسه قطعة من الأرض يزرعها دون أن يعنى ذلك أنها قدأصبحت له أو أن على الناس أن يتجنبوا اختيارها فى العام القادم ثم يقوم بزراعتها واستثمارها حتى تثمر فينقل محصولها إلى بيته ويظل يأكل منه فإذا نفد عمد إلى جاره يسأله شيئا من المحصول فيجيبه إلى ما يطلب دون أن يتوقع منه رده فى يوم من الأيام .

وأدوات الزراعة عند الشيلوك ليست وقفا على أصحابها من دون سائر الناس فلكل واحد منهم أن يستعير منها ما يشاء ليستعمله فى فلاحة حقله واستثماره .

بل إنه ليبلغ من ضعف قيود الملكية أن عميد العائلة إذا مات انتقلت ملكية الأبقار إلى الأبناء الذكور جميعهم وأصبح للأعمام وجميع أقارب الأب حق الانتفاع بهذه الأبقار وتقديمها كمهور للزواج على أن يقوموا بردها إن احتاج إليها الأبناء يوما فإن لم تستبد بهم حاجة إليها لم يكن هناك ما يدعو للمطالبة بها .

كذلك نجد عند الشيلوك نظام توريث الزوجات بمعنى أن الأب الذى يكون متزوجا من خمس نساء أو ست يستطيع أن ينزل لابنه عن واحدة منهن .

والخلاصة أن قيود الملكية عند الشيلوك ليست بالصرامة التى نجدها عليها فى البلاد المتحضرة الأخرى مما يدعونا إلى القول بأن الملكية ظاهرة اجتماعية بحتة وأنها محصلة لعدد كبير من العوامل الاجتماعية كمبلغ توافر موارد الرزق وكمبلغ أخذ المجتمع بأسباب الحضارة والمدنية ومقدار ما بين أفراد المجتمع من روابط وثيقة أو علاقات مفككة .

والطفل ينشأ ليجد نفسه فى مجتمع يتعلم منه أن له حق تملك بعض الأشياء دون بعضها الآخر ، كما أنه يتعلم من المجتمع الفوائد التى تعود

www.ibtesamah.com/vb

على شخص إذا كثر ما يمتلكه ، ومن ثم يبذل قصارى جهده لإغراء الآخرين بوسائله الخاصة ليعطوه شيئا مما يحتاج إليه أو يرغبه . فإذا كبر لاحظ أنه كلما زاد ما يمتلكه الفرد كان ذلك وسيلة لأن يمتلك أشياء أكثر ، وكلما زادت ممتلكاته زاد احترام الناس له ، وكلما تمتع بقسط أوفر من الحرية زاد نصيبه من السعادة .

ومن هنا يتبين لنا أن الميل إلى التملك أمر يكتسبه الإنسان من بيئته طفلا ، ثم ينمو فيه هذا الميل بمقدار اختلاطه بالآخرين ، ومشاهداته لما يدور حوله فى هذا الشأن .

وطالما كان التملك ظاهرة لا تعم جميع البيئات ، وطالما كان هنالك من الظروف الكثيرة ما يوحى إلى الفرد بأن يتعلم ما يدفعه إلى التملك فليس هنالك ما يضطرنا إلى الاعتقاد بأن هذا الدافع فطرى .

تأكيد الذات

يعبر عن هذا الميل بالحاجة إلى التقدير وإظهار السلطة على الغير ، وبالرغبة فى التزعم والقيادة ، وتظهر هذه الصفات حتى فى أضعف الناس ، ومن ليس لهم حول ولا قوة ، ويتمثل ذلك فى أن أمثال هؤلاء ينتهزون الفرص التى تسمح لهم بإظهار نفوذهم على من هم أضعف منهم ، وقد يصل بهم ذلك إلى أن يظهروا سلطانهم على كلب يكون فى المنزل ، يصدرون إليه الأوامر ، ويفرضون عليه الطاعة .

والسؤال الذى يبرز الآن هو : ما مصدر ذلك الدافع ؟ وهل هو فطرى كما يعتقد الكثيرون من علماء النفس وعلى راسهم مكدوجل ؟ أم أنه كما بينا فى حالة الدافع إلى الاجتماع والدافع إلى التملك ، يكتسب أثناء حياة الفرد ؟

www.ibtesamah.com/vb

والحجة القوية فى أن هذا الدافع فطرى هى كونه عاما بين جميع أفراد الجنس ، والذى نراه أن هذه الحجة لا تنهض دليلا على ما يدعيه هؤلاء ، فإننا سبق أن أثبتنا أن حب التملك والميل إلى الاجتماع بالرغم من وجودهما فى الحياة المتحضرة بصفة عامة ، ليس هنالك ما يمنع من عدهما مكتسبين أثناء حياة الفرد .

وسوف نعرض لبعض الأدلة التى يستدل بها على أن هذا الدافع مكتسب ، وهى أنه فى بعض البيئات يكاد هذا الدافع ينعدم ، وحتى إذا وجد فإنه يعتبر ظاهرة شاذة . ومن الأمثلة على ذلك : الدراسات التى أجريت على أهالى « غينيا الجديدة » وعلى قبائل « الزونى » بالهند ، ففى بعض هذه الأماكن جرت العادة بأن يمنع الفائز فى مباراة ما عن الاشتراك فى مباراة أخرى تواضعا منه ، وبأنه من بين تلاميذ بعض المدارس من يحجم عن إعلان سبقه فى الأعمال المدرسية خوفا من أن يتهم بالزهو والميل إلى الظهور .

كما جرت العادة فى المجتمعات الحديثة بأن الشخص المتواضع الذى لا يهتم بإظهار سلطته على غيره يحوز احترام الغير أكثر من نقيضه الذى يولع بحب الثناء والتقدير ، ومثلنا فى ذلك كبار المخترعين أمثال « أديسون ، وماركونى » ، وكبار الكتاب أمثال (برنارد شو) ذى الشهرة العالمية ، فإن هؤلاء رغم ما لهم من صيت طبق الآفاق يضرب بهم المثل فى التواضع وإنكار الذات ، ولذلك فقد جبل الناس على احترامهم وتقديرهم ، وعلى العكس من ذلك أمثال (هتلر وموسولينى) من الرجال الذين أغرموا بفرض سلطتهم على الشعوب ، فإن هؤلاء بالرغم مما لهم من قهر وسلطان لم يظفروا من الكثير من الناس بالتقدير والاحترام .

أضف إلى ذلك أن بعض الأديان والمذاهب كالبوذية فى الهند مثلا تقوم على فكرة التبسط وعدم الرغبة فى استعمال النفوذ .

www.ibtesamah.com/vb

ونستطيع أن نستنتج من كل ما سبق أن الاعتقاد بأن هذا الدافع مكتسب أقرب إلى الصواب .

المقاتلة (الميل إلى العدوان)

هناك من يعتقد أن الميل إلى العدوان والرغبة فى المقاتلة فطرية غريزية . إن الطفل على حسب ذلك الرأى يولد مزوداً بالرغبة فى العدوان والمقاتلة ، وتكون هذه الرغبة مصاحبة لعملية النمو وخاضعة لحد كبير لدرجة النضج ، متأثرة فى طريقة التعبير عنها بنوع الثقافة والأسلوب الذى تربى عليه الفرد .

وبجانب ذلك فإن أصحاب مدرسة التحليل النفسى يفسرون السلوك العدوانى تفسيرات عدة : وأول هذه النظريات تلك التى تعتبر العدوان على أنه مرتبط بالنمو الجنسى للطفل فى مراحله المختلفة (المرحلة الفمية والمرحلة الإستية والمرحلة القضيبية) . ويأخذ هذا الميل (العدوان) فى الوضوح فى المرحلة الأخيرة لظهور عقدة أوديب[1] ، والتى يجمع المحللون النفسيون على أنها من العوامل الهامة التى تعمل على نمو وتطور الميول العدوانية لدى الطفل .

أما النظرة الثانية فهى التى تعتبر العدوان وظيفة من وظائف الذات (Ego) تظهر بتأثير الإحباط (Frustration) ، فقد أدت البحوث فى ماهية الذات والدور الذى تقوم به لتحقيق رغباتها إلى اعتبار العدوان من وظائف الذات الفطرية لتحقيق حاجاتها التى تتعلق بحفظ الحياة وتحقيق الأمن . ومن الملاحظ أن تلك الميول العدوانية لا تخرج إلى نطاق السلوك والأداء إلا بتدخل من البيئة أساسه العرقلة والإعاقة والإحباط . وهذا ما يعرف بالنظرية الإحباطية (Ffrustration Theory) .

---

(١) إن هذه العقدة تعبر عن محبة فائقة من الطفل الذكر نحو أمه ، ومن الأنثى نحو أبيها ، يقابل ذلك كراهية وعدوان من الطفل الذكر نحو أبيه ومن الأنثى نحو امها .

www.ibtesamah.com/vb

والنظرية الثالثة هى التى تعتبر العدوان تعبيراً عن غريزة الهدم ، فإن فرويد بعد أن عدل عن نظريته فى غرائز الذات Ego Instincts ، بادر إلى اعتبار كل الحوافز الغريزية نابعة من قوتين عظيمتين هما إرادة الحياة التى تتعلق بتحقيق الحاجات الحيوية وإرادة الموت التى تتعلق بتحطيم تلك الحياة ، والمظاهر الجنسية المختلفة ما هى إلا تعبيرات عن إرادة الحياة ، كما أن المظاهر العدوانية المختلفة هى مظاهر للتعبير عن قوة الهدم والتحطيم (١) .

وبجانب الآراء السابقة التى تدين بفطرية الميل إلى المقاتلة والرغبة فى العدوان ، فهناك رأى آخر يقول إن العدوان يكتسب فى ظل البيئة التى يعيش فيها الفرد نتيجة احتكاكه بالجماعة التى يعيش بينها ونتيجة للسلسلة الطويلة للسلوك الاحباطى والقمعى الذى يتعرض له الفرد فى جماعته . ومن أهم الأبحاث التى أجريت لتأييد هذا الرأى ، ما قام بنشره معهد العلاقات الإنسانية فى عام ١٩٣٩ (١) . وتتلخص تلك الأبحاث فى أن الكائن الحى تدفعه مثيرات عدة إلى السلوك ، يطلق عليها الاصطلاح (Instigator) . إن هذه المثيرات أو المنبهات أو الدوافع تدفع الإنسان إلى أن يقوم بسلسلة متعاقبة من السلوك تنتهى عادة بتحقيق هدف معين . ويتميز هذا السلوك المحقق للهدف بأنه يقلل من حدة السلوك . ونستطيع أن نوضح ذلك بالمثل التالى : عندما يسمع طفل صغير صوت جرس بائع (الجيلاتى) ، نجده يجذب ثوب أمه ، ويجرها إلى مكان النقود فى الدولاب

---

(١) تلخيصا عن البحوث التى ألقيت فى المؤتمر الدولى للصحة العقلية المنعقد فى لندن عام ١٩٤٨ فى موضوع الميول العدوانية وعلاقتها بالنمو الانفعالى فى البيئة العائلية والمدرسية والاجتماعية (ترجمة الأستاذ حسن حافظ المدرس بمدرسة المعلمين الخاصة ببور سعيد والطالب بقسم الدراسات العليا بمعهد التربية للمعلمين) .

(2) Dollard & others : Frustration and Aggression (New york, 1949)

طبع هذا الكتاب عدة طبعات آخرها فى عام ١٩٤٩ .

www.ibtesamah.com/vb

مثلا ، وعندما يعطى القرش يذهب إلى البائع ويتناول منه بغيته ثم يأخذ يستمتع بطعم (الجيلاتى) الطيب ، وهنا تنتهى السلسلة من السلوك بعد حصول الإستجابة المحققة للهدف ، وهى الحصول على قطعة الجيلاتى ، بحيث انه لو سمع بعد ذلك صوت بائع (الجيلاتى) ، لم يكن هذا الصوت داعيا أو دافعا إلى جذب ثوب أمه واستخلاص النقود منها . . . الخ . لكن هب أن هذه السلسلة من السلوك اعترضها ما يمنع اتمامها ، أو ظهر حائل حال بين الطفل وتحقيق هدفه ، أو بعبارة أدق ، أن مساعى الطفل أحبطت ، فلا شك أن هذا الاحباط أو الحرمان أو الإعاقة يكون عندئذ سببا فى ظهور استجابات جديدة ، إما أن تكون استجابات بديلة ، أو أن تكون استجابات عدوانية . فلو أن هذا الطفل الذى مثلنا به ، ذهب إلى بائع (الجيلاتى) ولم يجد عنده نوع (الجيلاتى) الذى يحبه واعتاد أن يطلبه ، وأعطاه البائع نوعا آخر ، فإن الطفل فى هذه الحالة يقبل الوضع ، ويعبر عن هذه الاستجابة بأنها استجابة بديلة أو معوضة (Substitute Response) . ويقوم الفرد بمثل هذه الاستجابات عندما يذهب إلى مطعم ويجلس فى انتظار الطعام فترة من الزمن ، ولذلك يلجأ الشخص الجائع فى مثل هذه الحالات إلى كوب الماء يزدردها فى انتظار الطعام ، أو قد يدخن أو قد يأكل شيئا من الخبز أو « السلاطة » .

أما الاستجابات العدوانية فتظهر عندما يحرم الطفل السابق من قطعة النقود التى يحقق بها الهدف ، أو إذا ما توانت أمه عليه فى إحضار القرش ، أو إذا ما مضى به حيث كان يقف البائع ، ولم يجده ولم يظفر بضالته . وهنا يعود الطفل إلى أمه باكيا ، ويجذب ثوبها يريد بذلك تمزيقه ثم يلقى بالقرش على الأرض ، وما تلك إلا مظاهر عدوانية للسلوك نتجت بسبب الإحباط أو الإعاقة .

ونحب أن نشير بهذه المناسبة إلى الأبحاث التى قامت بها

www.ibtesamah.com/vb

(مارجريت ميد)(*) ، فقد لاحظت من سلوك بعض القبائل البدائية أنها تميل إلى المقاتلة ، بينما توجد قبائل أخرى تميل إلى المسالمة كبعض القبائل الهندية ، بعكس قبائل « المندجومور » فى غينيا الجديدة التى يتميز سلوكها بالميل العدوانى ، ويكتسب الطفل هذا الميل من بيئته للأسباب الآتية :

(ا) يشعر الطفل منذ صغره بأنه غير مرغوب فيه من والديه وأنه فى جو عدائى بالنسبة لمعاملة والديه له .

(ب) يسود الحياة المنزلية شجار دائم بين الزوج والزوجة على مرأى من الطفل .

(حـ) كل ما يحيط بالطفل من ظروف بيئية يوحى إليه بالقسوة والغيرة وحب الانتقام .

ونحن نميل إلى الاعتقاد أن الإنسان بطبيعته لا يميل إلى المسالمة ولا إلى الاعتداء ، ولكن كل ما هنالك أن لدى الإنسان حاجات أساسية بدونها لا يستطيع الحياة ، وهذه الحاجات تحتاج إلى إشباع ، وأى عقبة فى سبيل هذا الإشباع من جهة الآخرين تؤدى به إلى الغضب الذى يتمخض عن سلوك عدائى ، وعلى العكس من ذلك إذا لم يعترض سبيل تحقيق هذه الحاجات أية عقبة فإنه يكون دائماً مسالما .

(*) M. Mead : Sex & Temperament (1952).

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الرابع

الانفعالات

معنى الانفعـــال .

تطور النمو الانفعالى .

أثر التعلم فى النمو الانفعالى .

المظاهر الفسيولوجية المصاحبة للانفعـال .

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل ٢٠١٨

تمهيـــد :

تحدثنا حتى الآن عن الدوافع الثانوية التى توجد لدى الأفراد جميعا ، ولا تكاد تختلف من فرد إلى آخر إلا من حيث الشدة والضعف .

ولكن ثمة نوعا آخر من الدوافع الثانوية ، ينشأ نتيجة عوامل التربية ، ولكنه يختلف من فرد لآخر ، وفضلا عن ذلك فهو فى مستوى أكثر تعقيداً من الدوافع السالفة الذكر ، أو بعبارة أخرى ، هو تنظيم لها . ويتضمن ذلك النوع ما اصطلح على تسميته بالعواطف والعقد .

إن أى عاطفة كالحب والبغض مثلا ، هى عبارة عن دافع ثانوى ، يتكون نتيجة تجمع بعض الانفعالات المصاحبة للدوافع الأولية أو الثانوية ؛ فليست عناصر العاطفة أمورا جديدة ، إذ هى موجودة أصلا فى نفس الفرد ، وإنما تنتظم فيما بينها ، ثم تدخل فى تركيب جديد لم يكن موجودا من قبل .

إن حياة الفرد النفسية فى طفولته المبكرة ، تتميز أولا بحدة الانفعالات ؛ فكل انفعال يشعر به الطفل فى تلك الآونة يكون قوياً حاداً ، ويتمثل ذلك فى نوبات الفزع التى يتعرض لها الطفل من وقت لآخر ، وفى حقده على من يحاول أن يحصل على أى شىء يكون فى حوزته ، كما تتميز ثانياً ، بالانتقال السريع من حالة انفعالية إلى أخرى ، كأن ينتقل فجأة من الحزن إلى الفرح ، أو من الارتياح إلى الضيق ، أو من المسالمة إلى العدوان .

إن هذا المظهر الانفعالى ليعد أكبر دليل على أن الطفل فى هذه المدة من سنى حياته ، ليس فى مقدوره أن ينظم دوافعه ، ومن ثم كان سلوكه غير ثابت ، يتميز بسرعة التقلب تحت تأثير العوامل الخارجية ، وعندما تزداد صلات الطفل الاجتماعية بالبيئة التى يعيش فيها ، تخضع انفعالات الطفل

www.ibtesamah.com/vb

غير المنسجمة لتنظيمات جديدة تكسب حياته الوجدانية قدراً من التناسق يساعده على تكوين شخصية متكاملة . وهكذا نرى أنه بعد أن كان سلوك الطفل إزاء غيره رهناً بدافع مؤقت يقوم فى أساسه على تحصيل اللذة وتلاشى الألم ، إذا به بعد ذلك يصدر على أساس خطة ثابتة ترمى إلى تحقيق غرض عام لا يتعارض مع صالح الغير .

وكذلك الظاهرة النفسية المعروفة فى علم النفس اللاشعورى باسم (العقدة) ، ليست إلا تنظيما لمجموعة من الانفعالات السابقة فى مركب انفعالى جديد مع فارق بينها وبين العاطفة . إن المركب الانفعالى فى حالة العقدة ، مركب لا شعورى ، فى حين أنه فى حالة العاطفة يكون فى مستوى شعورى .

هذه العواطف والعقد تصبح بمثابة دوافع من مستوى جديد ، أكثر تعقيداً وتنظيما من الدوافع السابقة . وهى عند ما تنشأ تخضع الحياة الوجدانية لتنظيم آخر ، إذ تخلع على حياة الفرد صفة شخصية ، بعد أن كانت حياته مجموعة من الانفعالات المتغيرة غير المتمركزة .

وحيث ان العواطف والعقد هى مجرد تنظيمات أو اتجاهات انفعالية ، وجب علينا أن نمهد للبحث فيها بحديث عام عن الانفعالات :

الانفعـــالات

معنى الانفعال :

يستطيع الإنسان بملاحظة الاستجابات الانفعالية له ولغيره من الناس، أن يعرف الكثير عن الخصائص العامة للانفعال ، والتى من أهمها وجود حالة من الإثارة والتغير وعدم الاستقرار .

ويستثار الانفعال تحت تأثير عوامل داخلية أو خارجية ، فمن أمثلة الأولى : تذكر شخص أنه ترك باب منزله مفتوحاً بعد مغادرته إياه ،

www.ibtesamah.com/vb

أو شعوره بألم مفاجئ فى معدته مثلا . ومن أمثلة الثانية ، أن يقع بصر شخص على منظر مفزع فى حادثة من الحوادث أو أن يتعرض لاعتداء آخر عليه ، فهذه العوامل على اختلافها تعتبر منبهات تثير الانفعال لدى الكائن الحى .

وللانفعال أثره فى إبراز الدفع كما سبق أن أشرنا ، فأحياناً يقويه ، كما يحدث فى دافع المقاتلة ، ذلك أن الانفعال المصاحب لهذا الدافع (الغضب) من شأنه أن يقويه وينشطه . وأحياناً أخرى نجد أن الانفعال المتسبب عن موقف ما ، قد يؤثر فى الدافع فيضعفه ، كأن يوضع طعام أمام شخص جائع ، وعند ما يبدأ الأكل تقع عينه على منظر تشمئز له نفسه ، كذبابة فى الطعام أو غير ذلك ، وهنا تقل حدة الدافع الأصلى ، فيعاف المرء الطعام .

ومن العسير علينا أن نحدد معنى الانفعال عن طريق تعريفه فى كلمات . وأقصى ما نستطيع أن نقول ، هو أنه من السهل علينا أن نفهمه بخصائصه ، والآثار المترتبة عليه ، وأهمها :

١ — أن الانفعال حالة تغير مفاجئ تشمل الفرد كله دون أن يختص بها جزء معين من جسمه .

٢ — أنه بطبيعته ظاهرة نفسية ، لا يكفى ما يطرأ على الجسم من تغيرات عضوية داخلية لإحداثها ، فقد يوجد تغير داخلى فى الجسم نتيجة الحقن بمادة (الأدرينالين) أو غيرها من العقاقير ، ورغم ذلك لا يحدث انفعال ما .

٣ — أن لكل انفعال مظهرا خارجيا تعبيريا (انظر ص ٩٠ ، ٩١) .

٤ — أن الانفعال حالة شعورية لا يمكن الاستدلال على الناحية الداخلية منها إلا بواسطة التأمل الباطنى .

٥ — أنه فى بعض الحالات يكون للانفعال مظهر داخلى عضوى .

www.ibtesamah.com/vb

تطور النمو الانفعالى فى حياة الطفل

السنة الأولى [١]

ينقسم الباحثون فيما يتعلق بدراسة النمو الانفعالى لدى الطفل فى السنة الأولى من حياته إلى فريقين : يؤكد أحدهما أن الطفل يولد مزوداً ببعض الانفعالات ، بينما يرى الفريق الثانى أنه لا توجد لدى الطفل فى الأيام الأولى من حياته سوى نوع من التهيج العام (Excitement) الذى لا نستطيع أن نتبين فيه انفعالا معيناً .

وسنحاول أن نعرض فيما يلى رأى كل من المدرستين مشفوعاً بالتجارب التى أجراها كل فريق :

يتزعم الفريق الأول (وطسن) الذى يقول : إن لدى الطفل عند ميلاده ثلاثة انفعالات هى :

الخوف — الغضب — الحب

ولقد توصل (وطسن) إلى هذا القول بعد إجراء عدة تجارب والقيام بالكثير من الملاحظات على المواليد من الأطفال فى مستشفى (بالتيمور) بأمريكا ، حيث كان يخضعهم لبعض المثيرات الخاصة ، ويدون الاستجابات الانفعالية الحادثة . فمثلا عند ما كان يوضع الوليد بين ذراعى الممرضة ، التى كانت تقربه من صدرها وتهزه بلطف ، لوحظ أن الوليد يكون فى حالة تدل على الارتياح ، كما أنه يبتسم إذا لمست الممرضة فمه لمساً خفيفا .

ولقد فسر وطسن كل هذه الاستجابات على أنها عبارة عن نماذج تدل على الحب والراحة (Love Comfort pattern) .

ومما لاحظه (وطسن) كذلك أنه فى حالة فقد الوليد للسند وهو فى ذراع الممرضة ، كان يشهق ويدفع ذراعيه إلى أعلى ؛ مما يدل على انزعاجه

---

(١) راجع كتاب سيكلوجية الطفولة والمراهقة للمؤلف (ص ٩٤) .

www.ibtesamah.com/vb

(Startle pattern) ؛ أما فى حالة وخزه بدبوس أو عند إحداث صوت مرتفع مفاجئ ، فقد كانت تحدث استجابة انفعالية من نوع آخر كالخوف والألم (Patten of fear & pain) ؛ وعندما كان يثبت ذراع الوليد إلى جانبه أو عندما يعاق عن القيام بأى حركة من حركاته ، فقد كانت تؤدى هذه الأعمال إلى البكاء مع احمرار وجهه ودفع ذراعيه . وقد عبر « وطسن » عن هذه الاستجابة الأخيرة بالغضب (Tage) .

وقد اعتبر « وطسن » كل المثيرات السابقة طبيعية ، أصلية (original) تثير الحالات الانفعالية التى وصفها (الحب والخوف والغضب) . وهذه الانفعالات موجودة عند الوليد ، وعن طريق التعلم ، تكتسب بعض المثيرات الجديدة صفات المثيرات الطبيعية ، ودلل على ذلك بالمثال التالى : إذا صاحب إحداث صوت مرتفع ظهور حيوان (أرنب مثلا) وتكررت العملية عدة مرات ، فإن ظهور الأرنب بمفرده كفيل بإثارة الخوف فى نفس الطفل ، ذلك لأن المثير الصناعى الجديد (وهو الأرنب) فى هذه الحالة قد اكتسب صفة المثير الطبيعى الأصلى وهو الصوت المرتفع .

أما الرأى الآخر فى تفسير الانفعالات وتطورها ، فإن نتائج أبحاثه لم تؤيد النتائج التى وصل إليها « وطسن » . فقد أجريت عدة تجارب على أطفال كانت أعمارهم تقل عن ١٢ يوما لمعرفة أثر الاستجابات الانفعالية عند تعرضهم لمثيرات خاصة مثل الجوع عن طريق تأخير الطعام لمدة ٣٠ دقيقة عن الميعاد الذى تعود عليه الطفل ، أو إسقاطه من ارتفاع ثلاثة أقدام على سرير رخو ، وقد كانت تؤخذ لكل هذه المواقف صورا سينمائية ثم تعرض على مجموعة من المشتغلين بعلم النفس والطب والتمريض ؛ وفى الوقت نفسه كان يطلب منهم أن يذكروا أى انفعال تدل عليه صورة الطفل . وإليكم بعض النتائج :

www.ibtesamah.com/vb

تجربة الجوع :

١٣ فرداً قالوا إن صراخ الطفل يدل على الغضب .
٧ أفراد » » » » » » الخوف .
٧ » » » » » » » الجوع .
٣ » » » » » » » الألم .
١ فردواحدقال » » » » » » الحزن .

تجربة السقوط (فقد السند) :

١٥ فرداً قالوا إن الصورة تدل على الغضب .
٥ أفراد » » » » » » الخوف .
٦ » » » » » » » الجوع .
٣ » » » » » » » الألم .

وهكذا نرى أن أفراد كل مجموعة من المجموعتين السابقتين لم يتفقوا على تحديد الانفعال الناجم عن كل مثير من المثيرات الطبيعية السابقة التى ذكرها « وطسن » ؛ وبناء على ذلك فإن ما يعتبره « وطسن » مثيراً طبيعيا عاما (Universal) ، لا يحدث نفس الاستجابة الانفعالية فى جميع الأطفال[1]. ففى حالة سقوط الطفل من يد مربيته مثلا لم تكن الاستجابة الانفعالية قاصرة على انفعال الغضب كما كان يقول « وطسن » بذلك ، بل كانت هناك بناء على التجارب السابقة تفسيرات أخرى ، فقد فسر البعض الاستجابة الانفعالية الناجمة عن نفس المثير بأنها حالة ألم وفسرها البعض الآخر على أنها حالة غضب .

ولقد أجريت تجربة أخرى لمعرفة مدى صحة ما وصل إليه (وطسن) من نتائج . وتتلخص التجربة فى أنه أطلقت طلقة من مسدس عندما كان الطفل فى حالة بكاء ، فلوحظ أنه — فى كثير من الحالات — كان يكف

(1) Fowler D. Brooks : Child Psychology (1941) P. 283.

www.ibtesamah.com/vb

عن البكاء عند سماع ذلك الصوت المفاجئ ، فى حين كان المفروض — على حسب رأى وطسن — أن يزداد بكاء الطفل ، لا أن يكف عنه عند سماع طلقة المسدس .

ومن بين التجارب الأخرى الحديثة التى لا تؤيد النتائج التى وصل إليها (وطسن) أبحاث كاترين بردجز [1] :

قامت (بردجز) بملاحظة عدد كبير من الأطفال فى العامين الأولين من عمرهم ، واستخلصت من ملاحظاتها ما يلى :

(أولا) لا نستطيع من مراقبتنا لطفل مولود حديثا أن نميز انفعالات محددة ، كما يقول بذلك (وطسن) إن الحكم بأن هنالك — فى هذه الفترة المبكرة — انفعالا كالغضب أو الخوف أو الحب قول لا يستند إلى دليل حاسم . وكل ما هنالك أن الطفل نتيجة للمثيرات التى ذكرها (وطسن) كان يقوم بنشاط انفعالى عام مصحوب بالبكاء أو ببعض الحركات العشوائية بقدميه أو بيديه .

(ثانيا) فى الأسابيع الأولى من حياة الرضيع لا تكاد تميز انفعالا محددا استجابة لمنبهات أو مثيرات معينة ، بل تكون الاستجابة الانفعالية تهيجا عاما (General Excitement) لا يظهر فيه انفعال بالذات . ثم عندما يتقدم العمر بالطفل يأخذ هذا التهيج العام فى التميز تدريجيا . ويمكننا إذ ذاك أن نتعرف انفعالات معينة . ثم تأخذ هذه الانفعالات فى التنوع والوضوح وإليكم التفصيل :

فى الشهر الثالث من ميلاد الطفل يلاحظ إلى جانب هذا التهيج العام ، نوعان جديدان واضحان من الانفعال هما : الارتياح — والضيق .

---

(1) K. Bridges : Emotional development in early infancy (Vol. 3) P. 324-344.

www.ibtesamah.com/vb

وابتداء من الشهر السادس يلاحظ أن انفعال الضيق (Distress) يتضح فيتخذ عدة أشكال ليست سوى انفعالات متميزة وهى انفعالات :

الغضب — والتفزز — والخوف .

ويقابل ذلك التنوع فى جانب الشعور العام بالضيق ، تنوع آخر فى حالة الشعور العام بالارتياح (Delight) فنلاحظ فى الشهر الثانى عشر أن هذا الشعور العام يأخذ صورتين جديدتين هما : الحنان — والزهو .

وحوالى الشهر الثامن عشر يتخصص انفعال الحنان ويتخذ مظهرين هما:

حنان نحو الصغار — وحنان نحو الكبار .

وهكذا ترى أن انفعالات الطفل فى نهاية السنة الثانية تنمو وتتنوع وتتخصص بعد أن كانت عبارة عن حالة تهيج انفعالى غامض . أى أن (بردجز) تؤيد فكرة التطور الانفعالى (Emotional Growth) ، شأنه فى ذلك شأن التطور العقلى والجسمى . فالأمر هنا لا يخرج عن كون النمو الانفعالى عبارة عن عملية تطور ، مثله فى ذلك مثل الجنين الذى يكون فى بدء تكوينه عبارة عن كل غامض ثم يكتسب هذا الكل الغامض — بمرور الزمن — صفات تكوينية تعمل على توضيح عناصر ذلك الكل ؛ ومثل الجنين فى ذلك مثل اللغة التى تكون فى المراحل الأولى من مراحل التعبير عبارة عن أصوات مبهمة يقوم بها الطفل ثم تتضح هذه الأصوات المبهمة تدريجياً وتأخذ أشكالا متنوعة ذات دلالات خاصة .

المظاهر الفسيولوجية فى الانفعال

إن معظم الدراسات والأبحاث التى أجريت على الإنفعالات ، كانت تتصل بصفة خاصة بالنواحى الفسيولوجية . وتشمل هذه النواحى الأمور الآتية :

www.ibtesamah.com/vb

(ا) إضطرابات التنفس . (ب) سرعة ضربات القلب .
(ج) جفاف الفم .
(د) نشاط الغدد التى تفرز العرق .
(هـ) بعض التغيرات الكيمائية فى الدم .
(و) إنقباض أو ارتخاء بعض عضلات الجسم .

وقد كان الغرض الذى قامت من أجله الأبحاث السابقة يرمى إلى تحقيق أمرين :

١ — معرفة الطريقة التى تحدث بها تلك التغيرات الفسيولوجية أثناء الإنفعال .

٢ — هل يوجد لكل انفعال مجموعة خاصة من التغيرات الفسيولوجية ؟

والنتيجة الهامة التى تمخضت عنها تلك الأبحاث والدراسات الطويلة ، هى : أنه من المتعذر أن نفرق بين انفعال وآخر عن طريق التغيرات الفسيولوجية ، أو بعبارة أخرى ، ليس من المستطاع الإستدلال على نوع الإنفعال عن طريق المظاهر الداخلية ، التى يمكن قياسها بواسطة أجهزة خاصة ، تستخدم لتسجيل حركات التنفس والضغط والنبض والتغيرات الكهربائية التى تحدث على سطح الجلد أثناء انفعال ما . ويمكن تسجيل المظهر الأخير بواسطة الجهاز المسمى «الجلفانومتر السيكلوجى» «Psycho — Glvanometer» [١] .

والطريقة المباشرة لمعرفة انفعال ما ، تقوم على ملاحظة المظاهر الخارجية ، وهى عبارة عن مجموع الحركات والتغيرات والانفعالات والأوضاع التى يتخذها الجسم . وفيما يلى نستعرض بعض الصور الدالة على تلك التغيرات :

---

(١) ارجع لكتاب الدكتور يوسف مراد « مبادئ علم النفس العام » لمعرفة طريقة استعمال الجلفانومتر السيكلوجى ، ص — ١١٣ ، الطبعة الأولى .

www.ibtesamah.com/vb

الصـورة الأولى : تعبر عن انفعال الرعب .

الصـورة الثانيـة : تعبر عن انفعال الدهشة .

الصـورة الثالثـة : تعبر عن إنفعال الحقـد .

الصـورة الرابعة : تعبر عن إنفعال الحزن .

(١) رعب

www.ibtesamah.com/vb

(٢) دهشـــة

(٣) حقـــد

(٤) حزن

هـذه الصور التعبيرية مأخوذة من :

Life Magazine	(١)
Leonard Carmaehael	(٢)
Sydney Morning Herald	(٣)
Feleky	(٤)

www.ibtesamah.com/vb

الإنفعال والدوافع :

تتصل الإنفعالات بدوافع السلوك إتصالا وثيقاً ، حتى تستطيع فى معظم الدوافع أن تميز انفعالا مصاحبا لها ، فدافع المقاتلة يصحبه انفعال الغضب ودافع الهرب يصحبه انفعال الخوف ، والدافع الجنسى تتصل به الشهوة ، ودافع الأمومة يلازمه الحنان .

ولكن ليس من السهل علينا فى الحياة اليومية أن نميز إلى جانب الدوافع إنفعالات بهذا التحديد . هذا إذا نظرنا إلى الدوافع فى ذاتها . أما إذا نظرنا إلى السلوك ، فقد جرت العادة على أن يقال : إن هذا السلوك سلوك منفعل (Emotional) وذلك سلوك غير منفعل (Unemotional)[1] ، ويقصد بذلك أن الإنفعال المصاحب للأول ، إنفعال قوى ، فى حين أنه فى الثانى ، إنفعال هادئ . فالحياة النفسية إذن لا يمكن أن تخلو من الإنفعال إن كنا بصدد سلوك نتج عن دافع .

وعلينا الآن أن نفسر لماذا نعتبر بعض الإستجابات منفعلة ، بينما نعتبر البعض الآخر غير منفعل . إن الإستجابات المنفعلة تنتج عن ظروف معينة نذكرها فيما يلى :

(١) عند ما يكون الدافع قوياً ، فهنا تصحب الإستجابة دائما حالة إنفعالية ، يقوم الكيان العضوى تحت تأثيرها بمجهود مضاعف لتحقيق الغرض . وقد يصل ضعف الدافع إلى درجة لا يتأتى معها الإنفعال . فقد يشتد دافع الجوع مثلا فينتج عن هذا حالة إنفعالية تتمثل فى الغضب والقلق والثورة عند تأخر الطعام . أما فى الظروف التى يكون الجوع فيها محتملا ، أو محاطاً بظروف تخفف من حدته ، كما يحدث حينما يكون الفرد صائما أو جالساً فى امتحان ، أو منشغلا بعمل هام ، ففى جميع هذه الحالات تقل حدة الدافع ومن ثم لا يصحبه الإنفعال .

---

(١) نفس المرجع ٢٩٨ — ٣٠٠ (جيلفورد) .

www.ibtesamah.com/vb

(٢) عندما تقف عقبة من العقبات فى سبيل تحقيق الدافع فإن وجود هذه العقبة يثير الانفعال ، ففى حالة ميل الفرد إلى تملك شيء ما ، إذا كان الحصول على هذا الشيء ميسورا ، لا تحول دونه أية صعوبة ، فليس ثمة داع إلى وجود انفعال . وعلى العكس من ذلك إذا اعترضت الصعوبات هذه الرغبة ، فإنه من الضرورى حدوث الانفعال الذى يحمل الفرد على أن يضاعف مجهوده للحصول على ما يرغبه .

(٣) الانفعال فى الحالتين السابقتين من النوع الإيجابى الذى يؤدى إلى تقوية الدافع . غير أنه هناك فى بعض الحالات الأخرى ، انفعال من النوع السلبى ، ومن أمثلة ذلك الانفعال : الشعور بالفرح والغبطة عندما يتحقق الغرض الذى يرمى إليه الدافع على نحو غير منتظر ، وكذلك عندما يزول عائق ، كان يقف ضد تحقيق الدافع فجأة .

متى يعد الانفعال دافعا ؟

تأخذ بعض الانفعالات فى ظروف معينة مظاهر خاصة ، تجعل منها دوافع ذات قوة خاصة تحرك الكائن الحى وتدفعه إلى القيام بسلوك معين . ومن أمثلة هذه الانفعالات انفعال الخوف . ونستطيع أن ندلل على ذلك بالمثال التالى :

وضع فأر فى جهاز صغير يتكون من حجرتين (ا ، ب) . بدأت التجربة بوضع الفأر فى الحجرة (ا) وسلطت عليه صدمة كهربائية . كررت التجربة عدة مرات لدرجة أن الفأر كان بمجرد وضعه فى هذه الحجرة — دون أن تسلط الصدمة الكهربائية — كان يشعر بالخوف والارتباك والرغبة فى الخروج من القفص . وهنا نستطيع أن نقول إن الفأر قد تعلم الخوف والإرتباك فى هذا الموقف ، وانه نتيجة لهذا التعلم أصبح يبغى التخلص من الموقف المؤلم بالنسبة له . ونستطيع أن نعبر عن ذلك بصيغة أخرى ، فنقول :

www.ibtesamah.com/vb

إن انفعال الخوف فى هذه الحالة أصبح دافعا يدفع الفأر على القيام بسلوك معين وهو الرغبة فى الهروب من الحجرة « ا » وقد اتضح ذلك جليا عندما فتح المختبر بابا يؤدى إلى الحجرة (ب) الخالية من وسائل التعرض للصدمات الكهربائية . وهنا هرب الفأر من الحجرة (ا) بمجرد أن أعيدت التجربة مرة أخرى ولجأ إلى الحجرة (ب) حيث كان يشعر بالأمن .

وما يقال عن الشعور بالخوف باعتباره دافعا يدفع الكائن الحى إلى أن يسلك سلوكا معينا ، فكذلك الشعور بالقلق من شأنه أن يدفع الفرد إلى أن يسلك سلوكا معينا يؤدى به إلى التخلص من هذا الشعور ؛ فالتلميذ الذى يضربه مدرسه عندما لا يقوم بواجباته المدرسية ، يشعر بالقلق ، وهذا الشعور يدفع التلميذ إذا ما طلب منه المدرس أن يقوم بعمل ما ، أن يؤدى هذا العمل فى الوقت المحدد له ، لأجل أن يجنب نفسه نتائج هذا الإهمال .

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الخامس

العواطف

معنى العاطفـــة

كيف تتكون العاطفة

بعض العوامل التى تصحب تكون العاطفة

أنواع العواطف

أهمية دراسة العواطف

دراسة لبعض العواطف بين جماعات الشيلوك

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل ٢٠١٨

معنى العاطفة

العاطفة استعداد نفسى ، ينشأ عن تركز مجموعة من الانفعالات حول موضوع معين ، ذلك لأن هذا الموضوع فى خبرة الشخص الماضية كان مثيراً لعدة ميول مختلفة ، ونتج عن تكرر هذه الاستثارة أن أصبح الفرد مستعداً للاستجابة الإنفعالية (على نحوما) له ، استجابة تختلف باختلاف الموقف الذى يوجد فيه . فالعاطفة إذن هى عبارة عن اتجاه وجدانى نحو موضوع بعينه ، مكتسبة بالخبرة والتعلم[1] .

والفرق كبير بين العاطفة والانفعال (Emotion) . فبينما يكون الانفعال تجربة عابرة ، إذا بالعاطفة (Sentiment) نزعة مكتسبة تكونت بالتدريج ، بعد أن مرت خلال تجارب وجدانية وأعمال عدة .

إن عناصر العاطفة ليست أموراً جديدة ، إذ هى موجودة أصلا فى نفس الفرد ، وإنما تنتظم فيما بينها ، ثم تدخل فى تركيب (Structure) لم يكن موجوداً من قبل .

إن هذه التراكيب أو المجاميع الجديدة تكسب الحياة الانفعالية المتقلبة قدراً من الانسجام ، وهى تتجمع من جديد فى مجاميع أوسع ، وهذه بدورها حين تتجمع ثانية فى نظام واحد شامل متناسق ، تكون ما نسميه بالشخصية . إن العواطف الثابتة تعطى الحياة الوجدانية نظاما واتساقا نحو أهداف بالذات وإن عاطفة قوية ، لهى كافية لتحديد نشاط الفرد واتجاهه فى حياته .

---

(1) Robert H. Thouless :
General and Social Psychology.
1944. Pp. 96 - 97.

www.ibtesamah.com/vb

فالعواطف تلعب دوراً هاماً فى حياة الإنسان . وهى مصدر معظم دوافعنا وجهودنا . تأمل عاطفة الأم نحو ابنها ، وتأمل كيف تصوغ هذه العاطفة حياتها وتشكلها ، وكيف تحدد كل سلوكها وتحفظ هـذا السلوك من جانب ابنها ومن أجله ، حتى آخر لحظة من لحظات حياتها ، وكيف تتحمل المتاعب والصعاب فى سبيله ، دون أن تشكو مرة أو تتبرم .

كيف تتكون العاطفة

رأينا أن الانفعالات التى سبق الـكلام عنها ، تميل لأن ترتبط بعضها ببعض ، ونريد الآن أن نتحدث عن نمـو العاطفة وتطورها من مرحلة بسيطة إلى أخرى أكثر تعقيداً . وسنأخذ على سـبيل المثال كيفية تـكون عاطفة الحب عند الأم نحو ابنها :

تـكون هـذه العاطفة فى مبدئها بسيطة جداً ، إذ تـكون عبارة عن تركيز لدافع الأمومة من أجل العناية بالطفل الضعيف ؛ وحتى فى هـذه المرحلة البدائية ، يمكن للعاطفة أن تولد عديداً من الخبرات التى ماكانت لتحدث فى غيابها ، فهى لا تسبب للأم مجرد انفعال بسيط بالعطف والحنان نحو الطفل ، بل تسبب لها باختلاف الظروف غضباً من أجل الحرص على مصلحته ، أو عتاباً إذا كان شقياً ، أو سروراً إذا كان سعيداً ، أو ألماً أو أملا أو قلقاً إذا مرض . وتسبب بالتالى اتخاذ مواقف وإجراءات خاصة تجاه هذا الشخص موضوع الانفعال .

وهكذا يتبين لنا إلى أى حد تـكون العاطفة فى شكلها المعقد ليست مصحوبة فحسب بانفعال عطف رقيق ، بل يدخل فى تركيبها انفعالات عدة تثيرها الظروف المحيطة بالشخص موضوع الانفعال . وكلما تعقدت العاطفة ، ازدادت الانفعالات الناتجة عنها اتساعا ، وتعقدت مظاهر النشاط الصادرة عنها .

www.ibtesamah.com/vb

وعلى هذا المنوال الذى رأيناه فى عاطفة الحب عند الأم نحو ابنها ، نستطيع أن نبين كيف تتكون عاطفة الحب نحو فتاة بالذات (انظر شكل ٤).

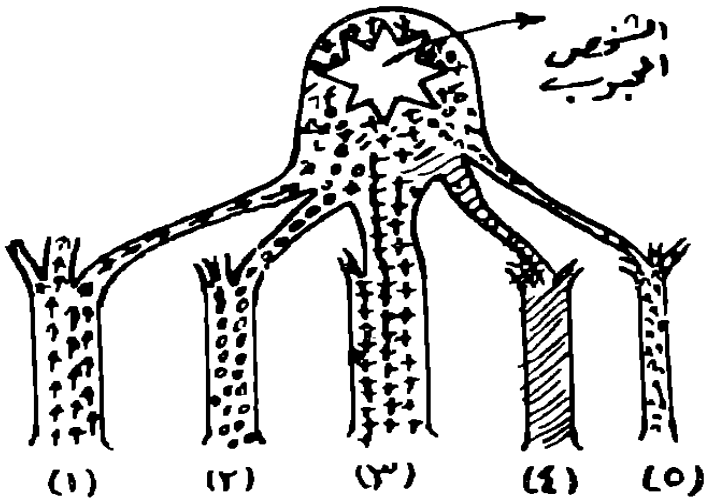

(شكل ٤) — يظهر فيه كيف تتكون عاطفة الحب — « عن كاتيل »

هذه العاطفة يدخل فى تكوينها انفعالات عدة .. فالفتاة تثير فينا إثارة متكررة شعوراً بالحنو . وكلما ازداد اتصالنا بها أتحنا الفرصة لانفعال جديد ، الخوف عليها إذا ما تعرضت للخطر . وتأخذ حالتنا الانفعالية فى التركيب والتعقيد كلما قويت علاقتنا بموضوع العاطفة . ومن هنا قد يتولد انفعال ثالث كالغيرة التى يثيرها وجود منافس فى حب الفتاة ، ويظهر أثر هذه الانفعالات جميعا بظهور انفعال رابع ، هو حب فى التملك وتستند هذه جميعا إلى ميل الجنس للجنس الآخر .

وما قلناه فى عاطفة الحب ، من أنها تكون وليدة تمركز عدة انفعالات نحو موضوع معين ، نستطيع أن نقول مثله فى عاطفة الكراهية (البغض). ولنفرض أن هذه العاطفة تكونت لدى تلميذ حول أحد مدرسيه ، ففى مثل تلك الحالة تبدأ عادة بانفعال الخوف ، حينما يجد الطفل نفسه أمام مدرس صارم غليظ ، ثم يحدث بعد ذلك أن ينضم إلى هذا الانفعال انفعالات أخرى كالغضب الذى تثيره عقوبات هذا المدرس المتكررة ،

www.ibtesamah.com/vb

والفرح الذى تثيره إصابة المدرس بمكروه ، والاشمئزاز والنفور عند رؤيته أو سماع صوته .

تمتاز العواطف جميعا بالاختلاف التام بينها ، وحتى إذا وجدت عاطفتان متشابهتان ، فلكل منها تركيب فريد ووظيفة خاصة فى حياة الفرد النفسية ، فلا توجد مثلا عاطفة حب على الإطلاق فى حياة أى إنسان ، ولكن توجد عاطفة حب نحو الإبن مثلا ، وعاطفة نحو صديقة معينة ، وعاطفة حب نحو صديق بالذات ، وهكذا . وكل عاطفة من هذه العواطف ذات تركيب خاص بها ؛ وصفة الفردية (uniqueness) هذه فى العاطفة ، ترجع إلى فردية الموضوع . وحتى إذا اكتسب شخص عاطفتين متشابهتين تماما من حيث التاريخ والتركيب فإنهما عاطفتان متميزتان ؛ فحب الأب لابنيه التوأمين، ليس عاطفة واحدة ، بل لديه نحو كل ابن عاطفة خاصة لها تاريخها التكوينى الذى يختلف عن تاريخ الأخرى . وما يقال فى عاطفة الحب ، يقال فى عاطفة البغض ، فكما أنه يستحيل أن تحب شخصين على نفس النحو ، وبنفس الكمية أو الدرجة ، كذلك يمتنع عليك أن تبغضهما بنفس الطريقة ؛ فهناك إذن — حتى بين العواطف المتشابهة — اختلاف كمى نوعى .

بعض العوامل التى تصحب تكون العاطفة

ظهر لنا مما سبق أن العاطفة تتكون نتيجة لتجمع عدة انفعالات حول موضوع معين ، غير أنه مما ينبغى أن نفطن إليه أن مجرد وجود هذه الانفعالات غير كاف لتكوين العاطفة ، ولكن لا بد إلى جانب ذلك من توفر بعض العوامل التى من شانها أن تساعد على تنظيم تلك الانفعالات فى تركيبات جديدة تكون العواطف :

www.ibtesamah.com/vb

١ — التكرار

لا يكفى لتحول الانفعال إلى عاطفة ، أن يحدث مرة واحدة ، ولكن لا بد لذلك من أن تتكرر مرات حدوثه حول الموضوع ، فالتكرار هو السبيل الوحيد لربط الانفعال به ، وتركزه حوله ، إلى جانب ما يثيره من انفعالات أخرى تدخل فى تركيب العاطفة ، وذلك واضح فيما ذكرناه عن تكون عاطفة حب الأم لابنها ، وعاطفة بغض الطفل للمدرسة ، فإن تكرار انفعال الحنو فى الحالة الأولى فى مواقف متنوعة ، وكذلك تكرار انفعال الخوف فى الحالة الثانية ، يعتبران النواة التى تجمعت حولها الانفعالات الأخرى المكونة للعاطفة .

٢ — الإيحاء والتقليد

وكثيراً ما يظهر أثر هذين العاملين فى تكوين العواطف الاجتماعية كالتدين والوطنية ، فإن أمثال تلك العواطف إنما تنشأ فى أحضان المجتمعات ، حينما يشب الفرد فيجد قومه ، وقد سيطرت عليهم عاطفة دينية خاصة ، فينساق فى تيارهم ، ويدين بما يدينون به ، ويقلدهم فى كل مظهر من مظاهره ، ثم لا يلبث أن يؤدى به إيحاؤهم له ، وتقليده لهم إلى ان يصدر عنه ذلك تحت تأثير عاطفة خاصة ، لا تقل صدقا ولا رقة عن عواطفهم .

وما يقال فى التدين يمكن أن يقال مثله فى الوطنية ، فالفرد فى الأمة التى تسودها تلك العاطفة ، يضم صوته إلى أصوات مواطنيه ، هاتفاً بعظمة بلاده وسيادتها ، واقفاً فى وجه أعدائها ساخطاً على المتربصين بها ، وسرعان ما تتولد لديه نتيجة لهذا كله ، عاطفة نحو الوطن ، تحمله على بذل كل مرتخص وغال فى سبيله ، حتى روحه التى بين جنبيه .

www.ibtesamah.com/vb

٣ — الاقتران

ويظهر أثر ذلك العامل فى تكوين عاطفة لدى شخص حول موضوع ذى صلة أو شبه صلة بموضوع آخر سبق أن تكونت لدى هذا الشخص عاطفة مماثلة نحوه ، فمثلا قد يفقد أحد الناس والده الذى يحبه ويحترمه ، فإذا رأى رجلا يشترك مع والده فى صفات معينة ، فقد يثير ذلك فيه عاطفة الحب والاحترام نحو ذلك الرجل ؛ وكذلك قد ينشأ عن بغض شخص للفقر أو للتدهور الاجتماعى أن يكون عاطفة البغض حول من يحرمون الفقير حقه أو يتسببون فى هذا التدهور ؛ وكذلك قد يتسبب عن بغض شخص ما للحرب وميله إلى السلم أن ينشأ لديه عاطفة نحو شعوب العالم ، تتمثل فى حب الخير للناس جميعا . وهذه هى الفكرة التى تنادى بها منظمة الأمم المتحدة ، التى تعمل على تكوين عاطفة دولية بين شعوب العالم قاطبة ، يكون من شأنها التخفيف من حدة الشعوب التى تنزع إلى الحرب[1] .

أنواع العواطف

نستطيع أن نقسم العواطف بحسب موضوعها الذى تدور حوله ثلاثة أقسام :

١ — عواطف تدور حول موضوعات مادية ، مثل عاطفة حب الأم لابنها ، والأب لأولاده ، والقارئ لكتاب معين ، والموسيقى لآلة خاصة ، وربة البيت لبيتها . . . الخ .

---

(1) R. B. Cattell
General Psychology (Revised Edition)
1947, pp. 167-172

www.ibtesamah.com/vb

٢ — عواطف تدور حول موضوعات جمعية ، كعاطفة المرء نحو عائلته ، أو حزبه ، أو مدرسة تربى فيها . . . الخ .

٣ — عواطف تدور حول موضوعات مجردة ، كعاطفة الميل إلى المثل العليا الأخلاقية (الأمانه — الصدق — الكرم الخ) ، أو عاطفة التقوى .

العواطف المادية

من الممكن أن ندرج القسمين الأول والثانى تحت هذا العنوان ، فمن الملاحظ أن كلا منهما يدور حول أمر مادى ، غير أن هذا الأمر فى الحالة الأولى (مفرد) وفى الحالة الثانية (جماعة) .

ومن هنا نجد أن فى تسمية القسم الأول بالعواطف المادية الفردية ، والثانى بالعوطف الماديه الجمعية ، تبسيطاً للبحث العلمى ، ومطابقة للواقع.

وقد سبق أن تحدثنا عن بعض العواطف المادية الفردية كعاطفة حب الأم لابنها ، وعاطفة حب شخص لفتاة ما ، وعاطفة بغض التلميذ لمدرسه . و سنتحدث الآن عن عاطفة مادية فردية أخرى ، لها قيمة تربوية كبرى ، ألا وهى عاطفة اعتبار الذات (Self-Regarding Sentiment) .

عاطفة اعتبار الذات

لو أننا استعرضنا هذه العاطفة ، لوجدنا أنها تنشأ فى ظل الظروف المختلفة للطفل ، وتتأثر إلى حد كبير بالبيئة المحيطة به ؛ فالطفل فى الأسابيع الأولى من حياته ، تكون علاقته بأمه قائمة على أساس تحقيق حاجياته الأولية ، فهى بالنسبة له ، مصدر الغذاء والشراب واللذة الحسية والأمن الذى يتصل بالنواحى الحسية . وهنا تنشأ أول علاقة تبادلية بين الطفل وأمه ، تقوم على أساس حسى وتؤثر على نمو الطفل .

www.ibtesamah.com/vb

إن طبيعة هذه العلاقة الأولية تمتد جذورها إلى النواحى (البيولوجية) ، ومن ثم يصح لنا أن نطلق عليها علاقة اجتماعية بيولوجية (Biosocial)[١] ذلك لأن الطفل يتعذر عليه أن يواصل حياته دون هذه العناية التى يقوم بها شخص آخر خارجى (غالبا الأم) ، يمده بالطعام والشراب والحماية ، وفى أحضان هذه العلاقة الثنائية تنشأ هذه العاطفة .

ونلاحظ أنه مع النمو الجسمى والعقلى للطفل ، تنشأ علاقة جديدة بينه وبين المحيطين به ، وتمتد إلى باقى أفراد الأسرة : الأب والأقارب والأخوة ، تقوم على أسس نفسية ، قوامها المحبة والعطف والمشاركة الوجدانية .

وبالتدريج يلاحظ الطفل ، أنه لا يحوز على رضى هؤلاء ، دون أن يظهر شيئا من الطاعة والنظام ، ومن ثم فهو يحاول دائماً أن يعدل عن سلوكه التلقائى ، ويوفق بين رغباته ورغباتهم .

وهو إذ يفعل ذلك ، يكتسب عطفهم ورضاهم عليه : وإن ترك نفسه تعمل مدفوعة بما لديه من نزعات وميول ديناميكية (يكون بعضها غير مهذب) ، تعرض للعقاب والحرمان والإهمال . وهكذا ترى أن سلوك الطفل فى هذا الدور البدائى التكوينى ، يخضع إلى حد كبير لعاملين مهمين : الثواب والعقاب وما يصاحبهما من مدح أو ذم .

وهنا يبدأ الطفل فى تكوين فكرة عن نفسه ، تكون فى أساسها مستمدة من فكرة الآخرين عنه ، ومعنى ذلك أن فكرة الطفل عن نفسه ، فى صورتها الأولى ، تشتق من رضى المحيطين به أو سخطهم عليه . وكلما تقدمت به السن ، حاول جاهدا أن يلائم بين ذاته وبين ذوات غيره ، ممن تكون لهم صلة مباشرة به ، لأن هذا النوع من الملاءمة أو التكيف (Adaptatian) ، مدعاة لتجنبه العقاب .

---

(١) Kimball Young; A Handbook of Social Psychology 1948 p. 131.

www.ibtesamah.com/vb

نرى مما سبق أن فكرة الطفل عن نفسه لا تنشأ منفردة منعزلة ، بل هى وليدة التفاعلات المستمرة القائمة بينه وبين المحيطين به ، فهى إذن عملية ديناميكية لا تقف ، فى دور تكوينها ، عند حد معين ، وكلما اتسعت دائرة معاملات الفرد ، أدى به ذلك إلى أن يحد من ميوله الأنانية الداخلة فى تكوين فكرته عن نفسه .

إن النمو العقلى والنمو الخلقى عند الفرد ، إنما هما فى الحقيقة عملية واحدة من وجهين مختلفين ، فمن الخطأ أن تفصل كلا عن الآخر ، وتتم هذه العملية الواحدة بتكون عاطفة نحو الذات[1] .

وتعتبر عاطفة اعتبار الذات المصدر الأساسى لأكثر خبراتنا الانفعالية ، وأكثر جهودنا شدة ودواما ؛ أى أن أقوى دوافع السلوك تصدر عن هذه العاطفة . تصور هذه الطاقة التى لا تنفد والمتوفرة فى عاطفة اعتبار الذات ، لدى شخص عظيم الطموح ، تصور الجهود الجبارة التى يبذلها منذ طفولته إلى شيخوخته ليكون ممتازاً على غيره ، وتصور هذه المواظبة الجنونية على عمله ، والتى تؤدى به إلى أن يضحى بسعادته وراحته وسعادة زوجته وأبنائه من أجل هذا الطموح ، ثم أى حزن ينتابه إذا لم يحقق غرضه ، وأى سرور يحسه إذا نجح .

وتتسع عاطفة اعتبار الذات بحيث تتعدى الذات إلى كل ما يتصل بها ، ويشمل ذلك المنزل الذى يعيش فيه والكتب التى يقرؤها والملابس التى يلبسها ، وأبناءه (سواء أكان يحبهم أم لا يحبهم) ، إن كل هذه العناصر تكون ذاته الكبرى ؛ فما يمسها من مدح يثير زهوه ، وما يوجه لها من مذمة يثير ألمه ، وتتسع الذات الكبرى فتشمل ما هو أوسع من العائلة كالشعب والجماعة والمدرسة ، تلك الجماعات التى ينخرط فى سلكها

---

(1) Mc Duogall : Energies of Men.

www.ibtesamah.com/vb

الشخص ، فيتحد معها ، وعلى هذا فأهم الحقائق التى يقوم عليها علم النفس الاجتماعى ، هو أن الميول الأنانيـة الداخلة فى عاطفة اعتبار الذات ، تجبر صاحب هـذه العاطفة على أن يعمل لخير الجماعة التى ينتمى إليها ؛ ومعنى هذا . هو أن الجماعة التى ينتمى إليها الشخص ، كما أنها موضوع لعاطفة حبه ، فهى أيضاً (لكونها جزءاً من نفسه الكبرى) موضوع لعاطفة اعتبار الذات ، ولذا كانت ميول عاطفة اعتبار الذات تجد ارضاء لها فى العمل على خير الجماعة ورقيها .

عواطف نحو الموضوعات الجمعية

ومن موضوعات تلك العواطف ، الأسرة والمدرسة والأمة . إن العواطف التى تتكون نحو هذه الجماعات لهـا دور توجيهى تقوم به فى حياة الفرد .

إن من أشهر العواطف الجمعيـة وأكثرها شيوعاً وتغلغلا فى حياة الإنسان ، هى عاطفة الإخـلاص والتفانى فى سبيل العائلة ، وينتج عن ذلك أن كل ما يقع من لوم أو مدح أو احتقار أو إعجاب على العائلة يصيب كل فرد من أفراد هذه العائلة .

إن هذه العاطفة تتصل اتصالا كبيراً بعاطفة اعتبار الذات . فإذا كان الفرد طموحا أراد هذا الطموح لعائلته ، وهكذا يحدث شىء من الاختلاط والاندماج بينه وبين باقى أفراد عائلته ، ويكون لهذا الاندماج أثر كبير فى تسيير الحياة الإنسانية .

عواطف نحو الموضوعات المجردة

هذه الموضوعات هى فى العـادة صفات الشخصية والسلوك ، تلك التى تدرس عادة فى الفلسفة الخلقية مثل : الأمانة ، الشجاعة ، الكرم ، القسوة ، الحقد ، العدل . . . الخ .

www.ibtesamah.com/vb

وإن العواطف، التى تتكون تجاه هذه الموضوعات المجردة ، من ميل ونفور وحب وكراهية وإعجاب واحتقار ، هى أساس التقاليد الخلقية ، وهى أثمن شىء يمتلكه الإنسان .

ولنفهم كيفية تكوين مثل هذه العوطف ، يحسن بنا أن نشير إلى أن كثيرا منها يكون من تقاليد البيئة الاجتماعية ، التى تنتقل من جيل إلى جيل حتى تصبح صفات خلقية سائدة ، ولا يمكن أن يكتسبها الإنسان ، إذ كان يعيش بمعزل عن رفاقه ، ولكن إذا ما شارك الناس فى أعمالهم تنمو عنده هذه العواطف .

ويبدأ عند الطفل تكون هذه العواطف الأخلاقية ، إذا ما اتصل بأشخاص يتصفون بهذه الصفات الخلقية الحميدة لأن ذلك يؤثر فيه ؛ فعن طريق المشاركة الوجدانية وكذلك بالإيحاء من الأشخاص الذين يعجب بهم الطفل ، يمكنه أن يكون مثل هذه العواطف ، فإعجاب الطفل لشخص ما ، يسهل عملية المشاركة الوجدانية ، التى تثير انفعالاته نحو الصفات الخلقية . . . فالطفل يقبل حكم المعجب به ، ويرغب دائما فى أن يكون مثله ، فيعمل على تقليده ، حتى إذا نما واتسعت مداركه ، اتسع أفقه فى اختيار المثل العليا للإعجاب ، فبدل أن كان يجد مثله الأعلى فى شخص موجود بالفعل كوالده أو مدرسه مثلا ، فقد يتخذه من شخصية تاريخية ، أو من شخصية خرافية قرأ عنها أو سمع عنها ، وكثيرا ما يوحى بذلك إلى الطفل ، تلك القصص التى تمر به فى كتب المطالعة والتاريخ ، أو تلك الروايات السينمائية التى تتسم بطابع البطولة وتعرض ألوانا من المروءة والتضحية ، ومن ثم يجب علينا أن نحرص كل الحرص فى اختيار الكتب التى يتداولها الأطفال ؛ على أن نحسن استخدام هذه الوسائل ، حتى تؤدى رسالتها فى إمداد الأطفال بالمثل العليا .

www.ibtesamah.com/vb

العاطفة السائدة وكيف توجه سلوك الفرد

نلاحظ فى بعض الأفراد أنه تكون لديهم عاطفة سائدة تسيطر على بقية ما لديهم من عواطف أخرى ، كما تكون موجهة لسلوكهم ، ويعرف هذا النوع من العواطف بالعاطفة السائدة ، فقد يحدث فى شخص ما أن تكون العاطفة السائدة نحو جمع المال ، كما أبرزنا ذلك فى شخصية البخيل (لبلزاك)[١] ، وقد يحدث فى شخص آخر أن تكون العاطفة السائدة هى حب الذات أو حب الوطن أو حب الدين .. وهكذا .

ولقد استطاع الكاتب القصصى (بلزاك) أن يبرز لنا فى إحدى رواياته صورة حية لشخص تسيطر عليه عاطفة سائدة نحو أولاده ، فقد قدم لنا فى هذه القصة نموذجاً بشرياً من نوع أصيل ، هو « الأب جوريو » الذى خلق أباً وكفى ، وكانت أبوته كل شىء ، بل هى الأبوة الخالدة التى لا تعرف غير الحنان الجارف والتضحية الصادقة التى طغت على كل شىء وسلبته كل شىء ، ولم تعرف فى الدنيا شيئاً اسمه حب الذات أو اسمه الحق أو المنطق أو الأخلاق ، ما دام الأب يهدف إلى سعادة أولاده .

وفى هذا يقول (بلزاك) على لسان (الأب جوريو) :

« وما حاجتى إلى أكثر من هذا ؟ إن حياتى قد اختزلت فى هاتين البنتين . فإذا نعمتا بالحياة ، فإنى ناعم البال ، وإذا كانت لهما بسط من حرير ، فما يضيرنى أن تكون أرضى عارية ليس فوقها بساط . وإذا كانت ملابسهما من حرير ودمقس واستبرق ، فما يضيرنى ماذا أكتسى وأين أضع رأسى ! فإنى وأيم الحق لا أشعر بالبرد إذا هما نعمتا بالدفء ، ولا سبيل

---

(١) ارجع لما سبق أن اقتبسناه من هذه القصة .

www.ibtesamah.com/vb

للأحزان إلى نفسى ما شعرتا بالبشر . . . ولكنك لا تدرك معنى ما أقوله لك الآن إلا حين تغدوا أباً ، فحينئذ ستعرف قيمة التافه من بغام بنيك ، وسيستبد بك الزهو لأنهم خرجوا من صلبك ! وستحس أن دمك يتحرك فى عروقهم ، وأن الدم الذى فى عروقك يضطرب بانفعالاتهم ، وأن أعصابك تتحرك بحركات جوارحهم وخطو أقدامهم . . . فنظرة حزن أو كآبة من إحدى هاتين البنتين تكفى لتجميد دمى ! فكيف تأسى على حياتى ، وأنا رجل أحيى بهذا الحب الأبوى ثلاث حيوات لا واحدة وكفى ! أجل ياصديقى ، إننى لا أتمنى شيئاً سوى سعادة بنتى . فدلفين هذه إذا وجدت رجلا يسعدها ويشعرها بالنشوة التى تحسها المرأة إذا شعرت أنها محبوبة ومعشوقة بإخلاص . . . أقول اننى مستعد أن أمسح بنفسى حذاء هذا الرجل . . . وأن أكون له بمثابة الخادم من السيد ! ولكن وا أسفاه ! فقد علمت من وصيفتها أن هذا السيد دى مرساى إن هو إلا كلب حقير ، فهو يسومها عذاب الهجر ، حتى لقد قام برأسى أكثر من مرة أن ألوى عنقه فأخنقه بيدى ! ياله من بهيم : أمثل هذه الجوهرة الحلوة بين النساء لا تعبد حباً ! إن صوتها كغناء البلبل ، وقدها كأنموذج الفنان الكامل . . . ولست أدرى ماذا قام برأسها حتى رضيت بهذا الإلزاسى المتكبر دى نوسنجين بعلا لها من دون الرجال جميعاً . . . لقد كان يلزم لكلتيهما زوجان طيبان جميلان لطيفا المعشر . . . ولكنهما تصرفتا على هواهما . . .

* * *

« وكان الأب جوريو فى (مرافعته) هذه رائعاً فى بلاغته ، لأنها بلاغة الحديث الصادر من القلب نصا . فما أقدر العواطف الصادقة على إحداث المعجزات ، فهذا الرجل النذر الكلام ، الثقيل اللسان ، قد جعلت منه عاطفته الكبيرة إنساناً رائعاً وخطيباً مفوهاً ، فانطلق لسانه ، وصار

www.ibtesamah.com/vb

فى نبرة صوته غنى ، وأشرق وجهه وخلقت له شخصية قوية من العدم ... فأخذ الفتى بما رأى منه وما سمع . . . » .

ثم تتسلسل حوادث القصة ونرى (الأب جوريو) على فراش الموت وقد هجرته بنتاه ورفضتا المجىء لوداعه الوداع الأخير بالرغم من أنه كان قد تنازل لهما عن كل ما يملك فى سبيل إسعادهما . . .

« — لقد قالت لك ابنتاى إنهما قادمتان يا كريستوف ، أليس كذلك؟ إذهب إليهما مرة أخرى وقل لهما إنى متوعك ، وإنى أشتاق أن أقبلهما وأن أراهما مرة أخيرة قبل أن أموت . قل لهما هذا ، ولكن بدون أن تفزعهما » .

وانصرف كريستوف باشارة من ايجين واستطرد الشيخ المريض :

« — ستأتيان ، فإنى أعرف الناس بقلبهما . لعمرى أن هذه المسكينة دلفين ستحزن حزناً مبرحاً إذا أنا مت . . ونازى أيضاً . . لا أريد أن أموت حتى لا تبكيان . . والموت ياعزيزى ايجين معناه الحرمان من رؤيتهما ... فلا ريب فى أننى سأشقى أينما ذهبت ، إلى جنة صرت أو إلى نار . . فالجحيم الحق لدى والد بمعنى الكلمة هو حيث لا يكون بنوه . . . ولكننى قضيت سنوات التحضير والتمرين على هذا الجحيم منذ تزوجت بنتاى . . . أما نعيمى ، فكان فى بيتنا القديم فى شارع جوسيين . . . وإذا قدر لروحى أن تطوف بالأرض فى بعض الأحيان كما يزعمون أن الأرواح تطوف ، فلا ريب عندى أنها ستطوف بذلك البيت السعيد .. وإنى لأراهما الساعة كما كانتا فى تلك الدار ، تهبطان فى الصباح فتغردان فى سمعى : عم صباحاً يا أبتاه . . فآخذهما بين ذراعى ، وأضعهما فى حجرى ، وأظل أداعبهما ساعة طويلة ، ثم نفطر معاً ، ونتغذى معاً ونتعشى معاً .. لقد كنت فى هذا الوقت أباً سعيداً . وكانتا متحابتين . رباه ! لماذا لم تبقيا صغيرتين ؟ . . آه ! ما أشد هذه الآلام التى تنتابنى . . ولو كانتا هنا ،

www.ibtesamah.com/vb

وكانت يداهما الصغيرتان فى يدى ، لكنت أجلد وأقوى على احتمال آلامى الجسدية المبرحة . . فهل تعتقد حقاً أنهما ستأتيان ؟ كم كنت أتمنى أن أذهب أنا بدلا من كريستوف ، لأنه هو سيراهما ، أما أنا فباق هنا ! . . ولكنك كنت معهما فى الحفلة الراقصة بالأمس يا ايجين ، فخبرنى كيف كانتا تبدوان ؟ لم تكونا تدريان طبعاً مبلغ مرضى . . يا لهما من مسكينتين! انهما لا تزالان فى حاجة إلىّ ، وثروتهما تحوطها المخاطر . . . اشفونى سريعاً ، حتى أحاسب زوجيهما الوغدين ! اشفونى فلا بد لهما من المال ، وأنا أعرف من أين أحصل على هذا المال : سأذهب كما كنت أذهب وانا فى شرخ الفتوة إلى أوكرانيا وأوديسا لأستورد القمح وأربح الملايين مرة أخرى من أجلهما . آه : إن أوجاعى تثقل على احتمالى ! . . وسكت الأب جوريو لحظة كأنما يستجمع قوته لتحمل آلامه ثم تمتم :

— لو كانت ههنا لما شكوت .. ولماذا كنت أشكو ؟

ثم هدأت أنفاسه برهة طويلة حتى ظنه ايجين قد نام ، فلما دخل كريستوف تركه يفضى إليه بما لديه بصوت مسموع :

— سيدى ، لقد ذهبت أولا إلى سيدتى الكونتس ولكن لم أستطع مقابلتها لأنها مشغولة مع زوجها بأمر ذى بال . فلما ألححت خرج إلى الكونت بنفسه وقال لى : أتقول إن السيد يحتضر ؟ ليكن فخير ما يستطيعه أن يموت . أما الكونتس فأنا فى حاجة إليها فى الوقت الحاضر لإتمام مسألة مهمة ، فإذا أتمتها ذهبت إليه ، وكان يبدو عليه الغضب ، فلما هممت بالخروج إذا بالكونتس تظهر فجأة وتقول لى: « قل لوالدى يا كريستوف إننى مشغولة بالمباحثة مع زوجى ولا أستطيع أن أتركه الآن لأن الأمر يتعلق بحياة طفلى أو موتهما ، ولكننى سأذهب إليه متى فرغت من تسوية الموضوع » . أما البارونة فلها قصة أخرى : فقد قالت لى وصيفتها : « لقد عادت سيدتى من المرقص بعد الخامسة صباحاً وهى الآن لا تزال

www.ibtesamah.com/vb

نائمة ، وإذا أيقظتها عاقبتنى . ولكنها متى استيقظت سأخبرها بسوء حال أبيها » . وتوسلت إليها بلا جدوى ، فطلبت مقابلة البارون فقيل لى إنه خرج .

فصاح راستيناك مغيظا :

— أما من واحدة منهما تخف إلى أبيها ؟ سأكتب إليهما .

فقال الشيخ المريض :

— أجل ما من واحدة ! فكلتاهما مشغولتان إما بالمشاكل أو بالأحلام . كنت أعلم أنهما سوف لا تأتيان . ويظهر أن الإنسان لا يمكن أن يعرف حقيقة أبنائه إلا حين يحم قضاؤه . فاسمع نصيحتى يا ولدى ولا تتزوج ولا تنجب أولادا لأن بنيك قاتلوك لا محالة . تخرجهم إلى الدنيا فيخرجونك منها . كلا إنهما سوف لا تأتيان . ! وكنت أعلم هذا منذ عشر سنين وكنت أردده بينى وبين نفسى فى بعض الأحيان ولكننى لم أجد فى نفسى من الشجاعة كفاء تصديقه .

وجالت فى عينى الشيخ دمعتان وقفتا حائرتين بين المقلة والجفن دون أن تسيلا منهما .

— . . . آه . لو أننى كنت غنياً ولم أنزل عن ثروتى لهما ، لكانتا الآن إلى جوارى تلعقان خدى بقبلاتهما ، ولكنت الآن فى قصر مشيد جميل الحجرات ، زاخر بالخدم ، تدفئه النار بغير حساب ، ولكانتا الساعة لا يرقأ لهما دمع إلى جوار سريرى هما وزوجاهما وأطفالهما . أما الآن فلا شىء من هذا كله ، لأننى بلا مال ، ولأننى أعطيت كل ما يمكن أن أعطى . كلا ! بل إننى أفضل هذا الفقر المدقع الذى صرت إليه ، فإن الفقير إذا شعر أنه محبوب أيقن أن هذا الحب خالص لذاته حقا ؟ . كلا ! بل ليتنى كنت لا أزال غنياً ، فإنه لا يحق للأب أن يكون فقيراً ، فماله هو اللجام الذى تجتمع به فى يده أعنة بنيه ! رباه . . ها هما تتوجان

www.ibtesamah.com/vb

ماسامتانى إياه عشر سنين سوياً . . يا إلهى ! إنك تعلم كم قاسيت منهما وكيف شربت من يديهما كئوس الإذلال مترعة حتى الثمالة ، وكيف كانت شمس كل صباح تدخر لى طعنة من خنجر مسموم تغوص فى سويداء قلبى بسببهما أو من يدهما ، فلماذا يا إلهى تعرضنى اليوم لهذا العذاب الجديد ؟ ألم يكف ما تحملته تلك السنين العشر للتكفير عن جريمة حبى إياهما حباً أعظم مما ينبغى ؟ إن ابنتى كانتا هما الشر الذى صنعت أمام الله . . . كانتا هما موضوع خطيئتى ورذيلتى ! إن ابنتى كانتا عشيقتى ، كانتا خمرى التى أدمن عليها ، والميسر الذى لا أصبر عنه . وكم من مرة كنت أرى فى عينيهما أنهما تخجلان منى ومن جهلى بآداب السلوك فى دنياهما الجديدة . ولكن لم تكن سنى تسمح بإدخالى المدرسة من جديد . . رأسى تؤلمنى ، آه لو فتحها لى الطبيب ليخف بعض هذا الضغط عليها . . بنتى انستازى دلفين ! ! أريد أن اراهما . . ارسلوا إليهما الشرطة لتحضرا ولو بالقوة ! القضاء والقانون والطبيعة فى جانبى لإجابة هذا الطلب ! إلى أين ينحدر الوطن وإلى أى هاوية يساق المجتمع إذا كان الآباء يداسون بالأقدام كما أداس ؟ أريد أن أراهما وأسمع صوتهما ، مجرد صوتهما ، حتى ولو كانتا تقذفاننى بالشتائم . ولكن قل لهما إذا هما حضرتا لا تنظرا إلى نظراتهما الفاترة كما تعودتا أن تفعلا معى ، وإن كنت أتجاهل أننى لا أشعر بهذا الفتور . فقد أحببتهما كثيراً بحيث ارتضيت لنفسى مهانة أن أتخفى وأتوارى لأراهما خلسة وهما تجتازان الطريق فى حفل من زينتهما وركبهما الفاره . ولكن ها أنذا أموت ميتة البعير ولا تخفان لرؤيتى فى ساعتى الأخيرة . أريد ابنتى ! أريدهما فأنا الذى صنعتهما » .

وتوفز فجلس فى فراشه وقد تشعث شعره الأبيض وتشنجت عيناه فهو فى حالة من الهياج العصبى الخطر ، فأخذ يهدئه ايجين :

www.ibtesamah.com/vb

« — نم يا أبى فسأكتب إليهما ، ومتى حضر بيان شون سأتوجه إليهما بنفسى إن لم تكونا قد جاءتا » .

فأخذ الشيخ المريض ينشج بالبكاء ويقول :

« — إن لم تأتيا ؟ إننى إذ أموت دون أن أراهما أنشق غيظاً وينفطر قلبى كمداً ! بل إن الغيظ والكمد ليستوليان على وجدانى الساعة ، فها أنذا أرى حياتى كلها فى هذه اللحظة كما لم أرها من قبل ، فقد انقشعت عن عينى غشاوة الغفلة التى زودتنى بها عاطفة الأبوة المفرط . ما دامتا لم تأتيا حتى الآن ، فهما لن تأتيا أبداً . ولكن لا بأس من رحمة الله ، فسيتولى أبناؤهما الانتقام لى . ماذا أقول ؟ بل هذه هى دلفين . ألم أقل لك من قبل إنها هنا ، إنها خير الاثنتين . فأوصيك بها ياولدى إيجين خيراً ، أحبها وكن لها أباً من بعد أبيها . أما الأخرى فمسكينة ليس لها فى الدنيا من يرعاها . آه لقد زاد على الوجع ، اقطعوا رأسى ، فإنه يؤلمنى ولاحاجة لى به . حسبى أن يكون لى قلب ! »

فقال إيجين وقد فزع للتطور الذى طرأ على حالة الشيخ :

« — يا كريستوف ، ادع بيان شون حالا واحضر لى عربة . سأذهب يا أبى لأحضر ابنتيك بنفسى » .

« عنوة ! بالقوة ! خذ معك الشرطة ، وقل للحكومة وللنائب العام إننى أريدهما بأى شكل » .

— ولكنك كنت تلعنهما منذ لحظة .

فبهت الشيخ وقال له باستنكار :

« — من قال هذا ؟ أنت تعلم كم أحبهما وأعبدهما ، إن بمجرد رؤيتهما سوف يشفينى مما بى . فاذهب يا ولدى العزيز الطيب القلب على بركة الله . كم كنت أود ان أشكرك على طيبة قلبك ، ولكن ليس لدى ما أمنحك إياه إلا دعوات رجل شقى يقف على أبواب الآخرة . أريد أن أرى

www.ibtesamah.com/vb

دلفين على الأقل لأوصيها بك نظير المعروف الذى صنعت معى . فإذا لم تأت الأخرى فهات دلفين ، فإنها لن تعصاك وستأتى من أجلك . اسقونى ! أحشائى تحترق . ضعوا شيئاً على رأسى . ضعوا فوقها يدى بنتى ، فإن هذا هو دوائى الناجع ، رباه من يجمع لهما ثروة من جديد إذا مت أنا ؟ أريد أن أشفى لأسافر من أجلهما إلى أودسا لاستيراد القمح » .

— هدئ روعك ، فستراهما هنا بعد قليل .

— رأسى . أحشائى . إنى أموت . إنى أباركهما .

وراح فى غيبوبة ، وفى هذه اللحظة دخل بيان شون ففحص عينيه وهز رأسه وقال :

— لا أظن أنه سيفيق من هذه النوبة . وخير له أن يموت لكى لا يطول عذابه . والمال ! من أين لنا المال لإعداد كل ما يلزم ؟

فأخرج إيجين ساعته وقال لبيان شون :

— اودعها رهينة واقترض عليها ما يمكنك من المال . فإنى لا أريد أن أضيع دقيقة واحدة ، ولا بد أن أجد هنا مالا أدفع منه أجر العربة عند عودتى من لدن هاتين البنتين الجاحدتين . . . .[1] »

أهمية دراسة العواطف

إن العواطف تعمل دائما على أن تنظم الانفعالات لدى الفرد ، فلو ترك إنسان ما دون تنظيم لانفعالاته ، أصبحت حياته مهوشة ، لا نظام فيها ولا انسجام ، وبغير ذلك لا يمكن أن يتميز الإنسان عن سائر الكائنات الحية الأخرى ، التى نستطيع أن نقول بصفة عامة ، إنها مجردة من العواطف على النحو الذى أوضحناه .

---

(١) من مطبوعات دار الهلال (١٩٥٢) .

www.ibtesamah.com/vb

إن للعواطف أهمية كبرى فى توجيه السلوك ، فهى فى نظرنا عبارة عن (وحدة الخلق) ولما كان أمر تكوينها يخضع خضوعا تاما للبيئة التى تحيط بالطفل — وتشمل تلك البيئة المنزل والمدرسة والشارع والجامع والجيران والمسرح والسينما ، وكل من يتعامل معهم الطفل ، سواء أ كان ذلك من قريب أو بعيد — فمن المهم إذن أن نعتنى كل العناية بإصلاح هذه البيئة ، وإعدادها إعداداً طيباً يكون له أثره الصالح ، فى الأفراد الذين يعيشون فيها ، ويتأثرون بها . ولعله من الملاحظ أن من أهم العوامل البيئية تأثيراً فى الطفل منزله ومدرسته ، ومن هنا وجب أن يكون الكبار الذين يختلط بهم الطفل فى المنزل ، نماذج حسنة للأخلاق الفاضلة ، والعواطف السامية ، لأن الطفل ينظر إلى من يكبره ، محاولا تقليده فى كل ما يصدر عنه ، ومشاركته فى كل ما يجده ويشعر به .

والمدرس مطالب ، إلى جانب ما يطالب به خلطاء الطفل فى المنزل ، بأن يعمل جهد طاقته على ألا يشعر الطفل بفارق كبير بين المنزل والمدرسة ، حتى لا يكون إهمال ذلك مدعاة إلى نفوره من المدرسة وتبرمه بها ، بل إن رسالة المدرسة لا تؤدى تمام الأداء ، إلا فى جو يسوده الصفاء والوئام بين الطفل والمدرس . فبالعطف والتلطف فى المعاملة ، يستطيع المدرس أن يكون فى الطفل عاطفة تتجه نحوه بالميل والحب ، يتبعها تجاوب بين التلميذ ومعلمه ، ويؤدى ذلك كله ، إلى أن يكون حديث المدرس ومادته من الأمور المحببة إلى نفس الطفل ، فيقبل إليها ويفطن إليها ، ويتقبلها بصدر منشرح ونفس مشرقة ، وبهذا تنجح المدرسة فى تأدية رسالتها .

أما إذا أخفق المدرس فى تحبيب التلاميذ إليه ، وعاملهم بالقسوة والغلظة ، فالنتيجة الحتمية لذلك ، نفورهم منه ، وبغضهم لما يدرسه لهم من مواد ، وبذلك تكون العلاقة السيئة بين المدرس والتلميذ سبباً فى

www.ibtesamah.com/vb

سوء العلاقة بين التلميذ والمادة التى يتحتم عليه الإلمام بها . وهنا قد لا تصيب المدرسة من النجاح فى تأدية مهمتها قسطاً كبيراً .

ولا يقتصر واجب المدرسة على تحسين العلاقة بين الطفل والمدرسة ، بل يجب أن يتعدى ذلك إلى تحسين العلاقة بين التلاميذ بعضهم مع بعض ، بخلق جو من الألفة والتضامن ، وتكوين عاطفة من الحب والميل بينهم ، عن طريق إشراكهم فى كل ما من شأنه أن يدفعهم إلى التعاون والعمل مجتمعين ، والفرص كثيرة لتحقيق هذا الغرض فمنها تكوين الجمعيات المدرسية والنوادى الرياضية ، والاهتمام بالحفلات ، والإكثار من الرحلات .

وهكذا تتكون من عاطفة حب التلميذ لمدرسه ، وزملائه ، والمواد التى يتلقاها ، عاطفة نحو المدرسة بصفة عامة ، فيقبل عليها إقبالا يؤدى إلى نجاحه فيها أولا ، ثم إلى توفيقه فى خوض معترك الحياة أخيراً .

عاطفة اعتبار الذات والمدرسة :

يجب ألا نترك عاطفة اعتبار الذات حتى تصل إلى الدرجة التى يسيطر فيها الزهو والغرور على نفس الطفل ، وتغلب عليه الكبرياء حتى تجره إلى عدم الاكتراث بالغير ، وعدم المبالاة بالقوانين الاجتماعية والواجبات المدرسية . كما أنه ليس لنا أن نجتث من نفسه هذه العاطفة وندعه ذليلا خانعاً ، ولكن الأنسب أن نتخذ موقفاً وسطاً نوفق فيه بين هذين الطرفين المتقابلين فنرقى ميله للخنوع والاستكانة حتى يدرك ما له من الحقوق ، ونطأطئ ميله إلى الزهو والكبر حتى يشعر بما عليه من واجبات .

وفى المواد الدراسية ، ما يتيح للمدرس تحقيق ذلك ، فبدراسة التاريخ ، واستعراض سير الأبطال ، والإشادة بعظمتهم ، والثناء على كفاحهم فى سبيل اسعاد أوطانهم ، يستطيع المدرس أن يقدم للتلميذ مثلا

www.ibtesamah.com/vb

عليا ، يتخذ منها ما يروقه ، ويقتدى بمن يحوز إعجابه ودهشته ، وبذلك يرقى فى نفسه الميل إلى الخنوع ويجنح إلى شىء من السمو والطموح . وبدراسة الدين والتربية الوطنية ، وتعليم الطفل ما يجب عليه نحو دينه ونحو أمته وبنى وطنه ، وتحديد الموقف الذى يجب أن يتخذه حيال واجباته الاجتماعية ، والمدرسية ، يستطيع المدرس أن يلطف من زهو الطفل وغروره ، وأن يستحثه على احترام مواطنيه والاكتراث بواجبه ، وبهذا كله يصدر سلوك الطفل على أساس من الخلق والاعتدال .

وحتى نستطيع أن نوازن بين هذين الميلين المتقابلين ميل الطفل إلى الخنوع وميله إلى الزهو ، يجب أن نلم فى شىء من التفصيل بالعوامل التى يستند إليها كل منهما ، حتى نتمكن على ضوئها من سلوك الطريق الذى يوصلنا إلى غايتنا على بصيرة واطمئنان .

بعض العوامل التى تنمى عاطفة اعتبار الذات :

١ — تقدير مجهودات التلاميذ وتشجيعهم .

٢ — أن نغرس فى نفوسهم الاكتراث بالواجبات ، والشعور بالمسئوليات ، وذلك من شأنه أن ينمى فيهم انفعال الزهو .

٣ — العمل على إيجاد الفرص التى تتيح للتلاميذ أن يظهروا مواهبهم والبعد عن إظهار مواطن الضعف فيهم ، فهذا من شأنه أن يثير فى أنفسهم الميل الانفعالى للاستكانة .

٤ — تعويد التلاميذ أن يعتمدوا على أنفسهم ، فى حل المشاكل التى تصادفهم إذا كان فى مقدورهم .

بعض العوامل التى تحد من عاطفة اعتبار الذات :

١ — التقليل من شأن المجهود الذى يبذله التلميذ ، وازدراؤه ، والإكثار من تأنيبه .

www.ibtesamah.com/vb

٢ — الاستمرار فى مؤاخذة الطفل بذنب ارتكبه ، أو إلصاق بعض الأوصاف المذمومة به كأن يطلق عليه « غشاش » أو « غبي » ... الخ.

٣ — انتقاد الطفل فى أمور تتعلق بمظهره سواء أكان ذلك يتصل بثيابه أو بشكله .

٤ — إرهاق التلاميذ بالأعمال والواجبات وصعوبة الامتحانات حتى يشعروا بالعجز والقصور .

العواطف نحو الفضائل :

يقف إدراك الطفل عند الأمور المحسوسة ، فهو لا يستطيع إدراك المعانى الكلية التى ليس لها وجود ، فى عالم المشاهدة ؛ وما دام الأمر كذلك ، فإننا نبذل مجهوداً مضاعفا ، إذا حاولنا بطريق مباشر أن نفهم الطفل معنى الفضيلة ، والأخلاق الحميدة ونحثه عليها ، أو أن نفهمه معنى الرذيلة والخصال الذميمة ونحذره منها ولكننا نستطيع تحقيق ذلك إذا ما حاولنا أن نصبغ له تلك النظريات بصبغة عملية وأن نعطيه النماذج والمثل التطبيقية التى يتمكن بواسطتها من إدراك هذه المعانى كأن نثنى على تلميذ صدق فى قوله مبينين للتلاميذ علة ذلك الثناء ، وكأن نكافىء آخر على أمانته ، شارحين لزملائه سر مكافأته . وعلينا دائما إذا أردنا تحبيب التلاميذ فى الأخلاق الفاضلة ، والمثل العليا الخلقية ، أن نتحرى فى ذلك الطريق غير المباشر ، ولعل أنجح الوسائل فى إبراز المثل وتحبيبها إلى التلاميذ ، هو سرد القصص التهذيبية التى تصور لهم المثل العليا فى صور ملموسة محسة .

وبالتدرج فى هذا مع مراعاة التطور العقلى للطفل ، يصل الطفل إلى المرحلة التى تؤهله لتجريد المعانى من المحسوسات ، وفهم المثل العليا بعيدة

www.ibtesamah.com/vb

عن الأشخاص ، وتكوين عاطفة تدور حولها بالحب والميل ، بعد أن تقف عند نماذجها ، والصور التى تمثلها ، وتقوم على تطبيقها .

ويا حبذا لو استبدلنا بسرد القصة سرداً لفظياً ، عرضها فى صورة عملية عن طريق التمثيل مثلا ، فإن مشاهدة التلميذ للروايات الأخلاقية ، واشتراكه فى تمثيلها بمدرسته من أكبر الدواعى على إفهامه للفضائل وتحبيبه فيها ، وبمثل هذه الطريقة نستطيع أن نكون لديه عواطف نحو الصدق والأمانة والمروءة والتضحية والاكتراث بالواجب إلى غير ذلك من الخصال الحميدة .

ومن الممكن أن نأخذ الطفل بطريقة عملية فى تعويده تلك الخصال ، فعن طريق الألعاب الجمعية تنمو لديه ميول نحو التعاون ، والتفانى فى سبيل الجماعة ، وعن طريق الرحلات الكشفية تتكون لديه عواطف نحو الصبر وتحمل المشاق ؛ ولا شك أن أخذ الطفل بهذه الطرق يؤدى إلى نتائج لا يمكن أن يؤدى إليها تلقينه ذلك بالكلام ، أو إرغامه على التزامه بالتخويف والعقاب .

www.ibtesamah.com/vb

دراسة لبعض العواطف
بين
جماعات الشيلوك بجنوب السودان

عنى المؤلف بدراسة بعض العواطف وذلك عندما أرسل فى بعثة علمية إلى جنوب السودان لدراسة الخصائص النفسية والاجتماعية لقبيلة الشيلوك وهى إحدى القبائل النيلية التى تقيم بمديرية أعالى النيل فى منطقة ضيقة تقع على الضفة القريبة للنيل الأبيض.

وسوف نضمن هذا الجزء من الكتاب ما لاحظناه من سلوك يتصل بالعواطف الثلاث التاليـــة ، لنرى إلى أى حد تتفق أو تختلف هذه العواطف فى طبيعتها عن مثيلاتها فى البيئات المتحضرة هذه العواطف هى:

(١) عاطفة الزوجية .
(٢) عاطفة الأمومة .
(٣) عاطفة الأبوة .

وسنعالج كلا من هذه العواطف على حدة :

عاطفة الزوجية بين جماعات الشيلوك :

وتبدأ قصة أى زواج فى منطقة الشيلوك (بصفة عامة) على النحو التالى :

يشاهد الفتى الفتاة فى إحدى الحفلات الراقصة التى يختلف إليها سكان القرى المجاورة ، أو يقابلها فى أحد الأسواق التى تقام فى المدن للبيع والشراء . فإن تم التعارف والإعجاب بينهما اتفقا مبدئيا على أن يتخذ كل منهما الآخر زوجا له . ثم تمضى الفتاة إلى أسرتها تنبئهم بذلك ، ويكون غاية ما يعنيهم من الأمر أن يكون الزوج الذى اختارته ابنتهم لنفسها قادراً على أن يدفع المهر . وعلى الرغم من أن الزوجين يختار كل منهما

www.ibtesamah.com/vb

بصفة عامة شريك حياته إلا أن العلاقة بين الرجل والمرأة بين جماعات الشيلوك هى أشبه ماتكون بالعلاقة التى تربط السيد بالمسود ؛ وهذا الرأى يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن المرأة فى حياتها الزوجية تلعب دور الأمة فى هذه البيئة البدائية . صحيح أن لها حرية التنقل والاختلاط بغير الزوج من الرجال وغشيان الأسواق للبيع والشراء ، إلا أنها لا تملك أمر نفسها من جهة وهى كذلك واقعة تحت ضغط التقاليد التى تحول بينها وبين التنفيس عن كامن عواطفها نحو زوجها من جهة ونحو أولادها من جهة أخرى ، بمعنى أنه ليس لها حق الاعتراض على زواج رجلها من امرأة ثانية . وهى كذلك لا تستطيع أن تبقى فى كنف زوجها إن أراد أهلها التفريق بينهما لعجزه عن أن يقوم بسداد متأخر المهر من الأبقار ، حتى وإن كانت تشعر نحوه بالولاء والمحبة .

وهى ، إن انفصل عنها زوجها لسبب من الأسباب ، لا تستطيع أن تستبقى أولادها فى حضانتها إذ الأولاد عند الشيلوك ملك خالص للزوج .

وتلعب المرأة كذلك دور الدابة فى حياتها الزوجية فهى مثقلة بالأعمال الشاقة إذ تعمل فى زراعة الحقول وفى قطع الأخشاب من الغابة واستحضارها إلى مسكن الأسرة إذ من العار عند الشيلوك أن يرى الرجل وقد حمل على رأسه حزم الأخشاب اللازمة للوقود . كما أنها تقوم بجلب المياه من الأنهار فى أوعية من الطين المحروق من أمكنة قد تكون بعيدة جدا وقد تتكرر هذه العملية عدة مرات فى اليوم الواحد .

وبالإضافة إلى هذه الأعمال التى تقوم بها الزوجة خارج الحلة فإنها تقوم كذلك بمهام داخل المسكن : تعد الطعام وتقوم بطهيه ونقله إلى حيث يكون الزوج إذ من عادة الشيلوك ألا يأكل الزوج إلا بين صحابته

www.ibtesamah.com/vb

من الرجال، وفوق هذا كله تقوم الزوجة بوظيفتها كأم فتشرف على تربية أطفالها ورعايتهم وإطعامهم .

والذى يدفعنا إلى الاعتقاد بضآلة قيمة المرأة فى هذا المجتمع أن نظام الأسرة فيه يقوم على سلطة الأب فهو رب الأسرة وعميدها والمسئول الأول عنها . والنتيجة الحتمية لهذا الوضع أن فرض الرجل سلطانه على زوجته وأولاده . إن هذا المجتمع البدائى — من هذه الناحية — يختلف عن بعض المجتمعات الأخرى التى تسود الأم فيها . فقد حدثنا (مالينوفسكى) أن سكان جزر « تروبرباند » فى الشمال الشرقى من غينيا الجديدة لا يعرفون أن الأب هو أصل إنجاب الأطفال إذ أن الدور الفسيولوجى الذى يلعبه الأب غير معروف عندهم . وإنما تؤمن الزوجة أن هناك أرواحا صغيرة (tiny spirits) تنفذ إلى رحم الزوجة ، وأن هذه الأرواح مصدر إحدى أقارب الزوجة من النساء المتوفيات[1] فتجعلها تحمل وتنجب ، وطبقا لهذه المعتقدات لا يجد الرجل المتزوج أى علاقة تربطه بالأبناء الذين تنجبهم الزوجة ، فهو بالنسبة لهم شخص غريب ليس له عليهم أى سلطان أو نفوذ . ولكل هذا فإن الآباء ينتسبون إلى أمهم لا إلى أبيهم . ومن ثم يصبح الأبناء تحت سلطان خالهم بدلا من أبيهم[2].

ومن هذا نستخلص أن مجتمع الشيلوك يختلف عن بعض المجتمعات البدائية الأخرى التى وصفها (مالينوفسكى) فى كونه يجعل السيادة للزوج بوصفه رب الأسرة ورئيسها ، فهو مجتمع يسير على النظام الأبوى

---

(1) B. Malinowski :
(a) The Father in Primitive Psychology (Psyche Miniatures, 1927).
(b) "Baloma, spirts of the Dead". Journ. R. Anthrop. Inst.", 1916.

(2) Malinowski : Sex and Pepression in savage Society (1937) P. 10—11.

www.ibtesamah.com/vb

(Patriarchal) ، وتبعا لذلك فالمرأة فى هذا المجتمع دون الرجل فى المنزلة فهو صاحب الكلمة العليا فى الأسرة وليس للمرأة إلا أن تؤمر فتطيع .

ومما يدعو كذلك إلى الإقلال من مركز المرأة بالنسبة للرجل حصول الزوج على زوجته فى مقابل الأبقار التى قدمها لأسرتها كشرط أساسى من شروط الزواج . إن من عادات القبائل البدائية ومن بينهم الشيلوك أن أى زواج لا يكون شرعيا إلا بعد أن يدفع الزوج مهراً عينيا لأسرة الزوجة يختلف من حيث النوع باختلاف تلك القبائل ، فقبائل (الساموا Samoa) التى تعيش فى بيئة بحرية يدفع مهر الزوجة فيها قواقع وأصداف ، على حين أن بعض القبائل الأخرى تقبل قضباناً من الحديد أو قدورا من عسل النحل ، أو تعهد بالقيام بخدمات لأسرة الزوجة أو تقديم فتاة أخرى يتزوجها أحد أفراد أسرة الزوجة .

والشيلوك بوصفهم إحدى القبائل البدائية تشبه القبائل السالفة الذكر ، ولكنها تعيش فى بيئة زراعية رعوية للبقرة فيها المكان الأول من الأهمية ؛ ومن ثم اعتبرت البقرة كوحدة للتعامل للحصول على الزوجات ، ويتراوح مهر الزوجة فى هذه البيئة بين ١٠ — ١٢ بقرة . ويزداد هذا العدد من الأبقار فى بيئة أخرى مجاورة للشيلوك إلا أنها أكثر رخاء ، فعند قبيلة (الدنكا) يتراوح مهر الزوجة بين ٤٠ — ١٠٠ بقرة وذلك على حسب حالة الزوج المادية ، ومركز الفتاة من الناحية الاجتماعية .

وقد كان موضوع تلك المهور العينية موضع جدل بين علماء (الأنثروبولوجيا) . هل ما يقدم من أبقار لأسرة الزوجة يعتبر بمثابة عربون لتوثيق عرى الرابطة بين الأسرتين المتصاهرتين ، أو أنه رهينة تقدمها أسرة الزوج تأكيداً منها على أنها ستحسن معاملة الزوجة بحيث إنه إذا لم يحدث ذلك حق لأسرة الزوجة أن تستبقى لنفسها من المهر لقاء

www.ibtesamah.com/vb

ما حاق بالزوجة من أضرار نتيجة هذا الزواج الفاشل ، إذ جرت العادة أن يخصم من المهر المقدم بقرة فى نظير معاشرة الزوج لزوجته ، وأربع بقرات لكل بنت ولدتها الزوجة ، وثلاث بقرات لكل ولد أنجبته الزوجة .

ومن علماء (الأنثرويولوجيا) من ينظر إلى الزواج القائم على دفع الأبقار على أنه صفقة تجارية وأن المهر يدفعه الزوج لتصبح الزوجة جزءاً من ممتلكاته . وهذا ما يجعل بعض الباحثين ينظرون إلى العلاقة بين الرجل وزوجته فى هذه البيئات على أنها علاقة بين سيد ومسود .

فنحن الآن أمام ثلاثة من الآراء لكل منها مؤيدها . وفى اعتقادنا أنه ليس من الضرورى أن يتضمن دفع الأبقار كشرط أساسى لشرعية الزواج ، على أن المرأة قد بيعت للزوج ، ذلك أنه فى بعض البيئات الأخرى المتحضرة والتى تحترم حقوق المرأة يقوم الزواج على أساس تقديم مهور نقدية . إن هذه المهور لا توحى مطلقا بفكرة الحيازة والامتلاك أو بفكرة البيع والشراء ، فالمرأة فى هذه البيئات التى تبيح شرائعها المهور النقدية ، لها كامل حريتها فى كنف حياتها الزوجية .

ونحن لانود إزاء هذا التفسير أن نسوى بين مركز المرأة والرجل بين جماعات الشيلوك ذلك أننا من أنصار ذلك الرأى الذى يعتقد أن مركز المرأة بين هذه الجماعات أقرب إلى مركز الأمة فى حياتها الزوجية ونعتمد فى اعتقادنا هذا على أدلة أخرى نوردها فيما يلى :

(أولا) توريث الزوجة :

هناك نوعان من الزواج بين جماعات الشيلوك : — زواج يقوم فى أساسه على الاختيار . وزواج « الوارثة » . ولقد سبق أن ذكرنا الشرط الأساسى لجعل الزواج شرعيا ، ألا وهو دفع المهور العينية ، ثم بينا كيف يتم كل ذلك فى حدود العادات والتقاليد فى جو حر يقوم على إعجاب الزوج بزوجه .

www.ibtesamah.com/vb

أما فى حالة النوع الثانى من الزواج ، فقد جرت عادة الشيلوك ألا تكون الزوجة بعد وفاة زوجها حرة التصرف فى نفسها ، فهى بموجب ما دفع لها من مهر أصبحت رهينة لأسرة الزوج . . . ومن ثم فملكيتها تعتبر حقا من حقوق الابن الأكبر له حق معاشرتها (على ألا تكون والدته) فإذا لم يكن للزوج المتوفى أولاد كبار آلت الزوجه بعملية تلقائية إلى شقيق زوجها أو إلى أحد أقربائه الآخرين إذا لم يكن له أشقاء . ولا يعتبر زواج الوراثة عند الشيلوك موضع فخر وإعجاب بين الرجال فكثيرا ما ينكر رجل ورث امرأة عن أبيه أو أحد أقاربه أنه متزوج إذ أن ما يفتخر به فى الزواج فى نظرهم أن يختار الزوج زوجته لا أن تؤول إليه عن طريق التقاليد . كذلك قد يحدث أن يموت الزوج فتظل الزوجة فى مسكن زوجها تنتظر أن يتقرر مصيرها وتعلم إلى أى رجل من أقارب الزوج ستؤول .

وهنا يتضح أن الزوجة مسلوبة الإرادة تنتقل من منزل زوجية إلى آخر رغما منها فإذا ما رفضت رفع أمرها إلى القضاء المحلى فإما أن تجبر على العودة وإما أن يعيد أهلها إلى أسرة الزوج ما سبق أن قدموه من ماشية على أن يخصم منه نصيب ما أنجبت من بنين وبنات وذلك على حسب التقاليد .

وقد يحدث فى بعض الحلات أن تهرب الزوجة بعد وفاة ، زوجها وهنا نجد الشخص الذى يكون له حق ميراثها قد سعى للبحث عنها فى كل مكان . يذهب إلى كل قرية وقد يضطره الأمر إلى السفر مسافات بعيدة إلى المدن الكبيرة حيث تجذب أنوار تلك المدن أمثال أولئك النساء فيعملن فى الدعارة لكسب قوتهن وليكن فى مأمن من زوج لاتربطهن به أية عاطفة . أما إذا قدر للوريث العثور على الزوجة الهاربة ، عاد بها ليضمها إلى مجموعة نسائه .

www.ibtesamah.com/vb

(ثانيا) تعدد الزوجات :

إن أهم ظاهرة يمتاز بها الزواج عند الشيلوك إذا ما قارناهم بأى مجتمع أوروبى هى إباحة الزواج بأكثر من زوجة واحدة . إذ ليس من تقاليدهم أن تقام العقبات أمام الزوج فى التعاقد مرة بل ومرات للحصول على أكثر من زوجة . وفى العادة أن الزواج عندهم لا يقوم على وحدانية الزوجة ، إلا فى حالات استثنائية ، كأن يكون الزوج غير راغب فى ذلك مثلا ، أو أن يضطر الفرد إليه اضطرارا .

إن الزواج بأكثر من امرأة ليعتبر دليلا على مقدار ما يناله الفرد من نجاح فى حياته وما له من أهمية بين جماعته . إن وحدانية الزواج فى الجماعات البدائية التى تعيش فى إفريقيا ، يعتبر بصفة عامة ضرورة وليس أمراً اختياريا[1] . ومن المألوف أن تجد فى الأسرة الواحدة أكثر من زوجة واحدة للرجل الواحد ، حتى ليتراوح عددهن أحيانا فى حالات مشايخ القرى والعمد بين ست أو سبع زوجات ، تعيش كل منهن فى مسكن خاص ، وإن كانت مساكنهن متجاورة . وقد ضرب (كود) الملك الحالى لقبيلة الشيلوك رقما قياسيا فى تعدد الزوجات . وعلى الرغم من أن حياته الخاصة تعد سرا لا يجوز الاطلاع عليه للغرباء ، فقد علمنا من بعض خاصته أن عدد زوجاته يبلغ نحو المائة ، يعشن جميعا فى بلدة فاشودة مقر الحكم . فمنهن اليافعة ، ومنهن الطاعنة فى السن التى آلت إليه عن طريق آبائه وأجداده ، ومنهن المراهقة ، ومنهن الطفلة . ويقوم بالإشراف على كل هؤلاء النسوة إحدى شقيقات الملك اللائى تحرم تقاليد الأسرة المالكة فى الشيلوك عليهن الزواج — وتقوم شقيقة الملك بتنظيم حياته

(1) Survey of African Marriage and family life, edited by Arthur Phillips.

www.ibtesamah.com/vb

فى وسط هذا الحشد الهائل من النساء ، فهى شبيهة إلى حد كبير (بالكلفاوات) اللائى كان لنا عهد بهن فى قصور ملوكنا السابقين .

إن مبدأ تعدد الزوجات ليعد أكبر دليل على عدم المساواة بين الرجل والمرأة ، فالمرأة تقبله دون اعتراض لأنه جزء هام من مقومات حضارتهم . ونستطيع أن نؤيد وجهة نظرنا بالحوار التالى . دار هذا الحوار بينى وبين إحدى القرويات اللائى يعشن بالقرب من (كاكا) ، وهى بلدة تقع على الضفة الغربية من النيل الأبيض . وكانت هذه القروية الساذجة تبلغ من العمر ما يقرب من ٢٥ عاما :

— ألا يضيرك أن يتزوج زوجك من امرأة ثانية ؟

— لا ، على الإطلاق .

— فكيف إذن وقد شاركتك امرأة أخرى زوجك ؟

— إن هذه عادة الشيلوك ، ولا تنسى أن الرجل سيد البيت ، وأن أمره مطاع ، وأن الزوجة الجديدة ستساهم فى حفظ كيان الأسرة بالتعاون معنا فى زراعة الأرض وجنى الثمار وقطع الأخشاب من الغابة للطهى وجلب الماء من النهر .

— فهل يستأذنك زوجك إذا ما اعتزم الزواج من امرأة ثانية ؟

— نعم . وقد جرت عادتنا على أن يتشاور الزوج مع زوجاته القدامى فى هذا الموضوع . كما جرت العادة ألا يعترضن طالما كان لديه من الأبقار ما يكفى لإتمام هذه الزيجة الجديدة على شرط ألا يضير ذلك حالة الأسرة المعيشية فى شىء .

ثم أضافت قائلة : « لا تنسى أن للزوجة الأولى مركزها الخاص الممتاز فى الأسرة . قلت لها : فلنصرف النظر الآن عن أن للرجل السيادة عندكم ، وأن هذه هى عادات الشيلوك ، فهل يترتب على وجود أكثر من زوجة بعض مضايقات فى الأسرة ؟

www.ibtesamah.com/vb

— إذا لم يكن الزوج عادلا فى معاملاته بين الزوجات بحيث انه يوثر إحداهن على الأخريات ، أدى ذلك إلى أن يمتلئ جو الأسرة بالمشاحنات بين الزوجات بعضهن وبعض من جهة ، وبينهن والزوج من جهة أخرى .

أما عن اتجاهات الزوج نحو نظام تعدد الزوجات فيتضح من الحوار التالى :

رجل فى حوالى الخمسين من عمره ، يشتغل بالزراعة وبصيد الأسماك وفرس البحر ، تزوج الرجل من ثلاث زوجات وأنجب منهن عشرة أطفال ، أكبرهم يبلغ الرابعة عشرة من عمره . تزوج الرجل زوجته الأولى فى عام ١٩٤٠ . وبعد انقضاء خمس سنوات على زواجه الأول ، تزوج مرة أخرى وفى عام ١٩٥١ تزوج الزوجة الثالثة .

سألت الرجل :

— هل شاورت زوجتيك عند زواجك المرة الثالثة ؟

— نعم ، تناقشت مع كل منهما فى هذا الموضوع .

— وكيف كان شعور كل منهما ؟

— كان سرورهما بالغا عندما أبنت لهما عن مقصدى ، حتى لقد طلبت الزوجة الثانية أن تشاركها الزوجة الجديدة مسكنها الخاص إلى أن يتيسر لنا تدبير مسكن خاص بها .

— وما الذى يدفعك ، وأنت متزوج من اثنتين ، إلى أن تضيف إليهما الثالثة ؟

— إن ما يدفعنى إلى الزواج من أكثر من واحدة هو رغبتى فى أن تكون لى أسرة كبيرة من البنين والبنات . كما أننا معشر الشيلوك لا نقرب الزوجة وهى حامل ولا أثناء فترة إرضاعها لولدها ، وهذه فترة قد تمتد حتى يبلغ الولد من النمو درجة تمكنه من الوقوف على قدميه ، فإن لم تكن لى إلا زوجة واحدة ، كان على أن أعيش زمناً طويلا دون أن أشبع الحاجة الجنسية .

www.ibtesamah.com/vb

ومماسبق يتضح أن نظام تعدد الزوجات ، وإن كانت التقاليد تفرض قبوله على المرأة ، إلا أنها تحس دون شك بالثورة عليه فى قرارة نفسها . وأصدق دليل على ذلك ما يحدث من منازعات ومشاحنات بين الزوجات المختلفات فى منزل الزوجية الواحد . إن أى تحليل للدافع الذى يكمن وراء هذه المنازعات يرجع فى أساسه إلى انفعال الغيرة الكامن فى هذه القلوب المهيضة الجناح ، الذليلة ، المغلوبة على أمرها .

إن الغيرة تقتل المرأة الشيلكاوية ولكنها لا تعرف كيف تتحدث عنها ، إلا أنها تكمن وراء الكثير من تصرفاتها أثناء حياتها اليومية العادية ، فهى تثور وتغضب إذا ما اعتدى على أولادها أولاد (ضرتها) ، وهى تضرب عن العمل فى الحقل أو الغابة إذا ما آثر زوجها إحدى زوجاته بسمكة اصطادها أو بعقد من الخرز أو بقطعة قماش براقة اللون ، وهى تهجر منزل الزوجية إذا لم يكن الزوج عادلا حكيما فى تصرفاته مع زوجاته كأن يفضل إحدى الزوجات على الأخريات أو أن يرعى أولاد واحدة دون الأخرى .

إن مظاهر المنازعات متنوعة ، إلا أن أسبابها واحدة ، والزوج خلال كل ذلك ، إما أن يغفلها ، وإما أن يوقع العقاب على المتسببة فى إثارة النزاع فقد يضربها ضربا مبرحا وقد يهددها ويتوعدها ؛ وعندئذ تعود الحياة الزوجية تحت هذا الوعيد إلى هدوئها السابق لفترة من الزمن ، لا تلبث بعدها أن تعود إلى الخصومات والنزاع إن نشب فى الإسرة ما يؤدى إلى هذا .

www.ibtesamah.com/vb

(ثالثا) التنازل عن الزوجات :

من المألوف بين الشيلوك أن يتنازل الرجل عن زوجه أو زوجاته لمن يريد . فقد يحدث أن يتنازل الملك عن إحدى زوجاته لأحد المشايخ أو العمد الذين يمثلونه فى إقليم من الأقاليم المتباعدة التى تتكون منها مملكته . فكثيرا ما يجتمع هؤلاء بالملك اجتماعات دورية ثم يخص كل منهم بهبة من هبات الملك وكثيرا ما تكون تلك الهبة زوجة من بين زوجات الملك العديدات . ولا شك أن هذا شرف كبير للشيخ أو العمدة أو القريب . وقد حدث أن كان يرافقنا فى زيارتنا للملك، شاب من شباب الشيلوك ، تربطه بالملك رابطة قرابة ، كان يطلب العلم بالجامعة الأزهرية ، وقد انقطعت أخبار هذا الشاب عن الملك فترة طويلة ، وعندما رآه معنا سره ذلك ثم أعرب له عن شعوره نحوه بأن وهبه زوجة صغيرة من زوجاته عاد بها الشاب مغتبطا . ومن المألوف كذلك أن يتنازل الوالد لولده عن إحدى زوجاته . فقد يحدث أن يصاب الوالد بعلة أو بضعف جسمى عام يحول بينه وبين معاشرة زوجاته ، فينزل لولده عن إحداهن . والعجيب أنه على الرغم من هذا التنازل ، فإن ماينجبه الولد من أبناء من هذه الزوجة لا ينتسبون إليه بل إنهم ينتسبون إلى الزوج الأول والد الزوج .

(رابعا) اتخاذ الزواج وسيلة للحصول على المال :

يحدث فى بعض الحالات القليلة — أن يتفق والد الفتاة أو ولى أمرها ، فى حالة وفاة الأب ، مع رجل ذى جاه أو ثروة على أن يزوجه الفتاة ، على غير رغبة منها ، طمعا فى جاه الزوج ومركزه الاجتماعى . وقد وقع فى خبرتنا أن فتى من فتيان الشيلوك كان يريد الزواج فى الوقت الذى يلح عليه دائنوه فى طلب الدين . واهتدى هذا الشاب إلى فكرة

www.ibtesamah.com/vb

تحقق له مايريد فتريحه من أعباء الدين حين علم أن مايقدم من مهر للزوجة بين جماعات الدنكا يزيد بكثير على المهر الذى يدفعه الرجل فى الشيلوك لزوجته . ولهذا فقد صحب أخته وعبر بها النهر إلى حيث يقيم بعض الأفراد من قبيلة الدنكا ، وهناك عرضها للزواج . وتم له مايريد ، إلا أن الزوج اشترط ألا تتم مراسيم الزواج وأداء المهر إلا بعد أن يعطى فرصة يتأكد خلالها من أنها زوجة صالحة . وليس أدل من هذا على أن المرأة لاتملك من أمر نفسها شيئا وأنها تباع بيع الإماء وأنها مسلوبة الارادة وأن الكلمة للولى وأن الرجل سيد الموقف . وفى هذا كله برهنة كافية على تفاهة مركز المرأة فى مجتمع الشيلوك . أو بعبارة أخرى ، لا تربط الزوج والزوجة عاطفة زوجية بالشكل المألوف لنا .

عاطفة الأمومة بين جماعات الشيلوك :

من عادة الشيلوك الزواج فى سن مبكرة رغبة فى انجاب الأطفال ، إذ عن طريق ذرية الرجل تتسع أسرته فيكثر إنتاجها بالتعاون فى العمل وتحمل المسئوليات ، أما الزوجة فترى فى النسل دواما لحياتها الزوجية فى كنف الزوج ، وحماية لها من الانفصال عن زوجها .

إن الزوجة التى لاتنجب أطفالا تكون موضع سخط الزوج وإهانته ، وكثيرا ما يعمد إلى ارهاقها بالأعمال خارج المنزل وداخله . وقد يضيق صدر الزوجة لكل هذا فتصيح فيه فى توسل : « هذه إرادة الله ، فهو الذى يضع الجنين فى احشائى » .

وكثيرا ما يكون عقم المرأة وعدم إنجابها للأطفال مصدرا من مصادر النزاع بين زوجات الرجل أنفسهن ، إذ يعيرن بعضهن بعضا ، فتقول الواحدة للأخرى : « اننى امرأة ولود أنجب لزوجى ذرية بينما أنت

www.ibtesamah.com/vb

لا تنجبين ، ومن ثم سوف أفوز برضى رجلى وحبه ، فى الوقت الذى ستحرمين أنت من رعايته ، وسيصب عليك جام غضبه » .

من هذا نرى أن انجاب الأطفال بين جماعات الشيلوك أمر مرغوب فيه . ومن ثم تحيط الأم رضيعها فى الشهور الأولى من حياته بسياج من العطف الزائد ، فهى مهما كانت مثقلة بالأعمال نجدها لا تدع الطفل وحيدا ، فهو دائما محمول فوق ردفها الأيمن محاط بيدها تأمينا له من السقوط . أما أثناء الليل فهى لا تتركه لأحد ، إذ يرقد إلى جوارها فى أمن زائد متنعما بحرارة جسدها ، وثديها لا يكاد يفارق فمه معظم ساعات الليل .

ان فترة الرضاعة بين جماعات الشيلوك تمتاز بالطول . كما أن الطفل الرضيع يعطى الثدى فى أوقات غير منتظمة . فالثدى يكون فى متناول فمه فى كل وقت : أثناء عمل الأم ، وأثناء حديثها مع الغير وتناول الطعام ، وحتى خلال ساعات النوم والراحة . ومعنى ذلك أن الأم فى الشيلوك تقدم ثديها على حسب طلب الطفل أو حين تريد اسكاته عن البكاء لسبب غير الجوع . ويزداد تدليل الأم للطفل عن طريق الثدى لدرجة أن يصبح الفم ، كما يقول (فرويد) ، مصدرا لا يستغنى عنه للحصول على اللذة ، وأصدق دليل على ذلك أن الطفل الشلكاوى عندما يصل إلى مرحلة المراهقة الأولى يقوم ببعض المظاهر السلوكية التى تعتبر امتدادا للمرحلة الفمية ، ومن ذلك تدخين (الغليوم) فى هذه السن المبكرة (بنين وبنات) ، وكذلك الرغبة فى المسير جماعات والحديث والثرثرة المستمرة . فإذا ما جمعتك الصدفة بجماعة منهم ، تجدهم فى حديث دائم وجلبة لا تنقطع .

وتستمر عملية رضاعة الثدى حتى سن متأخرة من حياة الطفل . فلا يمنع الثدى عنه — عادة — قبل نهاية العام الثالث ؛ ويستمر ذلك فى

www.ibtesamah.com/vb

بعض الحالات حتى نهاية العام الرابع . ومرجع ذلك أن الشيلوك يعتقدون أن الطفل قبل أن يتم عمره ثلاث سنوات يكون غير مكتمل التكوين ، ولذلك فهو فى حاجة إلى غذاء طبيعى من أمه عن طريق ثديها ؛ وتحقيقا لذلك فإن الزوج يتجنب أى معاشرة جنسية خوفا من أن تحمل الزوجة فيمتنع اللبن عن الثدى بسبب الحمل .

ويتم فطام الأطفال الشيلوك فجأة وبدون سابق إنذار بعكس ما هو حادث فى المجتمعات المتحضرة ، إذ تحدث عملية الفطام بشكل تدريجى قبل أن تتوقف الرضاعة من الثدى .

ويحدث الفطام بناء على رغبة الأب حيث يكون الحرمان الجنسى بينه وبين زوجته قد طال أمده طوال فترة الرضاعة الطويلة . وتبدأ عملية الفطام بأن يباعد بين الطفل وأمه ، بأن يرسل الطفل إلى جدته لأمه أو لأبيه أو إلى إحدى معارف الأسرة . ممن تقطن فى قرية بعيدة ، ويبقى معها حتى ينسى الثدى ، ثم يعود إلى الأم بعد فترة من الزمن تكفل له نسيان الثدى وتكون قد انقضت فترة يتعود خلالها الطفل على تناول المواد الغذائية الصلبة .

ولا شك أن حدوث الفطام على هذا النحو غير المألوف لنا يترتب عنه بعض الآثار والنتائج التى تؤثر فى تكوين الطفل النفسى ؛ إن انتزاع الطفل الرضيع من أمه بعد فترة من التدليل فى العطف والحنان وإرساله بعيدا عنها حيث يعيش مع أم بديلة تقوم برعايته وإطعامه ، كفيل بأن يحدث فى نفسه صدمة يصح أن تطلق عليها « صدمة الفطام » . وأولى هذه النتائج أن شعور الطفل عند عودته للأسرة يكون على شكل اندفاع عاطفى نحو أمه الأصيلة التى غاب عنها ، إلا أنه يجد صدا منها ، إذ تكون فى مناى عنه لانشغالها من جهة بأعمالها العديدة خارج القرية وداخل المنزل ، ومن جهة أخرى تكون شهور الحمل الثانى تتقدم . فيكون ذلك

www.ibtesamah.com/vb

مدعاة إلى أن يتحول شعور الطفل الصغير من أمه إلى أم بديلة تكون عادة إحدى شقيقاته أو أقاربه (فى حالة عدم وجود أخت) التى تقوم بحمله وتغذيته ورعايته . ويتفاوت عمر هذه الأم البديلة من صبية صغيرة إلى فتاة فى سن البلوغ . ومن المناظر المألوفة عند زيارة قرية من قرى الشيلوك رؤية هذه الفتيات حاملات اخوتهن الصغار حول أردافهن ، وسرعان ما يتجمعن حول الزائر تدفعهن الرغبة فى التطلع .

وخلاصة القول بعد هذا العرض السريع ، إن عاطفة الأمومة تبدأ قوية بين جماعات الشيلوك ، ثم سرعان ما تضعف هذه العاطفة بسبب إبعاد الطفل عن أمه عند إحدى القريبات اللاتى يعيشن بعيدا عن الأم حتى يتسنى فطام الطفل . وعندما يعود الطفل تكون أمه قد حملت للمرة الثانية ، وهنا يحدث ما يشغلها عنه ، فيتحول الطفل من أمه الأصيلة إلى أم بديلة .

عاطفة الأبوة بين جماعات الشيلوك :

ان علاقة الطفل بأبيه فى سنوات الطفولة المبكرة تكون علاقة سلبية ، فالطفل يكاد لا يتصل بأبيه : لا يساكنه ولا يؤاكله ولا يجلس إليه متأدبا . فالوالد مشغول طوال يومه بعمله خارج القرية ، وعندما يعود إليها فإنه لا يشترك فى مجلس الصغار ، بل يشارك الكبار من رجال القرية سمرهم ومقامهم دون أن يجرؤ واحد من أطفاله الصغار على أن يجلس بينهم . وفى المساء يأوى الرجل إلى كوخه لينام بينما تشارك الأم أولادها الصغار كوخا آخر .

هذا هو شعور الطفل نحو أبيه وشعور الأب نحو طفله خلال مرحلة الطفولة المبكرة . ولكن سرعان ما يتحول الحال عندما يبدأ الطفل مرحلة الطفولة المتأخرة ، إذ تزول الجفوة بينهما ، ويبدأ الأب يؤثر

www.ibtesamah.com/vb

فى طفله تأثيرا مباشرا. إذ نجده يحاول تبصره بعادات القبيلة وتقاليدها وضرورة احترام هذه التقاليد . كذلك يقوم الأب بتعويد الطفل على احترام والديه والمعاونة فى أعباء الأسرة المشتركة . وكل هذا بالإضافة إلى تعويد الطفل على الإعتماء على النفس والكفاح فى سبيل البقاء فى مثل هذه البيئات التى ليس الحصول على لقمة العيش فيها عملية سهلة . والواقع أن هذه التربية الاستقلالية التى يحاول الأب تنشئة الطفل عليها فى سن مبكرة لا توجد فى البيئات الأخرى ، إذ يحدث فى هذه البيئات الأخيرة أن الفرد يظل حتى المراهقة شديد الإعتماد على والديه ، لا يكسب قوته بنفسه ولا يساهم فى العمليات الانتاجية .

أما عن تربية البنت فهى موكولة إلى أمها تماما إذ تجدها منذ الصغر ملاصقة لأم تعيش معها فى نفس كوخها ، ومن ثم تقوم الأم على تدريبها على الأعمال المنزلية ، كما تكل إليها أمر رعاية اخوتها الصغار أثناء غيابها وعندما تبلغ الحلم تبدأ تدريبها على أن تكون زوجة صالحة ، وإن العلاقة بين البنت وأمها لتقوم على شىء من الصراحة والمكاشفة ، الأمر الذى لا نجده بين الفتاة وأبيها . إذ هى تكن لوالدها احتراما تمازجه الرهبة ، فهى إذا دخلت عليه فى الكوخ لأمر ما كان عليها أن تستأذن ثم تركع علامة على الاحترام ، وتخاطبه فى الأمر الذى من أجله أقبلت إليه . والفتاة لا تستطيع أن تخاطب والدها فى شأن يتصل بها وإنما هى تنهيه إلى والدتها التى تقوم هى بابلاغ الوالد ، فعلاقتها إذن بوالدها علاقة قائمة على التحفظ .

www.ibtesamah.com/vb

الفصل السادس

الصراع بين الدوافع

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل ٢٠١٨

تمهيد : مصادر الصراع :

إذا استطاع الفرد اشباع أى دافع من دوافعه المختلفة — بيولوجية كانت أم سيكلوجية — بمجرد الاحساس به ، فإن هذا الإجراء من شأنه ألا يثير فى نفسه أى إحباط أو صد وبالتالى لا ينتج أى صراع نفسى . ولكن يجب ألا يغيب عن أذهاننا اننا نمتلك المصباح السحرى الذى كان يمتلكه (علاء الدين) والذى كان يستطيع بواسطته تحقيق آماله الخيالية . إذ الواقع أن العالم الذى نعيش فيه ملىء بالمعوقات التى تحول بين الفرد وبين تحقيق الكثير من مطالبه ، وقد أصبحت هذه المعوقات جزءا هاما من حياتنا اليومية . وتختلف هذه المعوقات من حيث الدرجة ، فهى تتفاوت من مواقف تسبب الضيق المؤقت للفرد إلى مواقف أخرى يهزم فيها الفرد هزيمة منكرة ، فيشعر نتيجة ذلك بالخيبة وفقدان الأمل . وكما أن هذه المعوقات تختلف من حيث الدرجة ، فهى تختلف من ناحية أخرى من حيث النوع : فهناك معوقات مادية تتصل بالبيئة من جو قارس وجبال عالية ومحيطات عميقة وصحارى شاسعة ، وهناك معوقات اجتماعية تنتج خلال الحياة عن طريق تفاعل الفرد مع غيره أو بسبب المعايير الاجتماعية السائدة فى المجتمع ، وهناك معوقات أخرى تسود فى عالم الأطفال وتنشأ بسبب النواهى والأوامر والقيود التى يفرضها الآباء على أبنائهم ، وهناك معوقات تنشأ بسبب عاهات الحواس والبدن التى يتعرض لها بعض الأفراد مثل الصمم والعمى والكساح أو الشلل . إن هذه العاهات تعوق الفرد المصاب عن إشباع الكثير من دوافعه ، فكم من المصابين بالصمم تمنوا أن يعملوا كموسيقيين ، وكم من العميان تمنوا ، لو كانت لديهم الحاسة البصرية أن يشتغلوا بالأعمال الفنية ، وكم من المصابين بالشلل تمنوا لو كان بدنهم سليما يمكنهم من العمل بالشئون الهندسية.

www.ibtesamah.com/vb

هذه كلها مصادر أو أنواع من المعوقات التى يتعرض لها الفرد فى حياته وتسبب له نوعا من الاعاقة عند رغبته فى اشباع بعض الدوافع التى تثيرها مواقف معينة .

وهناك بجانب ما سبق انواع أخرى من المواقف الاحباطية أو المعوقة ، تنشأ بسبب وجود الفرد فى موقف يتطلب منه أن يختار بين أمرين . إن هذه عملية تتطلب من الفرد فى مثل هذه المواقف أن يفكر مليا ويتردد قبل البت فيما يختار ؛ وقد يحدث فى ظروف خاصة أن يختار بين أمرين غير محببين لنفسه . وقد تصل موازنة الفرد قبل تفضيله موضوعا على موضوع آخر ، إلى نوع من الصراع الذهنى يكون سببا فى حيرته ولكنه يزول بمجرد إيجاد حل للمشكلة المعروضة عليه .

أنواع الصراع :

يوجد نوعان من الصراع : أحدهما عناصره واقعة فى دائرة شعورنا ، لدرجة أننا ندرك المشكلة التى يدور حولها ذلك الصراع وندرك طرفى الصراع . إن ذلك النوع من الصراع لا يتسبب عنه أى كبت أو عزل أفكار أو ميول أو رغبات من الشعور إلى اللاشعور ، ذلك لأن المشكلة التى يقوم عليها الصراع تواجهنا ونستطيع بطريقة ما أن نصل إلى حلها .

أما النوع الثانى فيحدث فى مستوى لا شعورى ، فكثيراً ما يجد الفرد نفسه نهب حاجات ونزعات لا تسمح له ظروفه الاجتماعية بتحقيقها ، وحينئذ تكبت هذه الحاجات دون شعور منه وترسب فى حيز اللاشعور ، ولا تبقى فيه خاملة ، بل تظل فى حركة ونشاط لأنها لم تتحقق ؛ فهى دائماً تبحث لها عن منفذ تخرج منه ، إلا أن النفس الشعورية تقف فى أغلب الحالات حائلا بينها وبين تحقيق رغباتها ، وعلى هذا النحو يحدث الصراع النفسى ، الذى ينتج عنه الكثير من الأمراض النفسية العصبية .

ويجب الآن وقد ألقينا نظرة عابرة على هذين النوعين ، أن نعرض لكل منهما بالتفصيل :

www.ibtesamah.com/vb

تحليل الصراع الشعورى :

هنالك أنواع لهذا النوع من الصراع :

١ — يتمثل بوجود موقفين متعادلين من حيث الصفات التى تجذب رغبة الفرد نحو كل منهما ، ويطلق على هذا النوع من الصراع . (Approach - Approach Conflicts) (اقدام — اقدام) .

ومن أمثلة ذلك الصراع : طفل يخير بين موضوعين محببين إليه ، كقراءة قصة جذابة والاشتراك فى اللعب بكرة القدم مثلا ، أو شاب يعرض عليه عملان متساويان من حيث المرتب وغيره من المميزات ، أو شابة يتقدم إليها خطيبان ، لهما من الصفات المشتركة ما يجعل تفضيل أحدهما على الآخر امراً عسيراً .

نلاحظ فى هذه الأمثلة أن الشخص يتعرض لنوع من الصراع المؤقت فى سبيل الوصول إلى قرار معين يؤدى به إلى تفضيل أحد الموضوعين ، ويتضح ما نقول من الرسم التوضيحى (شكل ٥) .

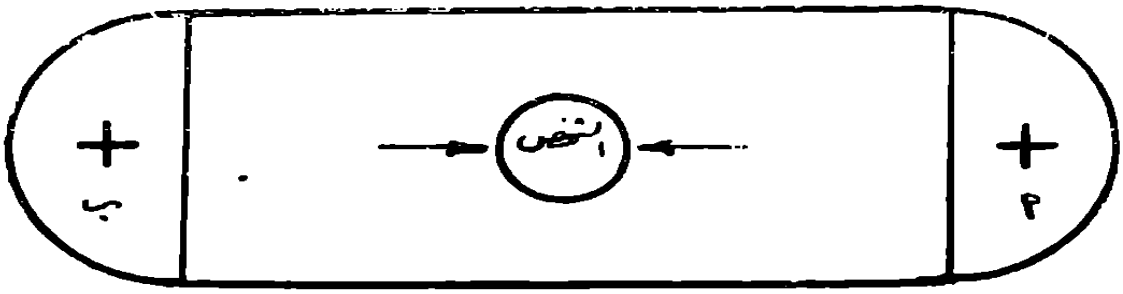

(شكل ٥)

يوضح وجود موضوعين متكافئين (ا ، ب) وينتهى الصراع بتفضيل أحدهما على الآخر

٢ — صراع يتمثل فى وجود الشخص فى حالة ينشأ عنها موقفان ، كلاهما يلحق به ضررا ما . ويطلق على هـذا النوع من الصراع (Avoidance-Avoidance Conflicts) أى إحجام — إحجام . وينتهى الصراع فى مثل هذه الحالات ، بأن يتخذ الفرد موقفا ثالثا يتحاشى به التعرض للحالة بطرفيها .

www.ibtesamah.com/vb

ومثال ذلك : الجندى الذى يجد نفسه على أبواب معركة ، فتنتابه فكرتان : فكرة الحرص على حياته التى قد يؤدى بها تقدمه ، وفكرة الخوف من العار الذى يلصقه به جبنه وتقهقره وأخيراً يتخلص من هذا الصراع باللجوء إلى حل ثالث وهو الهروب من الميدان قبيل مواجهة العدو.

ومثال آخر ، وهو حالة تلميذ كلفه المدرس بواجب معين . فهو بين أمرين : بغضه لأداء هذا الواجب لأنه لا يتفق مع ميوله ، وخوفه من معاقبة المدرس له إذا هو قصر فى أدائه ، ولذلك يتخلص من هذا الصراع باتخاذ موقف ثالث ، وهو عدم الذهاب إلى المدرسة .

ويتضح ما نقول من الرسم التوضيحى فى شكل (٦) .

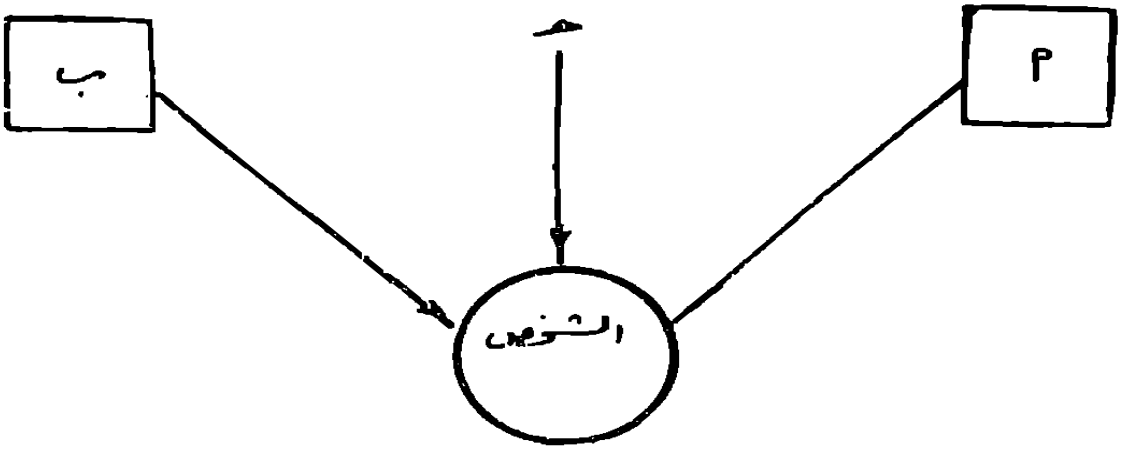

(شكل ٦)

شكل يوضح وجود موقفين متقابلين (ا ، ب) ويشير السهم (جـ) إلى الموقف الثالث الذى ينهى الشخص به الصراع ، ويتخلص من الموقفين الآخرين

٣ — صراع يتمثل فى وجود أمرين ، يود الشخص تحقيق أحدهما ، ولكن الأمر الآخر يمنعه من ذلك . وينتهى الصراع بأن يعدل الشخص عن الأمر الأول إلى أمر جديد يحقق نفس الغاية دون الاصطدام بالأمر الثانى . ومثال ذلك : الأم التى يبدى ولدها ميلا إلى قضاء العطلة الأسبوعية مع رفاقه فى إحدى الحدائق العامة البعيدة عن المنزل ؛ وهنا تجد الأم

www.ibtesamah.com/vb

نفسها أمام أمرين : رغبتها فى إرضاء ولدها ، ولكن يحول بينها وبين ذلك خوفها عليه من التعرض للخطر ، فيحدث لديها نتيجة لذلك نوع من الصراع تتغلب عليه بتحقيق رغبتها فى إرضاء ولدها عن طريق آخر غير ذهابه مع رفاقه ، كأن تعرض عليه أن يصاحبها إلى السينما فى ذلك اليوم ، وبذلك يعدل الولد عن رغبته الأولى ، وفى نفس الوقت تتحقق رغبتها فى إرضائه .

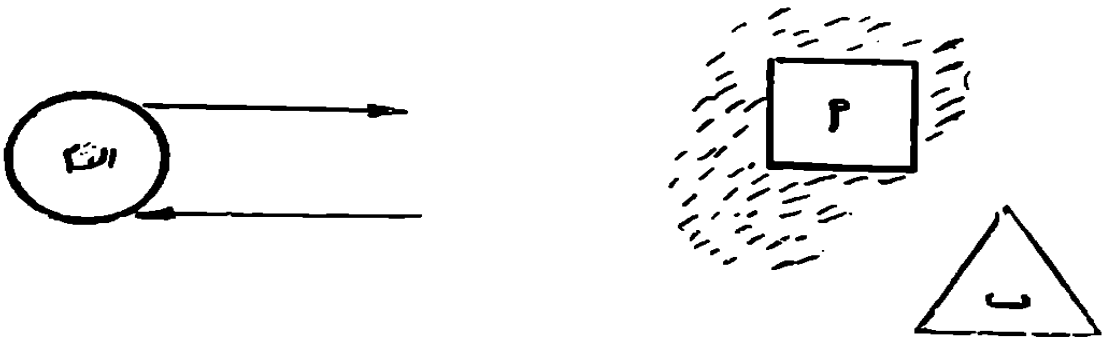

(شكل ٧)

(ا) الرغبة الأصلية (ب) الرغبة المعدلة

السهمان يوضحان حيرة الأم نتيجة الصراع

تحليل الصراع اللاشعورى :

تحدثنا فيما سبق عن النوع الأول من الصراع ، وهو الذى يحدث على مستوى شعورى ، ولا يتسبب عنه أى مرض نفسى ما دامت عناصره واقعة فى حيز الشعور .

والآن نتناول بالبحث النوع الثانى من الصراع الذى يحدث على نحو لا شعورى ، وسوف نكون متأثرين إلى حد ما بآراء (فرويد) فيما يتصل بتكوين الجهاز التنفسى (Psy-che) .

تكوين الجهاز النفسى :

يفترض (فرويد) أن الجهاز النفسى ينقسم إلى ثلاثة أجزاء وينسب إلى كل منها وظائف وخصائص معينة وهذه الأجزاء هى :

www.ibtesamah.com/vb

(١) ما يسميه : (الأنا Ego) .
(٢) ما يسميه : (الهو Id) [١] .
(٣) ما يسميه : (الأنا الأعلى Supper-Ego) .

الأنا THE EGO :

ويمكن أن يقال على سبيل الفرض أن « الأنا » هو الجانب النفسى الذى يواجه العالم الخارجى ويتأثر به ، ويكاد يكون صورة للواقع الذى تقره البيئة . ومن ثم يصح لنا أن نعتبره منطقيا ، رزيناً فى تصرفاته وأحكامه . ولذلك كان دائما فى صراع دائم مع الإمور والتصرفات التى لا تلائم طبيعة تكوينه ، والتى ترمى إلى اجتناب كل ما من شأنه أن يخالف العرف والتقاليد .

ولا يستطيع الطفل قبل مرور عامين من عمره ، أن يفرق بين ذاته وبين ذوات الآخرين . ومعنى ذلك أنه يكون عاجزاً فى تلك الفترة عن إدراك نفسه كذات متميزة مما يحيط بها ؛ وفى منتصف العام الثالث تقريباً ، يبدأ الشعور بأنه فرد مستقل ، يتحدث إليه الناس ، ويتحدث هو بدوره إليهم . ويتوقف سلوكهم نحوه ، والفكرة التى يكونونها عنه ، على ما يصدر عنه من أعمال ، وما يتركه فى نفوسهم من تأثير ؛ ونتيجة تفاعله بهم ، يبدأ يكون فكرة عن نفسه ، يشتقها من موقف المجتمع منه .

---

(١) استعمل هذه الصيغة الدكتور إسحق رمزى فى ترجمته لكتاب فرويد : مقدمة فى التحليل النفسى . وقد فضل حضرته صيغة التذكير على العكس من بعض الكتاب الذين استعملوا صيغة التأنيث (الهى) ، وقال :

« الهو » هو الجانب الأكبر من الجهاز النفسى الذى يحتوى على الميول والرغبات الفطرية » .

وقد استخدم هذا الإصطلاح أصلا للوصف المكانى لتلك الميول ، لا إلى الاشارة إلى تلك الميول (ص ٥٦) .

www.ibtesamah.com/vb

إن الطفل فى أيام طفولته المبكرة يشعر بأنه « الصبي الصغير » أو « الصبية الصغيرة » . كما أن ما يحرزه فى ذلك الدور من نجاح أو فشل ، وما يسمعه من مدح أو ذم ، وما يلاقيه من رضى أو سخط ومن تشجيع أو تثبيط ، يزيد فى توضيح فكرته عن نفسه ، فقد يتبين أنه طفل ناجح ، وقد يتبين أنه طفل فاشل .

وبالتدريج تتسع الدائرة التى يتعامل معها الطفل ، وتزداد نتيجة لذلك خبراته ومعلوماته ، فيتبين منزلته فى الأسرة والمدرسة ، كما تتضح له مكانة أسرته فى المجتمع العام ؛ ويؤدى هذا التفاعل مع تلك الوحدات الاجتماعية المختلفة ، إلى تكوين « الأنا » أو الذات ، وهو عملية تحدث نتيجة تطور تدريجى . وهكذا يكون تكوين «الأنا» وقدرته على العمل ، مرهوناً بقدرة الفرد على معرفة نفسه ومعرفته للغير ، ولا يتأتى له ذلك إلا عن طريق اكتساب خبرات جديدة .

الهو The Id :

أما القسم الثانى من الجهاز النفسى ، فهو يشمل مجموعة النزعات والرغبات والميول البدائية ، والتى كبتها الفرد (بطريقة لا شعورية) فى مستهل حياته فى أعماق النفس ، لأنها لا تتفق مع العرف والتعاليم الدينية والأخلاقية .

ويقول (فرويد) إن العناصر التى يتكون منها (الهو) لم تمت ، بل تبقى حية مزدهرة تعمل فى مكمنها الجديد فى غير توافق أو انسجام ، كما وأنها من وقت لآخر تحاول التعبير عن نفسها بشتى الوسائل والطرق ، ومن بين هذه الوسائل أو الحيل اللاشعورية ، ما هو معروف باسم الأحلام. وفلتات اللسان والتبرير والإسقاط . . . الخ .

ويجب أن نشير أن بعض هذه الرغبات والانفعالات المكبوتة فى اللاشعور تندمج مع بعضها فى شكل تنظيمات أو تكوينات جديدة ،

www.ibtesamah.com/vb

أطلق عليها (فرويد) العقد . ويصح لنا على ضوء ما نقول أن نعرف العقدة Complex بأنها مجموعة متصلة من الرغبات والميول غير المشبعة ؛ أو أنها عبارة عن مجموعة من الذكريات والحوادث ذات الأثر الأليم فى حياة الفرد المبكرة ، فصلت أو عزلت من مجال الشعور إلى الحياة العقلية اللاشعورية ، ونسيت منها . غير أن هذه الأخطار أو الذكريات المفصولة ، وما كان يصاحبها من انفعالات غير سارة ، لا تتداعى ولا تتحطم ، بل تبقى فى معزلها أو مرقدها الجديد حية لا تموت .

العلاقة بين (الأنا) و (الهو) :

يفرق فرويد بين الناحيتين فيقول [١] :

« إذا أردت إيضاح العلاقة بين « الأنا » و « والهو » ، لكان على أن أطلب أن تتصور « الأنا » كأنه واجهة للـ « هو » أو كأنه لحاء خارجى لذلك الجانب من النفس . ونحن نعرف أن أى نوع من اللحاء مثل لحاء الشجرة تعود خصائصه التى تميزه عن غيره إلى تأثير الوسط الخارجى الذى يحيط به : على هذا المنوال يتمثل « الأنا » كأنه الطبقة الخارجية للجهاز النفسى « للهو » تلك الطبقة التى تحولت وفقا لتأثير العالم الخارجى ؛ أى وفقا للواقع . . . ؛ « الأنا » فى صميمه سطح خارجى ، أما « الهو » فأمره أكثر عمقا .

وكذلك يختلف (الأنا) عن (الهو) فى الأغراض التى يهدف إليها كل منهما ، وفى الوسائل التى توصل إلى هذه الأغراض . وهذا الذى دعانا ، قبل ذلك ، أن نصف « الأنا » بقولنا إنه رزين ، واقعى ، منطق فى أغراضه .

---

(١) « مقدمة فى التحليل النفسى » تأليف فرويد — ترجمة الدكتور اسحق رمزى (١٩٥٠) — ص ٥٧ .

www.ibtesamah.com/vb

ويصح لنا ، طالما نحن فى مجال المقارنة بينهما ، أن نقول إن « الأنا » شعورية ، بينما « الهو » لا شعورية ، بمعنى أن رغبات الفرد ومشتهياته التى لا تتقبلها (الأنا) لتنافيها مع تقاليد العالم الخارجى ، تكبت فى جوف اللاشعور ، أى فى منطقة (الهو) ، وتبقى هنالك دائمة التأثير على سلوك الفرد فى حياته اليومية ، وهكذا قد تكون لدى الفرد منطقتان نفسيتان : منطقة شعورية ومنطقة أخرى لا شعورية . وتشمل الأولى الدوافع التى تعمل فى انتظام وتوافق ، بينما تشمل الثانية تلك الدوافع الثائرة المضطربة التى تحاول أن تجد لها من وقت لآخر ، منفذا تصل منه إلى العالم الخارجى .

ويترتب على وجود هذا الصراع الداخلى فى أعماق النفس اللاشعورية ، الحاجة إلى قوة مانعة تحول بين هذه العناصر اللاشعورية ، والتعبير عن نفسها ، لأن ذلك التعبير يؤدى إلى تدهور شخصية الفرد وعدم رضى المجتمع على ما يقوم به .

الأنا الأعلى Supper Ego :

إن الطفل منذ الثالثة من عمره يعمل دائما على أن يحل الصراع النفسى الذى ينشأ فى أعماق اللاشعور ، بين رغباته غير المهذبة وبين تلك المعايير والمثل العليا ، التى يتلقنها من العالم الخارجى (ممثلة فى سلطة الأب) . وبالتدريج يمتص الطفل تلك المعايير ويبلورها فى نفسه ، حتى لتصبح بمثابة سلطة داخلية ، تحل محل السلطة الخارجية ، فى تنظيم وضبط تلك الرغبات المحظورة [١] .

وهكذا نرى أنه بعد أن كان التعارض قاصرا بين الذات الشعورية للطفل (الأنا) وبين تلك الرغبات المحظورة (التى مركزها الهو) ، نجده ينتقل إلى داخلية نفسه ، ويصبح تعارضا بين تلك الرغبات البدائية وبين

---

(١) « النمو النفسى » — للدكتور عبد المنعم المليجى — ص ١٠٢ .

www.ibtesamah.com/vb

ذلك الجزء الجديد الناشئ فى نفس الطفل (الأنا الأعلى) . ويمكن تشبيه ذلك الجزء بالرقيب الداخلى ، الذى يقف حائلا دون اندفاع تلك الرغبات والميول غير المهذبة والمكبوتة فى اللاشعور . والمهم أن (الأنا الأعلى) يتكون تكويناً لا شعوريا . ومن هنا يتضح الفرق بين (الأنا) و (الأنا الأعلى) . فالأول كما سبق أن أوضحنا شعورى فى غالب الأحيان ، بينما الثانى ، لا شعورى دائما . ولذا نجد علماء النفس يسمون الأول بالنفس الحسية ، ويسمون الثانى بالذات المثالية أو الضمير .

عود إلى الصراع النفسى :

وإذا كنا قد أسلفنا الحديث عن الصراع الشعورى ، فنحن الآن بصدد صراع لا شعورى ، لأنه قائم بين « الأنا » الذى هو (فى معظمه) شعورى وبين « الهو » أو « الأنا الأعلى » ، وكلاهما لا شعورى .

وفيما يلى نفصل الحديث عن هذين النوعين من الصراع اللاشعورى ، الصراع بين « الأنا » و « الهو » ، والصراع بينه وبين « الأنا الأعلى » :

الصراع بين « الأنا » و « الهو » :

نعلم أن الإنسان مزود بمجموعة من الدوافع المختلفة . وهذه الدوافع كما أسلفنا فى حاجة إلى الإشباع وتحقيق ما تهدف إليه من اعتراض . ونضيف الآن أن هذه الدوافع ، قد تتهيأ لها الفرصة فى العالم الخارجى ، فتصل إلى غايتها ، وقد لا يتاح لها ذلك ، فتبقى على سعيها لنيل رغبتها . و « الأنا » هو الذى يتوسط بين « الهو » الذى يصدر عنه عادة هذا النوع من الدوافع ، وبين العالم الخارجى الذى ينطوى على مختلف النظم والقيود ، فيسمح لبعض الرغبات بالتنفيذ ويقاوم البعض الآخر ، بناء على فهمه للواقع وحدوده .

www.ibtesamah.com/vb

و « الأنا » قبل أن يسمح لأمثال هذه النزعات بالتعبير عن نفسها ، لا بد له أن يقدر النتائج التى تترتب على هذا التعبير ، وأثر ذلك فى عالم الواقع . وهكذا نرى أن « الأنا » يمهل هذه الدوافع حتى يتأتى الوقت المناسب لإشباعها ، ولا يزال يكبح جماحها ، ويماطلها ، وقد يضطرها إلى التنازل عن بغيتها نظير مقابل ، أو تعديلها على الأقل ، حتى تتوافق مع العالم الخارجى ، أو تعديله حتى يتوافق معها .

ولا يستطيع « الأنا » أن يقوم بهذا الدور ، إلا إذا كانت لديه القوة الكافية للتحكم فى رغبات « الهو » ، حينئذ يسير الجهاز النفسى سيرا طبيعيا دون أن يتعرض للخطر . أما إذا كان « الأنا » ضعيفا ، فلن يستطيع أن يوفق بين رغبات « الهو » وبين عالم الواقع ، أو بعبارة أخرى لن يستطيع أن يتحكم فى الشهوات والنزعات المكبوتة ، وأغلب ما يكون ذلك فى الطفولة ، حينما يكون « الأنا » لا يزال ضعيفا ، لا يكاد يتميز من « الهو » .

ولما كان « الأنا » فى الطفولة الأولى لا يزال ضعيفا غير مكتمل ، كان من الطبيعى ألا ينجح دائما فى تحقيق التوافق بين رغبات « الهو » وبين مطالب الواقع . وآية ذلك أنه يعمد إلى إجراء لا شعورى هو كبت رغبات الهو عجزاً عن إشباعها على نحو يتفق مع مطالب الواقع ، فى حين أنه لو كان قوياً قوة كافية لاستطاع أن يهيئ لها السبيل المقبول للإشباع . ومن هنا تنعزل الرغبات المكبوتة فى الأعماق اللاشعورية للنفس حيث تعمل غير آنية على الانتقام لنفسها ، وتتفاعل ، وتتصارع مع « الأنا » ويتكون عن طريق هذا التفاعل وذلك الصراع ، مشتقات جديدة (العقد النفسية) .

www.ibtesamah.com/vb

الصراع بين الأنا والأنا الأعلى :

ينشب صراع آخر بين (الأنا) و (الأنا الأعلى) ، ولهذا الصراع أهمية فى الحياة النفسية . ولعلنا نذكر ما قلناه عن (الأنا العليا) من أنه ينشأ نتيجة اتصال (الأنا) بالنظم والتقاليد والأديان والمثل العليا ، وأنه ذات مثالية ، يجنح نحو السمو ، وأنه رقيب على (الأنا) يحاسبه على كل صغيرة وكبيرة . ونقول الآن : أن (الأنا الأعلى) أو (الذات العليا) كما سميناه إذا لاحظ شذوذاً فى تصرف (الأنا) وأنه قد أتى بما ينافى الأخلاق والآداب فإنه ينزل به العقاب ، ويصب عليه التقريع واللوم ، وكثيراً ما يوقفه عند حده قبل أن يرتكب هفوته فيحول بينه وبينها ، ويصرفه عنها ، بل كثيراً ما يشتط فى أحكامه على الأنا إذا كان على جانب من القوة — ويكون ذلك فى مراحل الطفولة — فيظهر عمله البرىء بمظهر الجرم العظيم .

نتائج مباشرة للصراع :

من أثر النتائج المباشرة لعملية الصراع التى يتعرض لها فرد عندما يواجه موقفاً احباطياً ما يلى :

(أولا) الشعور بالقلق ؛ ويأخذ ذلك مظاهر متنوعة : كثرة الحركة وعدم الاستقرار ، كثرة الشكوى ، سرعة الاستثارة ، الارتعاش ، وقضم أظافر اليد وامتصاص الأصابع .

(ثانيا) العدوان ؛ ويصاحب حالات القلق الشديد رغبة الفرد فى القيام بسلوك عدوانى يأخذ أشكالا مختلفة من رفص وتخريب وإتلاف وعض بالأسنان واعتداء بالأيدى والأقدام . وقد ينصب العدوان على مصدر الإحباط ذاته كما يحدث إذا اعتدى طفل على زميله فى المدرسة لأنه سلبه لعبته التى يلعب بها . أو يتعذر على الفرد ذلك فيعمد

www.ibtesamah.com/vb

إلى تحويل العدوان إلى شيء لا صلة له إطلاقا بمصدر الإحباط ومن الأمثلة على ذلك أن الموظف الذى يستبد به رئيسه ويعنفه ويبالغ فى لومه ، كثيراً ما يعود إلى منزله فينهال على زوجته بالتأنيب والتقريع لأتفه ما يصادف فى بيته من الفوضى أو سوء النظام .

(ثالثا) الاستكانة ؛ ومن الأمور التى تدهش الباحث فى علم النفس أن الموقف الواحد قد يؤدى إلى استجابات مختلفة من جانب الأفراد . والإحباط الذى يستجيب له أغلب الناس بالعدوان قد يؤدى ببعض الأفراد إلى نوع من الجمود والبلادة وعدم الاكتراث أو الانسحاب وانعدام النشاط وعدم الانتباه . وذلك أن الفرد قد يتبين أن المقاومة لا تجدى فيعمد عندئذ إلى الإنسلاخ من الموقف واصطناع نوع من الغباء بدلا من الالتجاء إلى الغضب والمهاجمة . ويدل الجمود والبلادة على أن الفرد قد تمكن من ضبط ميوله العدوانية والتغلب عليها دون أن يعنى ذلك أن الرغبة العدائية المستترة قد انعدمت أو تلاشت .

(رابعاً) الالتجاء إلى عالم الخيال والأوهام ؛ فإذا تكاثرت المشاكل على الفرد راح يبحث عن مهرب منها فى عالم الخيال والوهم لا فى عالم الحقيقة الذى فشل فيه . وليس هذا النوع من السلوك قاصراً على الأطفال فقط ، فإن صور الممثلات الجميلات المعلقة على جدران المعسكرات لأظهر دليل على أن الجنود عز عليهم إشباع رغباتهم فى عالم الحقيقة فراحوا يلتمسون ذلك فى عالم الخيال . كذلك أجريت تجارب على نفس المجموعة من الجنود فى وقت كان يطبق عليهم نظام تغذية المجاعات فتبين أنهم فقدوا اهتمامهم بالنساء وأنهم عمدوا إلى صور الأغذية الشهية المطهية ينتزعونها من المجلات ويعلقونها على الجدران .

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل ٢٠١٨

الفصل السابع

الحيل اللاشعورية كوسيلة مؤقتة

لإنهاء الصراع

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل ٢٠١٨

تمهيد :

يتفاوت الأفراد فى طريقة مواجهتهم للصراع فمنهم من ينجح فى إنهاء الصراع ويوفق فى حل مشاكله الخاصة ، ومنهم من لا يوفق فى ذلك . ولا يعد الفرد ناجحا فى إنهاء الصراع والخروج منه إلا إن كان قد تغلب على ما صادفه من العقبات وأشبع ما يحس به من الحاجات فإذا لم يتمكن من مواجهة مشكلاته ومجابهة ما يحس به من الصراع بطريقة مباشرة صريحة فإنه يعمد إلى أسلوب من أساليب التوافق الخائب التى تتضمن الانسحاب أو العدوان أو الاغراق فى عالم الوهم والتمنى . وقد يكثر الفرد من الالتجاء إلى نوع بعينه من هذه الأساليب الخائبة إلى حد يدعو من حوله إلى تسميته بالعدوانى أو الخيالى أو الانسحابى .

والآن نستعرض السبل المختلفة التى يسلكها الأفراد فى مواجهة ما يحسونه من صراع وإحباط ، وخصوصا عند قيامهم بحل مشاكلهم الخاصة التى ظلوا يرزحون تحت عبئها زمناً طويلا :

التوافق المعقول :

لا يكون التوافق معقولا حتى يقوم الفرد بحل مشكلاته حلا يعتمد على وزن كل التصرفات المحتملة المختلفة وتقدير ما يترتب على كل تصرف منها من نتائج ثم اتخاذ الاجراءات التى يوصل إليها التدبر العقلى السليم . فأنت إذا لم تكن تعرف هجاء كلمة فى اللغة الانجليزية مثلا ، لا تعمد إلى تأنيب نفسك وتأثيمها وإنما تسرع إلى قاموس تتحقق فيه من صحة هجائها . والآباء كذلك يبعثون بأبنائهم إلى المدارس لكى تعدهم الإعداد المطلوب ولتمكنهم من اكتساب المعارف والعادات والاتجاهات التى تلزمهم فى الحياة . هذه جميعا تصرفات معقولة وحلول ناجحة للمشاكل قد لا تتيسر للشخص فى جميع مواقف الحياة . ومن أسباب ذلك :

www.ibtesamah.com/vb

١ — أن يكون الشخص بدوافعه وانفعالاته عنصرا من عناصر الموقف مما يجعل من العسير عليه حل المشكلة أو مجابهة الموقف بطريقة سليمة. فكثير من الناس يلومون غيرهم على موقف هم أنفسهم أصحاب الفضل الأول فى خلقه وإيجاده. خذ لذلك مثلا ذلك الموظف الذى يحس أنه مرهق من كثرة العمل ويلوم رئيسه، مع أنه كان قد أصر على أن يكلف بقسط أكبر من الأعمال. كذلك قد يغفل الفرد عن بعض الوسائل التى يستطيع أن يحل بها مشكلاته حلا ناجحا لا لشىء إلا أن تحيزه قد أعماه عن أن يبصر هذه الوسائل. فكم من رجل قد امتهن حرفة لا يليق لها أو تجنب حرفة يعلم هو أن عنده من المؤهلات ما ييسر له النجاح فيها، لأن غروره وكبرياءه يحولان بينه وبين أن يختار المهنة التى تتناسب واستعداداته. بل إن من الناس من تمنعه أنفته وصلفه وحساسيته من أن يطلب معونة هو فى أشد الحاجة إليها، فالفرد فى جميع الحالات السالفة يقيم فى وجه نفسه من دوافعه وانفعالاته عراقيل تحول بينه وبين أن يصل إلى الحل السليم للمواقف، وهو لا يستطيع أن يسيطر على أمثال هذه العقبات لأنه لا يكون فى العادة شاعراً بها، مدركا لوجودها أو عالما بطبيعتها.

٢ — وقد يتضمن الموقف، أو المشكلة التى يروم الفرد حلها من العناصر المجهولة التى لا علم للفرد بها ما يحول بينه وبين أن يهتدى إلى الحل الصحيح. فعالمنا هذا يحوى بين جنباته من الأفراد والأشياء ما نجهل طبيعته جهلا نعجز بسببه عن أن نتصرف التصرف السليم. أنت مثلا لا تستطيع أن تتخير لنفسك مهنة ما وأنت واثق من أنك سترتاح إليها أبداً وتبرز فيها وكذلك لا يمكنك انتقاء زوجة تضمن أنها ستكون الزوجة المثالية طوال الحياة، أو تنضم إلى حزب تعلم مقدماً أنه سيظل دائماً صاحب الرأى الأرجح فى المشكلات السياسية لبلادك. الحياة إذن مليئة بالظروف الطارئة التى لا تكون فى حسبان الناس من

www.ibtesamah.com/vb

قبل والتى لم يكن ليتوقعها أحد وما أكثر هذه الظروف الطارئة التى تشمل الحروب والانقلابات السياسية وتصرفات الآخرين . ولو أن واحدا من الناس توخى ألا يتصرف فى موقف حتى يعلم كل ما يتضمن من عناصر وكل ما يحتمل أن يطرأ من ظروف وأمور هى فى جوف الغيب لكان عليه ألا يبت فى مسألة وألا يقطع برأى فى مشكلة وأن يعلق أحكامه حتى ينكشف له ما يجهل من الأمور .

والخلاصة أن هناك أسباباً ذاتية وأخرى موضوعية تحول بين الفرد وبين أن تكون كل تصرفاته معقولة ملائمة . وغاية ما يستطيعه الفرد هو أن يقوم بحل المشكلات ومجابهة المواقف على ضوء ما يعلم عنها فعلا وعلى حسب ما تبدو فى لحظة التصرف .

الحيل الدفاعية :

وعجز الفرد أن يواجه المشكلات فى صراحة واقتدار يدفع به إلى أساليب مختلفة من التكيف يقصد بها إلى التخفف من حدة التوتر الناتج عن الإحباط . وهذه الأساليب وإن كانت تتعدد بتعدد الأفراد وتصل أحياناً إلى حد كبير من التعقد — يمكن أن توضع تحت مقولة واحدة هى « الحيل الدفاعية » التى تشترك فى أنها نوع من تشويه الحقيقة . خذ لذلك مثلا ما صدر عن الثعلب فى الخرافة المشهورة حين عجز عن الوصول إلى العنب فرماه بأنه « عنب فج حامض » فهذا نوع من التبرير شوه به الثعلب حقيقة العنب ، وكذلك ما تقوم به أنت من قذف المطرقة حين تخطىء فتدق يدك بدلا من أن تدق المسمار وتدمدم بسب المطرقة التى لا تصلح فى دق المسامير . فهذا نوع من الإسقاط شوهت فيه حقيقة المطرقة ونسبت فيه إليها ما لا تتصف هى به بل ما تتصف به أنت .

والحيل الدفاعية جميعها تقوم على تشويه الحقيقة ابتغاء تحقيق الأغراض الآتية :

www.ibtesamah.com/vb

١ — أن يتجنب الفرد حالات القلق وما يصاحبها من شعور بالإثم، فأنت مثلا لا تستطيع أن تلوم نفسك على دق إصبعك ولا أن تعترف بخطئك فى هذا، وإنما تلقى اللوم على غيرك،وغيرك هنا هو المطرقة طبعا.

٢ — أن يحفظ الفرد على نفسه اعتباره لذاته فالثعلب لا يرضيه أن يعترف بأنه قد انصرف عن العنب لعجزه عن الوصول إليه، وإنما هو يخدع نفسه بأن العنب فج حامض لا ينبغى له أن يتعب فى سبيل الحصول عليه وبذلك يستبقى ثقته فى نفسه واحترامه لذاته.

وتشويه الحقيقة إنما يكون عن أحد طريقين:

(الأول) إنكار الدوافع أو الذكريات، وذلك كما يحدث فى حالات الأمنيزيا.

(الثانى) مسخ هذه الدوافع أوالذكرياتوتشويهها، وذلك كما يحدث فى التبرير والإسقاط.

والآن نستعرض بعض هذه الحيل الدفاعية:

(أولا) التبرير:

كل إنسان يود أن تكون تصرفاته معقولة وأن تقوم على أساس من الدوافع المقبولة. ولهذا فإن الفرد حين يخرج فى تصرفاته عن الحد المعقول ويصدر فى سلوكه عن بعض الدوافع التى لا يرضيه أن يقر بها ويعترف بنسبتها إليه، يعمد إلى تفسير سلوكه تفسيراً يبين به لنفسه وللناس أن سلوكه معقول لا غبار عليه وأن ما دفعه إليه ليس أكثر من دوافع مقبولة يحترمها الناس. وقد اتفق العلماء على تسمية هذه العملية التى يتلمس الفرد فيها الأعذار المنطقية المعقولة لتصرفاته، بالتبرير. والتبرير ليس معناه أن تكون تصرفات الفرد معقولة، ولكن معناه أن نبرر سلوكنا حتى يبدو فى نظرنا معقولا. وهو يعد حيلة دفاعية

www.ibtesamah.com/vb

لأنه يمكن الفرد من تجنب الاعتراف بما يدفعه إلى سلوكه غير المعقول من دوافع غير مقبولة . كذلك يختلف التبرير عن الكذب على أساس أن التبرير عملية لا شعورية ويقنع فيها الفرد نفسه بأن سلوكه لم يخرج عما ارتضاه لنفسه من قيم ومعايير ، فى حين أن الكذب عبارة عن عملية تزييف شعورية إرادية يشوه بها الفرد وجه الحقيقة وهو على علم بما يفعل وبأن ما يصوره للناس ويحاول إقناعهم به ليس صحيحاً ولكنه محض خيال . وفيما يلى نورد أمثلة للتبرير توضح ما نقول : كثيراً ما يحضر التلميذ إلى المدرسة متأخرا ، فإذا سئل عن سبب تأخره أجاب بأن والدته قد فاتها أن توقظه فى الميعاد المناسب ، أو أجاب بأن الساعة المنبهة لم تقم بأداء وظيفتها ، كما كان متوقعا . والواقع أن هذه أسباب قد لا تكون صحيحة فى كثير من الأحيان ، وأن السبب الرئيسى الذى لا يرضى التلميذ أن يعترف به ، حتى أن يقتنع به هو أنه لا يميل إلى المدرسة كثيرا . لأنه لو كان يريد الحضور إلى المدرسة فى الميعاد المحدد لبذل قصارى جهده ، ولما حال بينه وبين ذلك حائل ، بدليل أنه لا يكاد يتأخر إلا نادرا جدا عن الذهاب إلى السينما أو إلى لقاء صديق . والتلميذ هنا لا يستطيع أن يقر بكراهيته للمدرسة كراهية دفعته إلى التأخر ، لأنه يعلم أن هذه الكراهية ليست من بين الدوافع المقبولة للسلوك .

كذلك من التبرير أن تقوم بشراء سيارة جديدة ، والتخلص من سيارتك القديمة ، التى لم يكن يعيبها شىء ، والتى لم يكن هناك مايدعو إلى التخلص منها ، ثم تعتذر عن ذلك بأن ما دفعك إلى هذا هو أن العربة القديمة كانت على وشك أن تكلفك نفقات إصلاح طائلة ، تكاد تساوى مادفعته من مال لتغييرها . فالدافع الحقيقى فى هذا السلوك هو مجرد شراء عربة جديدة والتباهى بحيازتها ، ولكن هذا الدافع لا تستطيع أن تعترف به فيما بينك وبين نفسك ، ولذلك فأنت تلتمس عذرا يبدو به سلوكك

www.ibtesamah.com/vb

مقبولا معقولا ، ويعفيك من استهجان الآخرين لتصرفاتك ، ويجنبك من أن تلوم نفسك وتستشعر الإثم ، لأنك قد استجبت لما لاينبغى أن تستجيب له من الدوافع .

ومن حالات التبرير ما لا يكون الفرد فيها على علم بالدافع الحقيقى الذى يدفعه إلى السلوك . ولعل خير الأمثلة على ذلك : ظاهرة التبرير التى تعقب عملية التنويم ، فقد قام بعض الفاحصين بتنويم أحد الأشخاص ثم أمره بأن يقوم بملاحظة جيب المنوم بعدأن يستيقظ ، حتى إذا وجده يخرج من جيبه منديلا أبيض ، كان عليه أن يتوجه إلى نافذة الغرفة ويفتحها ، وأوحى إليه المنوم ألا يتذكر بعد الاستيقاظ أن المنوم هو الذى أمره بفتح النافذة عند رؤية المنديل .

ثم أيقظه المنوم فكان فى حالة بين اليقظة والمنام ، وجعل يتجول فى أرجاء الغرفة وهو يجاذب الحاضرين أطراف الحديث ، وينظر أثناء ذلك إلى جيب المنوم . ثم مد المنوم يده إلى جيبه بطريقة توحى أن يجعلها عرضية ، واستخرج المنديل فأحس المغموض بدافع يدفعه إلى النظر إلى النافذة ، وتقدم خطوة تجاه النافذة يريد فتحها ، ولكنه توقف مترددا . ثم جعل يبحث فى نفسه عن السبب الذى يدفعه إلى فتح النافذة وقال : « ألا تشعرون معى بأن الجو خانق هنا ؟ » . ثم عمد إلى فتح النافذة بعد أن التمس لنفسه العذر الذى كان بحاجة إليه ، واستشعر الارتياح .

الإسقاط :

لكل إنسان خلة مذمومة ، أو صفة غير مرغوب فيها ، أو خلق لا يرضيه أن يعترف به . ولا بد له من أن يكفى نفسه مئونة الاعتراف بمثل هذه النقائص . ولا يتحقق هذا إلا عن طريق حيلة دفاعية تعرف

www.ibtesamah.com/vb

بالإسقاط . فالإسقاط هو أن تنسب ما فى نفسك من صفات غير معقولة إلى غيرك من الناس بعد أن تجسمها وتضاعف من شأنها . وبذلك تبدو تصرفاتك منطقية معقولة . ومثال ذلك : أننى لو كنت أجنح إلى التعسف فى نقد الآخرين ، وأميل إلى القسوة والتشدد فى معاملة الناس ، وأننى كنت أكره فى نفسى ذلك الميل ، لكان فى وصفى للناس من حولى بالقسوة ، واتهامهم بالتشدد سببا من الأسباب المعقولة التى تفسر تصرفاتى بدلا من أن تبدو تصرفاتى ولامسبب لها إلا مالدى من نقائص ، ولكان معنى هذا أننى أعاملهم بالمعاملة التى يستحقونها . كذلك يلجأ الطالب إلى إقناع نفسه بأن كل ما عداه من الطلاب يغشون فى الامتحانات ، وذلك لكى لا يبدو غشه فى نظره نقيصة من النقائص ، أو رذيلة ينفرد هو بارتكابها ، وإنما يصبح غشه مجرد مجاراة منه لسائر إخوانه ومسايرة منه لهم . وهكذا يتبين أن الإسقاط نوع من التبرير ، وأنه كثير الشيوع فى تصرفات الناس . وقد أجريت تجربتان تؤكدان ذلك : إحداهما فى أمريكا والثانية فى فيينا .

أما الأولى : فقد طلب فيها إلى طلاب جامعة أمريكية أن يقوموا بتقدير مبلغ تحقق هذه الصفات الأربع فى أنفسهم وفى رفقائهم :

البخل ، العناد ، الميل إلى الفوضى وعدم الترتيب ، كثرة الخجل . ثم درست التقديرات فتبين منها :

(١) أن بعض من يتصفون بهذه الصفات كانوا على علم بأن هذه الصفات متحققة فيهم ، على حين أن بعضهم الآخر لايكاد يشعر بذلك .

(٢) أن هؤلاء الذين لا يشعرون بتحقق هذه الصفات فيهم كانوا يميلون إلى نسبة هذه الصفات إلى مجموعة أكبر من الرفقاء ، وأنهم كانوا يقدرون وجودها بنسبة مرتفعة فى هؤلاء الرفاق .

www.ibtesamah.com/vb

أما التجربة الثانية لدراسة الإسقاط فأجريت على طلاب الجامعة فى فيينا الذين طلب إليهم أن يقدروا مبلغ تحقق بعض سمات الشخصية فى أنفسهم لتقوم بعد ذلك طائفة من المحكمين العارفين بالطلاب حق المعرفة بتبين مبلغ صدق هذه التقديرات . وقد انتهى المجربون إلى أن كثيرا من الطلاب يميلون إلى أن يغيروا سماتهم البذيئة إلى نقيضها ، بمعنى أن الشخص الذى كان يذكر عن نفسه أنه « يخلص لصديقه فى جميع الظروف » ، لم يكن الإخلاص من طبيعته على الإطلاق ، ولكنه كان يخيل إليه أن من عداه من الناس أكثر غدرا ومخاتلة إن قورنوا به .

٣ — التقمص :

إذا كان الإنسان ينسب فى الإسقاط صفاته القبيحة إلى غيره من من الناس فإنه فى التقمص يتخذ لنفسه بعض ما يجد عند غيره من حميد الخصال .

والتقمص يشبه التقليد كثيرا وإن كان يختلف عنه فى بعض النواحى. فنحن فى التقليد نتخذ من سلوك غيرنا أنموذجا نحتذيه ، فالطفل يلذ له أن يقلد والده ويرتدى ملابس الكبار وينحو نحوهم فى تصرفاتهم . ولكننا لا نتقمص الشخص الذى نقلده إلا إن كنا نحمل له الحب فى قلوبنا . كما أن التقمص الحق لا يقتصر على تقليد شخص أو نهج منهجه وإنما التقمص يتضمن شعور الشخص بأنه قد أصبح — فى الخيال والوهم — نفس الشخصية المتقمصة . فنحن لا نصبح مشابهين له فقط وإنما نصبح وإياه شيئا واحدا نحس بنجاحه وفشله ونشعر بفرحه وأسفه .

وبالتقمص يسهل تفسير ما للمسرح والروايات من جاذبية وإمتاع ، فنحن نضع أنفسنا حين قراءة الروايات أو مشاهدة المسرحيات موضع الأبطال ونصبح وكأننا نقوم بما يقومون به من مخاطرات وأعمال. وكذلك

www.ibtesamah.com/vb

يتقمص قارئ الرواية البوليسية دور رجل البوليس الذى يقوم فى النهاية بالكشف عن فاعل الجريمة ويشعر القارىء عندئذ بشئ من الإرتياح والاستعلاء واحترام الذات لأنه قد تقمص شخصية البطل الجديرة بالإعجاب.

والتقمص والتقليد لازمان من أجل نمو شخصية الفرد ، إذ لا بد للطفل من أن يتعلم القيام بدور ما فى الحياة ، فالولد مثلا لا بد له من أن يصبح رجلا كسائر الرجال فى المجتمع، والبنت لا بد لها من أن تسلك مسلك النساء وهما لا يستطيعان أن يخرجا من طور الطفولة إلى مرحلة الرشد والنضوج إلا بأن يتخذ كل منهما لنفسه أنموذجا صالحا يحتذيه . وأنموذج الولد أبوه وأنموذج الفتاة أمها . وليس يكفى أن يقوم الولد أو الفتاة بتقليد الأنموذج من أجل أن يستطيع كل منهما القيام بدوره فيما بعد فى الحياة ، بل لابد من عملية الامتصاص . مثال ذلك أن الفتاة التى تكون قد نجحت فى تقمص شخصية أمها هى التى تستشعر الغبطة والسعادة حين تقوم بعد ذلك بدور الأم . أما الفتاة التى كانت قد اقتصرت على تقليد أمها فإنها لا تصل إلى أكثر من معرفة الدور الذى يطلب إليها القيام به ، ثم تقوم بأداء دورها دون أن تعيش فيه وتشعر به .

٤ — انعدام الترابط Dissociation :

من طبيعة الإنسان أن تكون أفعاله ومشاعره وأفكاره بحيث يرتبط بعضها ببعض . فلو أنك أدركت أن هناك من يؤذيك لشعرت بالغضب ولقابلت الإيذاء بمثله . فتفكيرك فى هذه الحالة وغضبك وحركاتك العضلية كلها أجزاء فى كل واحد متناسق . ولكن هذه الوحدة والانسجام بين التفكير والوجدان والأفعال كثيراً ما تتلاشى بفعل ما يترتب على التربية المبكرة من صراعات ، وعندئذ يحدث شىء من التفكك والانحلال فى الرابطة التى تضم التفكير والشعور والأفعال ، ولنضرب مثلا يوضح هذا الكلام .

www.ibtesamah.com/vb

نحن نعلم الطفل منذ سن مبكرة ألا يدفعه الغضب إلى الضرب والإيذاء . فإن تصادف بعد ذلك أن أغضبه أحد أبويه نجده لا يستطيع أن يرد العدوان لأن ذلك لا يرضيه كما أنه يجر عليه الإحساس بالإثم . ونجده حين يستبد به الغضب ويحاول فى نفس الوقت أن يتجنب الشعور بالإثم — قد أسعفه ذلك الانحلال وانعدام الترابط بين مشاعره من ناحية وأفكاره أو أفعاله من ناحية أخرى . ولكن هذا الانحلال وانعدام الترابط لا يعنى أنه قد تخلص من غضبه ، فإن سلوكه يكشف عن هذا الغضب فى صورة غير مترابطة كأن يقضى ساعة أو ساعتين فى رسم الطائرات أو التحدث عن المعارك . فهو فى هذه الحالة لم يظهر شيئا من انفعاله نحو أبويه اللذين كانا مصدر غضبه وإنما انفصلت مشاعر الغضب عنده عن الأبوين وعبرت عن نفسها بطريقة رمزية على هيئـــة صور وقصص عن الحرب والقتال .

والانحلال وعدم الترابط يتخذ صورا كثيرة سنكتفى بأن نبحث إثنين منها وهما :

الحركات القسرية (Compulsive) والإكثار من التفكير النظرى (Excessive Theorizing) .

الحركات القسرية :

هى أفعال يجد الفرد نفسه مضطرا إلى إتيانها ثم إلى إعادة إتيانها وهكذا دواليك ، وهى تدل على أن الحركات قد انسلخت عن الوجدانات الخاصة بها . وإنك لتجد هذه الحركات فى سلوك كثير من الناس على هيئة لزمات أو حركات هى أشبه بالطقوس الدينية . فبعض الناس لا يستطيع أن يمر بأعمدة التليفونات دون أن يلمسها بيديه ، وبعضهم الآخر لا يملك إلا أن يعد كثيرا من الأشياء التى تقع عليها عينه فى الطريق ، والحركات القسرية تصدر عن الفرد بطريقة أوتوماتيكية ودون أن يصحبها شىء

www.ibtesamah.com/vb

كثير من الانفعال فيخيل للمرء عندئذ أنه ليس وراءها وجدانات قوية تدفع إليها على حين أن الحيلولة بين الشخص وبين إتيانها يؤدى إلى انفعالات قوية عنيفة مما يدل على أنها سلوك تدفع إليه دوافع قوية ، ومن الممكن تفسير هذه الحركات القسرية بأنها تقوم مقام أنواع أخرى من السلوك لا يدرى الشخص نفسه طبيعتها . من ذلك ان رمش العين قد يرمز إلى رغبة الشخص فى النظر إلى مشهد تحرم رؤيته وإلى تحرجه فى الوقت عينه من إتيان هذا الفعل ثم إن هذه الحركات القسرية حين يقوم بها الفرد فى غير انفعال تصبح بمثابة تأكيد للفرد بأنه لن يقوم بتنفيذ الأفعال التى قامت الحركات القسرية مقامها وأنه بالتالى لن يستشعر الإثم والخطيئة نتيجة لذلك .

الإكثار من التفكير النظرى :

وهو صورة أخرى من صور الانحلال وعدم الترابط ، يحل فيها التفكير فى الشىء والتحدث عنه محل ما كان ينبغى أن يؤدى نحوه من الأفعال وذلك لئلا يؤدى عجز الشخص عن القيام بالأفعال المطلوبة إلى شعوره بالنقص والاتضاع . ومن الأمثلة على تلك الظاهرة أن طالبا من طلاب علم النفس وجد صعوبة فى الاشترك فى المناقشات الجمعية (Gronp Discussion) فأنشأ يدرس عملية المناقشة الجمعية دراسة نظرية وفى نفسه الإحساس بعجزه عن أن يكون عضوا فى جماعة .

على أنه لا بد من التنبيه إلى شىء هام هنا : هو أن الفرد لا ينبغى له أن يفزع إن وجد فى سلوكه شيئا مما تحدثنا عنه ، ولا أن يعد نفسه عاجزا عن التكيف الصحيح نتيجة لذلك فإن فى سلوك الناس جميعا شيئا من الحركات القسرية مثل الترنم بنغمة معينة لمدة طويلة أو قرض الأقلام التى يكتبون بها . وإن مثل هذا السلوك لينتقص من حدة ما يشعرون به

www.ibtesamah.com/vb

من توتر وليساعدهم على الشعور بشيء من الراحة في حياتهم اليومية العادية. وليس مما يفزع ألا يكون عند الناس من الحركات القسرية النوع الذى يجده الفرد عنده بالذات . كذلك ينبغى أن يهون علينا ذلك علمنا بأن انفصال الانفعال من السلوك أمر لا بد له من أجل التفكير الموضوعى المعقول . فالعالم مثلا لا بد له من أن يتعلم كيف يتقبل ما قد يخرج عن تجربته من نتائج ولو كانت عكس ما كان يتوقع ويرغب فيه من نتائج . فتحرر العالم انفعاليا أو وجدانيا من نتائج تجاربه هو جزء مما يعرف بالموضوعية العلمية ، وهو لازم كذلك من أجل التفكير السليم المنظم . وليس للفرد أن يخشى شيئا أو أن يظن أن الانحلال والتفكك قد وصل إلى درجة لا ينبغى له أن يصل إليها إلا إذا كان الفرد قد استبدل بحل المشكلات ومواجهة المواقف نوعا من الحركات القسرية يصر على إتيانها بشكل مطرد لا يتخلف وبطريقة جوفاء لا تحمل معنى .

٥ — الكبت Repression :

والكبت هو الوسيلة التى يتقى بها الإنسان إدراك نوازعه ودوافعه التى يفضل انكارها . وهو يتميز عن قمع الإنسان لنوازعه Suppression فى أن الإنسان يقوم فى حالة القمع بضبط نفسه وحبسها عما تشتهيه وتندفع إليه من الأمور المحرمة فى نظر الجماعة وفى أن الإنسان يكون على علم بهذه النوازع وبأنه يحول بينها وبين أن تبدو للناس . على حين أن الكبت لا يتضمن وعى الفرد بما يكبته من دوافع . وتفرقة أخرى بينهما نستطيع أن نشير إليها هى أن الدوافع فى حالة القمع تكون محرمة فى نظر الجماعة وغير مقبولة لديها على حين أن الدوافع فى حالة الكبت تكون من النوع الذى لا يقره ضمير الفرد ولا يسمح به . فكأن الكبت نوع من تهذيب الذات للذات على حين أن القمع عبارة عن خضوع النفس لنواهى المجتمع ومحرماته .

www.ibtesamah.com/vb

ومن المؤلفين فى علم النفس من يرى أن هناك من المجتمعات ما يعتمد فى تنظيم سلوك أفراده على القمع كبلاد الشرق الأقصى مثل الصين واليابان ، كما أن منها ما يعتمد فى ذلك على الكبت كبلاد شمال أوربا مثل ألمانيا والسويد والنرويج أما الأولى فإن أخوف ما يخافه الفرد فيها أن يلحقه العار والخزى بين أهله ومواطنيه . وأما الثانية فإن ما يحول بين الفرد فيها وبين أن يسوء سلوكه هو أن يعود فيستشعر الإثم والندم وعذاب الضمير . ولكننا نرى أن الظاهرتين موجودتان فى كل مجتمع من المجتمعات وإن كان ذلك بنسب متفاوتة ، وأن غلبة القمع على الكبت أو الكبت على القمع إنما يتفاوت بتفاوت الأفراد نتيجة التربية المنزلية وسيطرة الدين على النفوس ، ودرجة السمو الروحى ، والنضج الفكرى عند الأفراد .

والكبت الكامل يؤدى إلى النسيان ، أى اختفاء هذه الدوافع غير المقبولة اختفاء تاما من وعى الفرد وإدراكه ، وزوال ما كان يمكن أن يترتب على هذه الدوافع من سلوك . ولكن الكبت لا يكون كاملا فى معظم الأحيان ، ولذلك تلتمس الدوافع والنوازع وسائل أخرى غير مباشرة تعبر بها عن نفسها . وإن أكثر ما سبق من الحيل الدفاعية ليفيد فى ذلك إذ هى جميعا تقى الفرد من أن يشعر بدوافعه التى لم ينجح نجاحا تاما فى كبتها وإماتتها .

كذلك يفرق فرويد بين نوعين من الكبت : كبت أولى ، وكبت ثانوى . أما الأولى: فيريد به إنكار الفرد للحقائق التى من شأنها أن تحدث الإيلام للذات والشعور بالإثم إن اطلعت الذات عليها وأحست بها . وأما الكبت الثانوى: فيقصد به فرويد ميل الذات إلى أن تتجنب المواقف التى قد تذكر الذات بالحقائق التى أدت إلى الكبت الأولى . وهو يرى أن الأمنيزيا (وهى حالة من حالات فقد الذاكرة يمكن شفاؤها) يمكن النظر إليها

www.ibtesamah.com/vb

على أنها نوع من الكبت الثانوى ، بمعنى أن المصاب يبذل فيها جهده لكى يتجنب تذكر الأشياء التى يؤلمه تذكرها ويؤذيه ، لكننا نرى أن من حالات الأمنيزيا ما يتضمن كلا النوعين، فقد عثر على رجل ضال فى شوارع إحدى المدن الكبرى ، ووجد أنه لا يذكر اسمه ولا الجهة التى قدم منها ، وتمكن المختصون النفسيون من أن يعيدوا إليه القدرة على تذكر شخصيته ، وكثيرا من ذكرياته الضائعة . فتبين أنه كان قد اختلف مع أسرته يوما فتوجه إلى إحدى الحانات ، وظل يشرب الخمر حتى ثمل ، وارتكب ما لم يكن يرضيه أن يرتكبه وهو فى وعيه ، ثم ظل يعانى من عذاب الضمير عذابا انتهى به إلى أن يفقد ذاكرته فقدانا كان الدافع إليه فى أول الأمر رغبته فى أن يستأصل من تاريخه هذه الخبرات المشينة المؤلمة (كبت أولى) ، ثم أصبح الدافع إليه تجنب كل ما يتصل بهذه الخبرات من معرفته لنفسه ولاسمه ولوطنه ، وهذا هو الكبت الثانوى .

وقد نجح الباحثون أخيرا فى إجراء دراسات تجريبية تبين لهم أن أظهر ما يتميز به الكبت ، هو أن الفرد يكون قد صادف نوعا من الفشل والإخفاق أنقص من احترامه لنفسه واعتباره لذاته ، فتسوء بذلك قدرته على تذكر هذه الخبرات .

٦ — الإبدال (Substitution) :

والإبدال هو أفضل الحيل الدفاعية كلها فى حل المشكلات والإنقاص من حدة التوتر ، دون أن يترتب على ذلك إطلاع الناس أو إطلاع الفرد على ما لديه من دوافع غير مقبولة ، أو نزعات يحرمها المجتمع . وفيه يعمل الفرد من أجل أهداف صالحة تختلف عن الأهداف الأصلية غير المقبولة ويحاول أمورا ينتظر له فيها من النجاح ما لا ينتظر له فى غيرها .

والإبدال نوعان : إعلاء (Sublimation) ، وتعويض Compensation

www.ibtesamah.com/vb

أما الإعلاء فهو التعبير عن الدوافع التى لا يقبلها المجتمع بوسائل يقرها المجتمع ويرتضيها . فالشخص الذى يحال بينه وبين إشباع الدافع الجنسى قد يقوم بإعلائه ، ويأخذ فى تأليف الرسائل الغرامية ، أو قصائد الشعر ، أو عمل اللوحات الفنية . وفى الإعلاء تصريف للطاقة الجنسية ، وإنقاص من حدة التوتر ، ولكنه ليس تصريفا كاملا ولا إنقاصا تاما ؛ ذلك لأن الإشباع الجنسى لا يحقق الدافع الجنسى وحده ، وإنما يحقق كذلك كثيرا من الدوافع الأخرى المرتبطة به ، مثل الحاجة إلى الرفيق ، والرغبة فى الاتكال على الغير ، وعاطفة الأبوة ، وهذه الدوافع لا يمكن إشباعها بالسلوك البديل الذى أعلينا به الدافع الجنسى .

وأما التعويض فهو محاولة الفرد النجاح فى ميدان من ميادين النشاط بعد أن أخفق فى ميدان آخر مختلف عنه أو مرتبط به . فالتلميذ الذى يفشل فى الألعاب الرياضية ، قد يعوض عن فشله هذا بالدراسة الدءوب وبالجد فى المذاكرة ليصيب من التقدير فى الفصل ما لم يتحقق له فى الفناء . وواضح أن التعويض هنا قد تم فى ميدان مخالف للميدان الأول .

وقد يغالى الفرد فى التعويض ليثبت تفوقه وامتيازه فى الميدان الذى خلق هو ضعيفا فيه ، قليل الاستعداد له . والأمثلة على ذلك ليست بالنادرة ، فقد شهد التاريخ أن هتلر وموسولينى وفرانكو وستالين كانوا على شاكلة نابليون من قصر القامة ، وأنهم عمدوا إلى تحصيل قوة الشخصية ، وجمع النفوذ السياسى فى أيديهم ، بعد أن عز عليهم أن يغيروا ما وهبتهم الطبيعة إياه من أجسام وقامات .

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل ٢٠١٨

الفصل الثامن

المرض النفسى والعقلى

وسيلة ثابتة من وسائل التعبير عن الدوافع اللاشعورية

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل ٢٠١٨

تمهيـــد :

رأينا فى فصل سابق كيف أن دوافع الإنسان تحركه فيسلك سلوكا معينا فى البيئة التى يعيش فيها ، وهو يستهدف من هذا السلوك الحصول على الملاءمة التى تحقق له الشعور بالأمن والارتياح . إلا أنه يحدث أثناء محاولة الإنسان للتكيف ، أن ينجح وأن يفشل أحيانا أخرى . وفى حالة الفشل ينشأ عدم التوافق ، وهو نتيجة طبيعية لردود الأفعال الناتجة عن اصطدام الفرد بالبيئة الخارجية ، وما تحتويه من عقبات وصعاب وكف ومنع وإحباط .

ويلجأ الفرد إلى استخدام طرق كثيرة ، لعله يجد فيها وسيلة لتخفيف التوتر الذى ينشأ بسبب عدم التوافق بين الفرد والبيئة . ولقد سبق أن ذكرنا فى الفصل السابق ألوانا مختلفة من تلك الطرق (غير المباشرة) ، والتى تحقق للفرد نوعا من الراحة النفسية بسبب ما يشعر من تخفيف مؤقت للتوتر . وتشمل تلك الطرق : التبرير والتقمص والإسقاط والكبت . . . الخ . وهى معروفة فى بعض كتب علم النفس باسم « الحيل » ، والتى يمكن اعتبارها دوافع تتميز بالصفة اللاشعورية أكثر من الشعورية .

وبجانب هذا النوع من السلوك ، يقوم بعض الأفراد بأنماط أخرى من السلوك الشاذ ، أو المنحرف لها قيمة وظيفية بالنسبة لهؤلاء الأفراد ، إذ يجد المصاب عن طريق هذه الأعراض أكبر قدر من الملاءمة والتكيف تحت تأثير الظروف الشاذة التى يعيش فيها .

وتتخذ هذه الاستجابات شكلين متعارضين :

إقدام أو إحجام

www.ibtesamah.com/vb

« فالإقدام الشاذ هو الذى يتخذ شكل الاعتداء والتجنى، بينما الإحجام الشاذ ، هو الذى يتخذ شكل الانطواء على النفس والتردد الذى يدوم ، حتى يتحول إلى قلق ووساوس .

وهناك ضرب آخر من التوافق الشاذ يتوسط بين الاعتداء أو الانطواء ، هو الاستعطاف الشاذ عن طريق تصنع بعض الأعراض المرضية بطريقة تكاد تكون لا شعورية »[1] . ومجموعة الأعراض المرضية ، التى يتخذها المريض وسيلة لاستعطاف الغير هى التى تعرف بالأعراض الهستيرية .

تلك هى عينة من الأنماط السلوكية المرضية التى تحقق للمصاب هدفا يساعده على تخفيف حدة التوتر النفسى . وتندمج هذه الأعراض المرضية تحت مجموعة الأمراض النفسية أو الأمراض العصابية . ولأجل أن يكون فهمنا لموضوع المرض النفسى واضحا فى ذهن القارئ ، يحسن أن نعالجه بشىء من التطويل ، لنرى إلى أى حد كيف يؤثر هذا المرض فى سلوك الأفراد ، وكيف تعتبر الأسباب الكامنة وراءه ، دوافع تدفع المصاب للقيام بأنماط سلوكية خاصة :

المفهوم العام لمعنى المرض النفسى (العصاب) :

جاء فى التقرير السنوى لجمعية الطب النفسى الصادر فى عام ١٩٥٢ ، أن الأمراض العصابية هى عبارة عن مجموعة الانحرافات النفسية ، التى لا تنجم عن اختلال بدنى أو عضوى أو تلف فى تركيب المخ ، (حتى ولو كانت أعراضها بدنية عضوية) . والأعراض الرئيسية لأمراض العصاب هى : التوتر النفسى ، والكآبة ، والقلق ، والوساوس ، والأفعال القسرية اللاإرادية ، والتحول ، والشعور بوهن العزيمة ، والعجز عن تحقيق

(١) عن الدكتور يوسف مراد (شفاء النفس) ص ٣٥ — ٣٦ ، دار المعارف بمصر ١٩٥٣

www.ibtesamah.com/vb

الأهداف والمخاوف ، والأفكار السوداء التى تحاصر الفرد فى يقظته ، فتدعه مشتت البال ، وفى النوم فلا تدع للسبات إلى جفنيه سبيلا .

الفرق بين العصاب والذهان :[١]

لقد ذهب البعض إلى أنهما لايختلفان من حيث النوع ، بل من حيث الدرجة فقط ، بمعنى أن العصاب ماهو إلا حالة مخففة من حالات الذهان . والواقع أن حالة (المعصوب) تختلف اختلافا كبيرا عن حالة الشخص المصاب (بالذهان) ، ذلك لأن المريض العصابى يكون ذا بصيرة بمشكلته بعكس المريض الذهانى . وبالإضافة إلى ذلك فإن المرضى العصابيين ، لا يظهر عليهم تغير كبير فى سلوكهم أو شخصياتهم ، كما أنهم يعيشون فى معظم الحالات فى عالم الحقيقة ، بعكس مرضى الذهان فشخصياتهم فى نواحيها المختلفة (إدراكية ووجدانية ونزوعية) مضطربة غير متماسكة . ولنأخذ لذلك مثلا بالشخص المصاب بالهذيان أو بالهلوسة (وهى من بين الأمراض الذهانية) ؛ فشخصية أمثال هؤلاء المصابين تكون غير متماسكة ، مضطربة يصعب التعامل معها . ففى مرض (الفصام[٢]) ، مثلا يشعر المصاب بالتبلد ، فلا يبالى كثيرا بما يدور حوله . وفى بعض الأحوال يزداد تبلد المريض ليستحيل فى بعض أنواع الفصام[٣] إلى شبه تمثال أصم أبكم ، ولا يتناول طعامه أو يقوم بأى نوع من النشاط . وبصفة عامة يتميز سلوك المريض بالفصام بالسطحية وبالتغير المفاجئ وعدم الترابط أو الانتظام ، كما أنه يحيا بعيدا عن عالم الحقيقة والواقع ، وكثيرا ما يسمع أصواتا ، أو يرى أشياء ليس لها وجود حقيقى . وقد تدفع هلوسة المريض وهذيانه فى بعض الحالات إلى الاعتداء أو القتل ،

---

(١) عصاب Psychoneurosis أو Neurosis
ذهان Psychosis

(٢) Schisophrenia (٣) Katatonic type

www.ibtesamah.com/vb

دون إنذار أو سبق إصرار ، حيث يبدو له (عن طريق الوهم) أن الشخص المعتدى عليه يسبه أو يضع له السم فى الطعام .

وتختلف الجرائم التى يرتكبها المريض (بالبرانويا[١]) على جرائم المريض بالفصام ، إذ تكون نتيجة لترو سابق وتفكير . فإذا اعتقد المريض[٢] « أن فتاة معينة تحبه ، وأنها لا تظهر له حبها خوفا من قوم معينين يحاربونه ويمنعون عنه فتاته ، فقد يقتل هؤلاء القوم لينتزع منهم حبيبته المزعومة » .

تصنيف الاستجابات الشاذة :

اتضح من عرضنا السابق أنه يمكن تقسيم الاستجابات المرضية إلى قسمين :

(أولا) أمراض نفسية .

(ثانيا) أمراض عقلية .

وسنعالج فى الصفحات التالية بعض هذه الأمراض ، مبينين إلى أى حد كيف تصبح العوامل الكامنة وراء كل مرض منها ، قوة تحرك سلوك الفرد ، وتؤثر فيه وتسيطر عليه . وسنقصر كلامنا فى هذا الصدد على :

(١) الوساوس المتسلطة .
(٢) النيوراستنيا .
(٣) الهستيريا .
(٤) السلوك السيكوباتى .
(٥) السكيزوفرينا .
(٦) الجنون الدورى .

---

(١) البارانويا (Paranoia) مرض عقلى يختلف عن الفصام ، ذلك لأن المصاب به يعتقد اعتقادا واحدا خاطئا يوجه إليه كل اهتمامه ويجعله موضوع أحاديثه ويحاول أن يقنع كل من يقابله بما يعتقده منطقيا .

(٢) من مقال للدكتور وليم الخولى ، عنوانه (المرض العقلى والجريمة) نشر فى مجلة علم النفس سنة ١٩٤٨ .

www.ibtesamah.com/vb

١ — الوساوس المتسلطة :

يقوم بعض الناس بنوع من السلوك الشاذ يدعو إلى الضحك والسخرية ويثير التعجب والاشفاق عليهم ويتخذ السلوك الشاذ صورا تتميز جميعها بالصفة التكرارية ، ذلك أن هذه الفئة من الشخصيات المريضة تتملكها أفكار من نوع خاص تسيطر على تفكيرها وتدفعها قسراً إلى القيام بأعمال وحركات رغم شعورها التام أن ما يصدر عنها من أعمال وحركات وتصرفات ، أمور لا يقبلها العقل ولا يقرها المنطق السليم .

لهذا المرض صور متعددة ومظاهر مختلفة ، من أهمها : الخوف من النجاسة ، فنجد المريض لا يكاد يلمس أحدا أيا كان حتى يسارع إلى غسل يديه ، إن لم يغسل جسده كله ، ويضيع الأوقات الطوال فى محاولات التطهر بالماء والصابون أو بالبازول أحيانا . وهناك ظاهرة ثانية يتصف بها بعض المرضى وهى عدم النوم قبل التأكد من إغلاق الأبواب والنوافذ وقفل مفاتيح النور وصنابير المياه . وقد يحدث مراراً أن يذهب المريض إلى فراشه ، ولا يكاد يستقر فيه حتى ينهض مرة أخرى لفحص هذه الأشياء كما حدث فى المرة الأولى .

وهناك مظهر ثالث يتمثل فى أن بعض الأفراد يلتزمون نظاما خاصا فى ارتداء ملابسهم أو خلعها حيث يبدأون بلبس الجوارب أولا ، ويلى ذلك لبس الحذاء فالقميص فالبنطلون فالجاكتة فالطربوش الخ . وإذا تصادف أن غير هذا النظام وأخطأ نتيجة للسرعة فارتدى البنطلون قبل الحذاء مثلا فإنه يعود ثانية من حيث ابتدأ .

وهنالك ظاهرة رابعة تتصل بترتيب الملابس والأشياء وقطع الأثاث بشكل معين ، وفى مكان خاص على حسب الحجم وتفاوت الألوان . فمثلا تنظم زجاجات الرائحة على حسب أحجامها وأطوالها ، وكذلك توضع

www.ibtesamah.com/vb

الكراسى فى مكان خاص وبزاوية معينة تتناسب مع قطع الأثاث الأخرى بالحجرة . وأى إخلال فى هذا التوازن ، يسبب للشخص قلقا شديدا وارتباكا لا حد له .

وكثيرا ما نلمس لدى بعض ربات البيوت شذوذا فى هذه الناحية فنجدهن متبرمات بزوارهن ، ولا يكاد الزائر يحرك شيئا من مكانه حتى يسارعن إلى وضعه فى مكانه ، ولا تبقى الواحدة منهن ساكنة فى مكانها بل تنهض من مكانها لتسوية مفرش أو وضع منفضة السجائر فى مكانها أو ترتيب المقاعد .

وأما المظهر الأخير لهذا المرض النفسى فنجده فى الحياة العامة لدى الموظفين المتمسكين بالروتين الحكومى أو المصلحى تمسكا حرفيا : لدى السكرتير المربك الذى يميل إلى تعقيد الأمور حتى ما كان منها سهلا ميسرا ، أو أمين المكتبة العبوس الذى يعرقل أمور الاستعارة ، أو ضباط السجون والمشرفين على الطلبة ، الذين يتمسكون بشكلية النظام دون تصرف خاص ويفرضون عقوبات صارمة لأتفه ذنب ، أو المدير الذى يرفض التصديق على أتفه القرارات ما لم يطلع عليه بنفسه ويمهره بإمضائه .

هذه مظاهر المرض فى حالاته الشديدة ، ولكننا نلمس فى تصرفاتنا أحيانا ، وفى ظروف نفسية غير ملائمة بعض مظاهر هذا المرض فى صور مختلفة ، فلا يظن القارئ إن لمح شيئا من ذلك أنه مريض ، إنما المرض حين تلح الوساوس عليه ، وحين تتملكه حتى تشذ به عن السلوك السوى .

وعندما تشتد العلة بالمريض ويتبين الفارق الكبير بين سلوكه وسلوك المجتمع يملؤه ذلك بالآلام والخجل فينعزل عن المجتمع وبذلك تتعقد المشكلة.

وأحب أن أشير إلى أن جميع المصابين يشتركون فى صفة أساسية

www.ibtesamah.com/vb

هى شدة الحساسية لأخطائهم الخاصة وصرامتهم الأخلاقية وغالبا مايكون تمسكهم بالدين تمسكا شديدا لما فى الدين من إرضاء لذاتهم العليا ، ولما فى صلواتهم وصيامهم ووضوئهم من عون على التخفيف من الشعور بالإثم ، هذا الشعور بالإثم غرسته فى نفوس المرضى بيئة متمسكة محافظة ، ولا شك أن التربية المتزمتة مسئولة إلى حد كبير عن غرس هذا الشعور فى نفس النشء ، والتربية السليمة هى التى تجعل فكرة المرء عن القانون الأخلاقى فكرة متزنة وتربى لديه القدرة على مواجهة مشاكله النفسية ، بدلا من اللف والدوران كما يحدث فى حالة المرض الذى نحن بصدده إذ يهرب المصاب من الصراع القائم ، ويحاول حله بانتهاج تصرفات شاذة هى محاولات منحرفة لا تجدى إن لم تعقد الموقف . ومهمة العلاج النفسى هو إطلاع المريض على حقيقة هذا الصراع ، ومعونته على فضه بطريقة سوية مع تغيير بيئته التى قد تزيد من حدته .

ومن الأسباب المهمة كذلك فى الإصابة بالوساوس المرضية شعور المصاب بالقلق النفسى منذ الطفولة ، بسبب ما يتعرض له من عوامل إحباطية متكررة . وسنوضح أثر هذه العوامل بالمثال التالى :

دراسة لحالة من حالات الوساوس :

المصاب رجل فى سن ٣٤ سنة ، يعمل صرافا بأحد البنوك ؛ متزوج وليس له أولاد .

الشكوى : تتلخص شكوى المصاب عندما حضر للعيادة فيما يلى :

(١) الشعور بعدم الاستقرار فى عمله ، وعدم ميله إليه .

(٢) كان يشك دائما فى صحة عمله ، وفى دقة العمليات الحسابية التى يقوم بإجرائها ، فقد كان يقضى الساعات الطويلة فى تكرار ومراجعة العمليات الحسابية التى يكلف بعملها .

www.ibtesamah.com/vb

(٣) كان إذا خرج من منزله يعود إليه مرة ثانية للتأكد من أنه أطفأ النور وأغلق الأبواب .

(٤) كان دائما يفكر فى المستقبل .

(٥) كان هدفا لمجموعة من الخيالات والأوهام .

(٦) الشكوى من الأرق وعدم النوم .

التاريخ الشخصى للحالة :

— فى سن السادسة أصيب بمرض نتج عنه عجز فى ساقه اليمنى ، اضطر الأسرة أن تجرى للطفل عدة عمليات جراحية ، الأمر الذى أدى إلى أن يقضى الطفل مدة طويلة بالمستشفى . ولقد ذكر المصاب أنه نتيجة لهذا العجز فى طفولته لم يكن يستطيع اللعب مع أقرانه داخل المدرسة وخارجها ، كما كان يتعذر عليه التنافس معهم .

— وفى سن التاسعة نشأت بين الحالة وطفل آخر من أبناء الجيران كان يكبره سنا ، صداقة أدت بهما إلى مزاولة العملية الجنسية المثلية . واستمر ذلك حتى فترة المراهقة ، وأدى ذلك إلى أن أصبح الطفل مصابا بالشذوذ الجنسى ، كما أنه أصبح يشك فى رجولته .

— كان والد الطفل مدمنا على شرب الخمر .

— طلقت والدة الطفل من أبيه وهو فى سن ١٥ سنة ؛ وبعد انفصال الأم عن الطفل بسبب الطلاق ، كانت تنظر إلى ولدها على أنه المصدر الذى تستمد منه القوة ، فى حين أنه هو نفسه كان يحتاج إلى من يعينه ويعطف عليه ، ويشعره بالأمن والطمأنينة .

تفسير الحالة :

إن إصابة الحالة بعجز فى الساق منذ طفولته جعله يشعر بالقلق والقصور . ومما زاد من هذا الشعور عجز الطفل عن مجاراة رفاقه فى

www.ibtesamah.com/vb

المدرسة واللعب معهم ومجاراتهم ومنافستهم . هذا وممارسة الطفل للجنسية المثلية مع رفيق له يكبره سنا ، جعله يشعر أنه ليس كبقية الصبية ، كما جعلته يشعر بالإثم . وهذه كلها عوامل زادت من الشعور بالقلق ، وأدت بدورها إلى ألوان مختلفة من الصراعات النفسية .

ولقد أضنى هذا الصراع وذلك القلق المصاب ، وجعله غير قادر على التوافق مع البيئة . ومن ثم كان يحس فى داخليته بميل إلى الانسحاب والتراجع والهروب . ورغبة منه فى التخلف عما يشعر به من قلق وتوتر ، كان يلجأ إلى أنواع مختلفة من وسائل الدفاع اللاشعورية ، والتى كانت فى هذه الحالة على شكل وساوس وتردد وتشكك ، ظهر جليا فى علاقته بزوجته ، وفى تصرفاته وأعماله ونظرته إلى المستقبل بصفة عامة . وكأن ضميره يقول :

هل أعمالى وتصرفاتى صواب أم لا ؟

وهل هى أعمال ناجحة أم لا ؟

وهل تأديتى لها على الوجه الأكمل أم ما زالت فى حاجة إلى اتقان ؟

إن هذه السلسلة من الأعمال التكرارية القسرية التى كان يقوم بها المريض ، كما اتضح ذلك من شكواه ، كان يبغى بها التخلص من التوتر والقلق النفسى الموجود عنده ؛ وهو إذ يحاول تخفيف هذا التوتر عن طريق السلوك التكرارى ، لا يشعر بنتيجة عملية ، لذا فهو فى حالة عدم استقرار ، وشعور بعدم التكامل باستمرار ، كان سببا فى ازدياد حالته سوءا .

النيوراستنيا :

النيوراستنيا Neurasthenia مرض آخر من الأمراض النفسية يشبه من بعض الوجوه حالات القلق النفسى ، غير أننا نرى فى أعراضها من الخصائص مايميزها عن حالات القلق ويجعلها مرضاً قائماً بذاته .

www.ibtesamah.com/vb

وأهم أعراض هذا المرض ، الشعور الدائم بإجهاد زائد ، فنرى المريض دائم الشكوى من التعب دون سبب محدد . ولا يلزم أن ينجم هذا الشعور بالتعب عن القيام بعمل ما ، فكثيراً ما يبدأ منذ مغادرة المريض الفراش حتى يأوى إليه فى المساء ، بل ولا يستطيع أن ينام نوما هنيئاً بعد ذلك مما يضاعف شعوره بالتعب الجسدى ، حتى ليظن أن العلة فى جسده لا فى نفسه . وكذلك يشعر المريض بالضيق والتبرم ويعرض عن الاشتراك فى أى عمل ، ويناله الملل بسهولة حتى من أيسر الأعمال ، ولا يستطيع مواصلة التفكير فى موضوع معين .

وقد كان الأطباء قديما يرجعون هذا التعب ، أو ذلك الشعور بالإجهاد إلى ضعف فى الخلايا العصبية ، غير أن هذا التفسير لا يتفق مع الكشوف الحديثة سواء فى الطب أو فى علم النفس . ان التعب الذى يلازم المريض بالنيوراستنيا رغم ما يدل عليه اللفظ ، لا ينجم عن مرض يصيب عضوا من أعضاء الجسد أو ضعف ينال عصباً من أعصاب البدن كالتعب العادى الذى نألفه لدى الأصحاء ، والدليل على ذلك أن المريض المجهد نتيجة لهذا المرض ، ليشعر بالإجهاد نتيجة لأيسر الأعمال التى لا تدوم أكثر من دقائق ، حتى ليتعذر عليه مواصلة العمل ، وفضلا عن ذلك فإنا لو وفرنا له راحة جسدية طويلة ، ما أغنى ذلك شيئاً . وعلى العكس من ذلك لو توفرت فرص الاستمتاع أمام مريض ، لقام بها دون أن يشعر بالتعب ، مثال ذلك: أن سيدة مصابة بهذا المرض تضيق بالمنزل وتمتنع عن القيام بأى عمل تافه لشعورها بإجهاد ، بينما هى إن دعيت إلى حفلة ساهرة راقصة تتطلب منها جهداً فائقاً ، لا تشعر بأى تعب ، وتستطيع أن تجارى الآخرين حتى نهاية الحفل .

إن الكشف الطبى على أعصاب هؤلاء المرضى لا يشير إلى أى عيب عضوى فى أعصابهم ، وذلك أكبر دليل على أن هذا المرض ليس مرضاً

www.ibtesamah.com/vb

عضوياً ، إنما هو مرض نفسى صرف . فهو حالة من حالات التوتر الانفعالى نجمت عن كبت مجموعة من الذكريات الأليمة وهذه المجموعة تكونت فى نفسه على شكل عقد ، نظراً لما تعرض له المريض من تجارب وحوادث فى حياته الماضية . وكما نعلم ، أن العقد التى تكبت تظل متطلعة إلى التعبير عن نفسها فى حياة المريض ، وتستثيرها أقل الأحداث الطارئة ، فتظهر هذه النزعات المكبوتة وهذا الصراع النفسى فى صورة التعب والضيق والإجهاد ، التى يظنها المريض راجعة إلى أسباب بدنية ، وما هى كذلك لو تعمق فى دخيلة نفسه .

ويؤكد هذا الظن لدى المريض ، ما يشعر به أحيانا من آلام فعلية فى بعض أعضاء الجسد ، ومن ذلك اضطرابات تصيب المعدة أو أوجاع تتملك الظهر أو صداع يكاد يكون دائما ، وتصلب فى أعصاب العنق . وقد يصحب ذلك فقدان للشهية وصعوبة فى البلع واضطراب فى النوم . وغير خاف أن هذه الأعراض الجسدية جميعها ناتجة عن الارتباط الوثيق بين الانفعالات وبين الجهاز العصبي السمباثاوى والباراسمباثاوى ، الذى يتحكم فى وظائف الأعضاء الحشوية . وهذه الآلام ، جسدية كانت أو نفسية تولد حالة دائمة من القلق والضيق قد تصل بالمريض أحياناً إلى التهيج الذى لا يتفق مع خلقه ، أو إلى البلادة التى لا ترضى ضميره أو طموحه ، وبذلك يتعقد الأمر وينشأ صراع جديد .

ونجد المريض غير راض عن حالته ، وذلك ما يفرقه عن المصاب بالهستيريا فهو يتحدث دائماً عن متاعبه ولا يكاد يلقى قريباً أو بعيداً ، حتى يمطره بسيل من الشكاوى عما يلاقى من آلام أو ينتابه من أمراض ، ويطيل الحديث فى ذلك محاولا تصريف بعض الضيق ، ويسارع إلى عيادات الأطباء ملتمساً علاجا لما يعانيه . ويجد الطبيب نفسه فى حرج ، فمريضه يشكو فعلا من أوجاع بدنية فيقدم له العلاج البدنى المعهود ،

www.ibtesamah.com/vb

الذى لا يفعل شيئاً أكثر من أن يحيط المريض بجو المرض ويزيده يقيناً بأن حالته جسدية .

ولما كان المصابون بهذا المرض يشعرون بتأنيب الضمير لعدم قدرتهم على مواصلة أعمالهم وواجباتهم ، فإنهم يرحبون لا شعورياً بما يخلق لهم عذراً . ولا شك أن الأمراض الجسدية خير وسيلة لتحقيق هذا الهدف ، وهو التخلص مؤقتاً من الصراع النفسى الناتج من عدم قيامهم بمسئولياتهم ، فيكون المرض الجسدى الموهوم فى هذه الحالة ، ملاذاً يتشبث به المريض ويزيد فى خفاء العوامل النفسية الكامنة . ويؤيدنا فى ذلك الطب النفسى الجسمى Psycho-Somatic Medicine الذى يؤكد مستنداً إلى التحليل وجود الرغبة اللاشعورية فى المرض لدى دائمى الشكوى من الأمراض العضوية .

ونحن ننصح من يشعر بهذه الأعراض أن يؤمن أولا أن علاجه بيده هو ، قبل أن يكون بيد الطبيب أو المحلل النفسى ، فما عليه إلا أن يواجه المشكلة بصراحة ، ويفهمها على حقيقتها ، ويتجنب الموقف السلبى ، موقف الهرب من ذاته والبحث عن علاج خارجى . ولا مناص إذا أراد الشفاء من أن يعطى نفسه مثلا ، اجازة من عمله الممل ولا نعنى بالاجازة البعد عن عمله فقط ، فترة من الزمن ، بل تغيير البيئة كلها . وأن يحيط نفسه بجو من المرح ، ويغير من صحبته المعروفة ، ويزاول بانتظام رياضة بدنية محببة لنفسه ، ثم يبدأ بعد ذلك عمله دون تفكير فيما انقضى ، أو ندم على ما ادخره .

مثال لحالة من حالات النيوراستنيا :

فلاح فى الخامسة والثلاثين من عمره أصيبت والدته بالجنون فى الخمسة عشر عاما الأخيرة ، وله شقيقة مصابة بجنون الهوس والإكتئاب .

www.ibtesamah.com/vb

كان المريض سريع الغضب عند طفولته ، يخاف الظلام والطيور، تخرج من المدرسة الإعدادية فى السادسة عشرة من عمره فقط بسبب خجله وضميره الحى وفى سن الثالثة والعشرين تخرج من الكلية وعمل بمزرعة أبيه وبدأت تظهر عليه فى سن الثانية والعشرين أعراض جنون الهوس والاكتئاب وكان المريض هادئا خجولا ، يحب قراءة الكتب ، ليس ميالا للعدوان ولكنه طموح مسرف فى أحلام اليقظة ، وبدأ المريض — قبل دخوله المستشفى بعامين — يفقد اهتمامه بالعمل وكان قليل النوم وبغير انتظام كما لم يكن منتظما فى تناول طعامه الذى لم يكن أيضا بقدر كاف وتنحصر شكواه الرئيسية فى عدم القدرة على العمل فبدا العمل لديه عسيرا لأنه لم يكن يحقق له دخلا كافيا فى السنوات الأخيرة كما كان غير موفق فى غرامياته ، لم يكن المريض نشيطا فى المقابلة الأولى وظل ملازما الفراش رغم أنه نام مدة طويلة .

ترجع حالة هذا المريض إلى الكبت ولو أن شكواه الرئيسية هى عدم قدرته على العمل وعدم الاهتمام ولم يكن متخلفا فى الكلام ولا فى المشى وكان شاغله الشاغل هو المسائل الجنسية ورغبته فى أن يبدو وسيما مؤدبا وليس هناك دليل على نقص فى الناحية العاطفية أو فى ذكائه ، نشأ فقيرا ، وكان وزنه أقل من الوزن الطبيعى وكثيرا ما أصابته الأمراض بسبب نحافته وقد ناقش ما يعانيه بعزم ثابت ورغبة أكيدة فى العلاج وكان راضيا بتفسير الطبيب النفسى لحالته ولوحظ تحسن تدريجى فى شهيته وقلت أحلامه وعندما غادر المستشفى كان أكثر ثقة بنفسه وأكثر ابتهاجا .

الهستيريا :

إن الهستيريا مرض من الأمراض ذات التاريخ القديم ، فقد عرفه اليونانيون القدماء وظنوا أنه موقوف على النساء فقط .

www.ibtesamah.com/vb

إن تاريخ البحث فى هذا المرض مر فى تطورات عدة : فهناك من العلماء من كان يرجع مرض الهستيريا إلى أمراض عضوية فى الجسم ؟ وهناك نظرية أخرى (نظرية بابنسكى) التى تقول إن مرض الهستيريا يتسبب نتيجة الإيحاء . أما (جانيت) فيعتقد أن مرض الهستيريا يرجع إلى اختلال عقلى ، فتبدأ أعراضه بإنهاك فى القوى الجسمية بسبب الصدمات العاطفية . على حين أن (فرويد) ينادى بأن الهستيريا تنشأ نتيجة الصراع بين الذات وبعض الرغبات الغريزية (الجنسية)[١] التى ترجع إلى أيام الطفولة المبكرة ، والمكبوتة فى اللاشعور . وفى الواقع أن معظم الأعراض الهستيرية إنما هى فى نهاية الأمر بديل عن هذه الميول المكبوتة . وبعبارة أخرى أن الأعراض الهستيرية على اختلاف أنواعها ، ما هى إلا وسائل دفاعية يستعملها المريض للهرب من موقف يشعر بينه وبين نفسه أنه غير قادر على مواجهته ، بعد ما أصاب شخصيته من انحلال ، نتيجة للصراع العقلى الذى تحدثه تلك الصدمات النفسية المتعاقبة وما يتبع ذلك من كبت وإجهاد .

وهناك بجانب كل هذا من يعتقد أن عامل الوراثة يلعب دورا هاما فى ظهور أعراض المرض .

أعراض مرض الهستيريا :

إن أعراض مرض الهستيريا متنوعة : فهناك أعراض حركية ، وأخرى انفعالية ، وثالثة تتصل بالشخصية .

ومن أهم الأعراض الحركية ما يأتى :

(١) الشـــلل . (٢) التشنجات العصبية .

---

(١) الحاله الـكلاسيكية المشهورة (لفرويد) هى حالة الآنسة (دورا) ولقد دلل بها على صدق نظريته . وأحب أن أشير فى هذا الصدد أنه يحتمل أن يكون رأى (فرويد) صحيحا فى عدد محدود من حالات الهستيريا ، إذ من غير المعقول مثلا أن نجد أية علاقة للمسائل الجنسية فى علة الهستيريا التى تظهر لدى جندى أصيب بالشلل العضوى فى ميدان القتال .

www.ibtesamah.com/vb

(٣) الارتعاش من الخوف . (٤) التقلصات العضلية .

أما الأعراض الانفعالية فتشمل : فقدان الشعور أو على العكس من ذلك الحساسية الانفعالية الشديدة .

وهناك ظاهرة أخرى تلاحظ فى بعض الحالات الهستيرية ، هى الشخصية المزدوجة ، وقد مثلها لنا أصدق تمثيل الروائى الإنجليزى « استفنسن » ، فى قصته المشهورة (دكتور جيكل ومستر هايد) .

وأهم الأعراض السابقة (الشلل) ويتمثل فى اضطراب ظاهر أو تعطيل فى وظيفة بعض أعضاء الجسم ، كالشلل العضوى الهستيرى أو العى فى اللسان ، أو فقدان السمع أو البصر المؤقت . وتظهر هذه الأعراض الجسمانية بشكل فجائى لا تسبقه شكوى المريض من أى علة تتصل بعضو الجسم المصاب . ومن أمثلة ذلك ، الجندى الذى يصاب بالشلل فى أصابعه عندما تصدر له الأوامر بإطلاق النار فى ميدان القتال ، وشل الجندى مثل شخص يصاب بالعى إذا ما كلف بإلقاء كلمة فى مجمع حافل بالناس .

ولقد أثبتت الأبحاث الإكلينيكية أن أعضاء الجسم فى الأمثلة السابقة سليمة ، وأن الاضطراب أو التعطيل ، إنما يرجع إلى علة نفسية وظيفية أكثر منها عضوية ، هذا ، وكثيرا ما يتخذ المريض من هذا القصور وسيلة دفاعية تساعده فى التغلب على موقف لا يرغب فيه ، أو الخلاص من مأزق حرج دفعته الظروف إليه .

وهناك أعراض ثانوية لمرض الهستيريا :

(١) فقدان الشهية (Anorexia) : ويظهر هذا العرض فى النساء أكثر من الرجال ، ويظهر فى بدايته على شكل امتناع عن الطعام ، وقد يكون لهذا العرض أساس عاطفى — وتكون فكرة رفضه الطعام اختيارية فى بادئ الأمر ، ثم سرعان ما تظهر فكرة فقدان الشهية ، ولا يظهر

www.ibtesamah.com/vb

للمريض أية رغبة فى تناول الطعام — وقد وضح جانيت أن هذا الفقدان يرجع إلى خلل فى وظيفة المعدة .

(٢) فقدان القدرة على تذكر الخبرات الماضية (Amnesia) والمشى أثناء النوم (Somnambulisms) ، وفقدان الذاكرة عن طريق التجول بعيدا عن المنزل (Fugues) ، وحالات الأحلام ، وتقلص الأطراف (Fits) . هذه كلها ينظر إليها على أنها تعمل مستقلة بعيدة عن العقل الواعى .

وقد أصبحت الحالات الخاصة بفقدان الذاكرة الخاص بالخبرات الماضية والبعد عن المنازل شائعة بين الناس عن طريق الجرائد التى أخذت تنشر وتتحدث عن هؤلاء المفقودين البعيدين عن منازلهم ، ولا يعرفون شيئا عن شخصياتهم ، ولا عن المكان الذين جاءوا منه ، وهؤلاء الذين فقدوا الذاكرة ظلوا على تلك الحال لمدة أسابيع أو شهور ، ولا بد أن مثل هؤلاء المرضى لديهم اضطراب ، وعدم ثبات فى أعصابهم وفترات من التعب الشديد من البيئة التى تحيط بهم ، وهم بدون شك يكرهون هذه البيئة التى أصبحت فى نظرهم مكروهة جدا ، وهذا هو الدافع الذى دفعهم للهرب بعيدا عن منازلهم من تلك البيئة غير الملائمة ، ويشعر المريض أنه جبان لهربه ، ويستمر الصراع بين الرغبة فى الهرب بعيدا عن بيئته المكروهة وبين المثل التى يتمناها ، ويصبح الصراع على أشده حتى تنفصم هذه الناحية من شخصيته .

وفى حالة فقدان الذاكرة والتجول بعيدا عن منزله ، بأن المريض لا يتذكر شيئا عن ماضيه (Fugue) . ومن الأمثلة التى تدل بوضوح على ذلك :

ان رجلا عمره ثلاثون عاما ترك منزله ليحضر اجتماعا خاصا بعمله ، ولكنه فشل فى الوصول إلى المكان المعين ، وبعد ثلاثة أيام وجد نفسه فى مدينة على بعد ٢٠٠ ميل من منزله الأصلى ، وقد اندهش تماما فى كيفية

www.ibtesamah.com/vb

وصوله إلى هناك ، ولم يستطع أن يعيد ذاكرته عما حدث له من وقت توديعه لزوجته واستعداده للذهاب إلى مكان الاجتماع ، وقد فشلت كل المحاولات للتغلب على فقدان الذاكرة ، ثم طرأت عليه حالة غيبوبة (Hypnosis) . وفى هذه الحالة استطاع أن يتذكر كل التفاصيل عن الحادثة ، وأن يكون صورة كاملة لها ، فقد كان لديه عمل هام مع سيدة أخرى غير زوجته ، وأنه كان يشعر دائما بالخوف من زوجها ، ومن معرفته لهذه العلاقة . وقبل اختفائه بيومين وقبل أن يترك منزله ليحضر الاجتماع ، دق جرس تليفونه ، وعندما وضع السماعة على أذنيه لم يرد عليه أحد ، وفى طريقه فى المدينة لاحظ فجأة أن العربة التى خلفه كان يقودها زوج تلك السيدة ، فاضطرب وذعر جدا فقاد عربته فى غاية السرعة ، ثم قاد عربته بدون وعى ، ثم قفز من عربته وجرى فى شوارع المدينة . ومن الواضح أنه كان يجرى مدفوعا بدافع الخوف والرغبة فى الهرب من ذلك المأزق الخطر .

وكذلك حالات المشى أثناء النوم تشبه حالات فقدان الذاكرة والتجول بعيدا عن المنزل ، وضحية هذا المرض تتسلط عليه مجموعة أفكار ما هى إلا ذكريات من النوع العاطفى العالى .

الخلاصة :

الشخصية الهستيرية على حسب ماقدمنا ، هى شخصية عليلة لاتقوى على حل المشكلات التى تعرض لها ، ولذلك تتخذ من أعراض الأمراض العصبية النفسية وسيلة للدفاع عن قصورها . فلا عجب إذن إن قلنا إن المريض يشبه الطفل فى سلوكه واستعداده الجسمى والعقلى .

السلوك السيكوباتى :

الشخصية السيكوباتية Psychopathic شخصية مريضة ، شأنها فى ذلك شأن الشخصية الهستيرية . والفرق بين الشخصيتين هو فرق فى نوع

www.ibtesamah.com/vb

الانحراف السلوكى ، ومدى ما يحدثه هذا الانحراف من أضرار تتصل بأفراد المجتمع . ذلك أن السلوك السيكوباتى يدفع صاحبه عادة إلى إلحاق الأذى بالغير ، بينما السلوك الهستيرى لا تتعدى أضراره صاحبه .

وتمتاز الشخصية السيكوباتية بصفات تميزها عن غيرها من الأمراض النفسية العصبية Psychoneuroses ، ومن مجموع تلك الصفات تتكون مشكلة السلوك السيكوباتى ، التى تختلف فى درجة وضوحها على حسب قدرة الشخص فى التحكم فيما لديه من نزعات وأهواء : وما دامت هذه العناصر المختلفة تعمل فى غير انسجام ، فقد يحدث عن ذلك نوع من الصراع العقلى ، يترتب عليه انفصال بعض النزعات غير المنسجمة من الشعور إلى اللاشعور حيث تبقى فى مرقدها الجديد ، حية مزدهرة ، تحاول التأثير فى سلوك الفرد بصور مباشرة واضحة ، توجه عادة ضد المجتمع الذى يعيش فيه . على عكس ما يحدث فى الحالات الهستيرية التى تعبر عن انحرافها عادة فى صور مستترة رمزية .

ويرجع سبب هذا المرض النفسى إلى نوع من الاستعداد الموروث ، يتصل عادة بتفوق ظاهر فى النواحى العقلية يدفعه إلى المغامرة والإقدام وحب الظهور ، يقابله نوع من المقاومة تفرض على الفرد أيام طفولته المبكرة والمتأخرة . وكثيراً ما تقترن هذه المعاملة باستعمال القسوة ، فينشأ الطفل ناقما على المجتمع ، ثائرا عليه ، وعندما تكتمل رجولته سرعان مايعبر بشكل لاشعورى ، وبطرق شتى من الانحراف ، عما يخالج نفسه من نزعات مكبوتة[1] . فكثيرا ما نجده يندفع بقوة لإشباع تلك النزعات

---

(١) تختلف وجهة نظرنا فى علاج السيكوباتية عن وجهة نظر الدكتور صبرى جرجس كما وردت فى كتابه « السلوك السيكوباتى » وخلاصة هذا يمكن تلخيصها فيما يلى :

« فى المشكلات السلوكية ينبغى التمييز بين الحالات التى يكون السلوك السيكوباتى فيها عارضاً أو مظهراً لاضطراب آخر (كالعصاب أو الذهان أو النقص العقلى) ، وحالات السيكوباتية الأصيلة. =

www.ibtesamah.com/vb

والأهواء ، دون أى اعتبار للقيم والمعايير الأخلاقية ، أو لما يفرضه المجتمع من أنظمة وتقاليد ، وقد يصل أحيانا هذا الانحراف إلى التحايل (والنصب) وعدم احترام القانون لدرجة ارتكاب الجريمة .

ومن الحالات المعروفة فى هذا الصدد ، قصة ذلك المحتال الجرىء الذى تقمص شخصية اللورد (بيفر بروك) الصحفى الإنجليزى المشهور . وقد اتخذ (نيويورك) مسرحا لانحرافه السلوكى ، حيث استعان بذكائه الخارق فى أن يقلد شخصية اللورد ، فاندس بين رجال المال وتمكن من أن يؤثر فيهم بطرق شتى واستطاع بذلك أن يبرم الصفقات التجارية التى أغدقت عليه مالا وفيرا . وقد كانت آخر ضحايا هذا المحتال السيكوباتى ، سيدة أمريكية على جانب كبير من الجاه والثراء ، وقعت فى شراكه فسلبها أموالها ثم فر هاربا .

= هذه الحالات يتميز أصحابها بسمات خاصة تشير اليهم وتدل عليهم بين مختلف صنوف السلوك المشكل .

يتميز « القالب » السيكوباتى الأصيل بنشاط عشوائى اندفاعى لااجتماعى أو مضاد المجتمع ، مستمر ، ومتكرر لكسب وهمى غير محسوس . وهو فريد فى قصوره وعوجه والتواء أحكامه وعدم استبصاره وزيغ أهدافه وفجاجته ووعثه وخواء وجدانيته ، فريد فى تقلبه وسخفه وحماقاته وقسوته وفلة جدواه . لا ينضج أصحابه من التجربة ، ولا يرتدعون من العقاب ، ولا يثبتون على هدف ، ولا يصلون إلى قدر ما من التكيف مع المجتمع ، ولا يعرفون الندم ، ولا يحسون العار ، ولا يختبرون شعور الخطيئة ، ولا يجعلون لتعاملهم مع الحياة إلا شعاراً واحداً هو « أن يأخذوا كل ما يستطيعون ، من أى إنسان يستطيعون ، وبأية وسيلة يستطيعون » .

هذا الاضطراب الذى يفتك بالشخصية ويهدم من تكاملها إلى هذا المدى البعيد ، هو اضطراب ذهانى عجز صاحبه عن تمثيل الزمن كخبرة حية . فالسيكوباتى لايعرف من الزمن إلا الحاضر ، إنه لا يستطيع استعادة الماضى أو الاسقاط على المستقبل . والحاضر عنده هو اللحظة التى يعيش فيها وحسب ، مقطوع الصلة بما كان ، معدوم الارتباط بما سوف يكون . إنه اللحظة الراهنة لا يعرف سواها ولا يختبر غيرها . وإنها بعد لخبرة سطحية ، وقتية ، فجة ، لا تمتد معه إلى حين ، ولا تنفذ فيه إلى غور ، ولا تدنيه اتصالا بعالم الحقيقة الموضوعية . »

عن مقال الدكتور صبرى عنوانه :

« مشكلة السيكوباتية » — مجلة علم النفس .

www.ibtesamah.com/vb

ولنأخذ حالة أخرى ذكرها Lightensein فى كتابه « علم النفس الطبى ». هى قصة ذلك الطبيب الذى حقن حماه المثرى بميكروب التيفويد، للتخلص منه ليفسح طريق الحياة الرغيدة لنفسه ولزوجه الشابة. المدهش فى المسألة أن ذلك الطبيب كان يروى قصته للمحققين ، دون مبالاة أو تألم ، بل على العكس من ذلك كان يفخر بما جنته يداه .

وما قصة ذلك السفاح الفرنسى الذى كان يخدع السذج من النساء بألفاظ الحب والهيام ، حتى يستسلمن له ، ثم بعد ذلك يسخر منهن لاهيا. أو قصة « سكينة وريا » التى وقعت حوادثها المروعة بالاسكندرية ، حيث كانتا تغرران بالنساء وتدفعهن إلى الرذيلة ، ومن تأبى منهن انقضتاعليها بمعاونة شرذمة من الأشرار الأقوياء ، ومزقوها إربا ثم دفنوها فى مخبأ بالمنزل .

تلك أمثلة قليلة أدى السلوك السيكوباتى فيها إلى ارتكاب الجريمة على نواح من هذه الصورة المتباينة . غير أن تلك المظاهر العنيفة لهذا النوع من السلوك الشاذ ، لا توجد إلا فى القلة من الحالات . أما غالبية المرضى فتعبر عن شذوذها بطرق أخرى ، أقل ضرراً ، وأخف أثراً ، حيث نجد من بينهم الكاذب الماهر ذا الخيال الخصب ، والخائن المراوغ ، والأرعن المتهور ، والشره الأنانى ؛ ومنهم كذلك من لا يقبل أى نقد أو نصح أو إرشاد ، ومنهم المتحدث اللبق الذى يستغل هذا القدرة فى التأثير على الغير ، ومنهم الشخص المغامر الذى لا تطيب له الحياة فى مكان واحد . وقد توجد فى بعض الحالات هذه الصفات مجتمعة ، بدرجة تبعث القلق .

وكما أوضحنا ، لا يشكو هؤلاء المرضى جنونا أو عدم اتزان فى قدرتهم العقلية ، بل هناك شذوذ أو انحراف فى سلوكهم زاد وبرز . وكثيرا ما يكون هذا الشذوذ أو الانحراف ، مصدرا من مصادر الاضطراب

www.ibtesamah.com/vb

والقلق وارتكاب الجرائم . وليس للسلطات رقابة على هؤلاء طالما كانت أعمالهم تسير وفق الأنظمة الموضوعة التى يقرها القانون وقد لا يقرها العرف . ولكن ليس معنى هذا إهمال هذه الفئة المريضة ، حتى يستفحل خطرها ، ذلك أن المرض السيكوباتى يبدأ عادة عند المريض بسيطا ثم يستفحل مع الزمن .

إذا كان هذا هو الواقع فلم لا يفكر المسئولون بقسم الصحة العقلية بوزارة الصحة ، فى إنشاء وحدة علاجية تلحق بمستشفى الأمراض العقلية ، تستقبل هؤلاء المرضى قبل أن يستفحل بهم المرض مع الزمن ؟ وأقترح أن يكون العلاج فى هذه الوحدة بطريقة « التعليم المجدد » وهى طريقة من طرق العلاج التحليلى النفسى ، ويكون أساسه التوجيه والإرشاد ومساعدة المرضى على التحكم فى سلوكهم وعواطفهم ، الأمر الذى يهيئ لهم حياة هادئة فى البيئة التى يعيشون فيها ويتعاملون معها .

هذا من الناحية الوقائية العلاجية ويمكن كذلك الاستعانة بالإخصائيين فى علم النفس المرضى بالإرشاد فى السجون . وقد يكون لمثل هذا الإرشاد بعض الأثر على نفسية المسجونين ، وخاصة تلك الفئة التى كان الباعث لديها فى ارتكاب الجريمة من النوع الذى تعرضنا إليه فى هذا البحث . إن مثل هذا التوجيه النفسى من شأنه العمل على تهذيب تلك البواعث ، فيخرج السجين المريض النفس وهو فى حالة عقلية ونفسية متزنة ، فلا تعوزهم بعد ذلك معونة المجتمع لانتشالهم من عار الجريمة .

السكيزوفرينيا :

حرصت — من جانبى — على إبقاء هذه الكلمة دون ترجمة ، لأنى لم أجد فى اللغة العربية مرادفاً لها يؤدى معناها ، ويفصح عن مدلولها ، وإن كانت هناك محاولات لتعريبها قصرت عن المطابقة التامة إلى حد كبير . ولا ضير على لغتنا إذ نزلت هذه « الكلمة الأجنبية » عن مكان متواضع فى هذا البحث .

www.ibtesamah.com/vb

« السكيزوفرينيا » Schizophrenia مرض من الأمراض النفسية تظهر أعراضه عادة فى السن ما بين الرابعة عشرة والثلاثين ، كما يلاحظ أنه فى الرجال أكثر ظهوراً منه فى النساء ، وأن سكان المدن أكثر تعرضاً له من سكان الريف ، ذلك لأن الحياة فى المدن أشد تعقيداً منها فى الريف ، كما أن مطالبها وقدرة الفرد على التفاعل مع بيئته التى يعيش فيها ، أسهل منالا فى الريف منها فى الحضر .

والسلوك « السكيزوفرينى » يشمل الحالات التى تتميز بأعراض أهمها غرابة الأطوار ، والاستنتاج غير المطابق للعقل ، وهذيان العظمة والاضطهاد ، وتشتت التفكير والانتباه ، والوهم ، واضطراب الشعور .

وتتمثل غرابة الأطوار فى السلوك « السكيزوفرينى » فى أن المريض يظهر خاملا أحيانا عديم الرغبة فى الاشتراك فى أى نشاط حتى ليصل به ذلك فى بعض الحالات إلى درجة من البلادة والجمود ، كما أنه يميل إلى الهرب من المجتمع ، وينطوى على نفسه فى عالم من الخيال والأوهام ، تظهر عليه علامات الكآبة والحزن ، كما يكون سهل الانقياد إلى غيره . ثم تراه فجأة — يتحول من شخص هذه صفاته إلى شخص شديد الحساسية يبكى تارة ، ويضحك أخرى ، لغير ما سبب ظاهر .

أما هذيان الاضطهاد — مظهر آخر من مظاهر هذا السلوك الشاذ ، فيتمثل فى أن المريض يتشكك كثيراً فى الأمور المتعلقة به ، حيث يعتقد دائما أن ما يقوم به من أعمال ، مدعاة للتأويل من الغير ، وقد يذهب به الشك أحيانا — إذا دخل على جماعة من الناس — إلى الإعتقاد بأنهم يتحدثون عنه ؛ بل قد يذهب به الشك إلى أبعد من هذا ، فمثلا — إذا شاهد « شريطا سينمائياً » تدور حوادثه حول قصة معينة خيل إليه أن الموضوع متصل به وأن القصة ما كتبت إلا من أجله . وإذا ما قرأ فى الصحف أن

www.ibtesamah.com/vb

البوليس يتعقب مجرما هارباً ، اعتقد أنه هو المقصود ، دون أن يكون قد ارتكب شيئاً يدعو إلى ذلك .

ويتصل بهذه الناحية ، ناحية أخرى شبيهة بها ، وهى هذيان العظمة ، فقد يحدث أحيانا أن يعتقد المريض أنه من أصحاب الثروات الطائلة ، أو أنه عريق فى الحسب والنسب ، كما يعتقد أن الأنبياء والرسل والأولياء والقديسين يتحدثون إليه فى خلوته ، وأن لديه القدرة على الاتصال بهم فى منامه . بل قد تبلغ به الحال إلى درجة أن يعتقد أن فى إمكانه رؤية الإله ومناجاته .

ومن هذه الظواهر نرى أن « السلوك السكيزوفرينى » لا يتفق مع ما هو معروف عند علماء النفس « بانقسام الشخصية » رغم أنه يفهم من مدلول الكلمة ، وهى ذات أصل يونانى ، ما يفيد هذا الانقسام ، الأمر الذى دفع بعض المشتغلين بتعريب المصطلحات العلمية إلى استعمال كلمة « فصام [1] » للدلالة على هذا المرض . ولا ريب أن هذه الكلمة ، لا تطابق مقتضى الحال ولا تؤدى المعنى المقصود .

وقد اختلف الباحثون فى تفسير هذا المرض ، فمنهم من يرجعه إلى أسباب عضوية ، ومنهم من يخضعه إلى عوامل نفسية . ويبنى أصحاب المذهب الأول نظريتهم على أساس اضطرابات فى عمل الغدد الجنسية ، مستدلين بظهور الشعر فى وجوه المرضى من النساء واختفائه فى المرضى من الرجال ، حيث تكون وجوههم ملساء لا شعر فيها . ويتصل بالناحية العضوية أسباب أخرى كالهزال نتيجة المرض المزمن ، أو قلة التغذية ، حيث لاحظوا أن هناك ترابطا بين أمراض الصدر مثلا — وبين هذا المرض .

---

(١) صاحب هذا الاصطلاح العربى هو الدكتور يوسف مراد ، أستاذ علم النفس بجامعة فؤاد .

www.ibtesamah.com/vb

أما الدكتور « أدولف ماير » فإنه يرجع هذا المرض إلى عوامل نفسية ، حيث يعتقد أنه ينشأ نتيجة تكليف أشخاص ذوى تكوين خاص فى الناحية الجسمية أو الناحية المزاجية ، بأعمال ليس فى طاقتهم أو استعدادهم القدرة على القيام بها ، إذ ينتج عن ذلك فشلهم ، ويترتب على هذا هروبهم من عالم الواقع إلى عالم الخيال حيث يكونون لأنفسهم طرقاً خاصة فى التفكير والتصور الوهمى الكاذب .

ويمكن علاج هذا المرض بطرق تتصل أولا ببعث الثقة فى نفس المريض ، وتهيئة جو من الطمأنينة والمرح والتفاهم والشعور بالنجاح والتقدير والاستقرار له ، ويكون ذلك بإيجاد رابط بين الطبيب والمريض ، تقوم على أسس من الصداقة . ومن الخطأ أن يبدأ العلاج بمواجهة المريض بما لديه من شذوذ فى سلوكه ، لأن ذلك يدعو حتما إلى كراهة المريض للطبيب مما يضعف أثر ما يقوم به من إيحاء .

وهناك ناحية أخرى تجب العناية بها ، وهى : أن نحاول تكليف المرضى بأعمال يسهل عليهم أن يقوموا بها ، لأن ذلك يبعث الأمل فى نفوسهم ويشجعهم على الاتصال بالمجتمع ، بعد أن كانوا يميلون إلى الانزواء والهروب ، كما يكون وسيلة لإبعاد المرضى عن عالم الأوهام الذى يعيشون فيه .

وإلى جانب هذا فالمريض فى حاجة إلى عناية من نوع آخر . . . عناية طبية تتصل بتقوية بدنه ، وتنظيم وظائف الأعضاء لديه . كما أن العلاج بطريق الصدمات الكهربائية Electric Shocks من العوامل التى تساعد على الشفاء فى بعض الحالات .

الجنون الدورى :

الجنون الدورى أو ما اصطلح على تسميته Manic-depressive psy مرض من الأمراض العقلية ، ذو مظهرين ، إثارة وتهيج أو

www.ibtesamah.com/vb

كآبة وانقباض . وقد يحدث أحيانا أن يكون المظهران متعاقبين ، وفى بعض الأحايين يلاحظ أن أحدهما يكون أكثر بروزاً من الآخر . يبدأ الشخص المصاب بهذا المرض بتطرف ظاهر فى جميع تصرفاته وسلوكه ، حيث نجده فى حالة من النشاط الجسمى والعقلى الزائد ، تبدو فى ممارسته الأعمال العنيفة دون طعام أو شراب أو نوم أو راحة ، كما تبدو فى ميله إلى الغناء والحديث بصوت مرتفع لعدة ساعات حتى يحتبس الصوت . وقد يلاحظ عليه شدة الرغبة فى القيام بالأعمال الصبيانية التى تتسم بطابع الاستهتار والتى لا أثر للعقل أو الإرادة فيها فيسرف فى البذخ وإنفاق الأموال والاستدانة والشراب . وقد تصل حالة التهيج بمظاهرها السابقة فى بعض المرضى إلى درجة من العنف والشدة حيث يلحقون الضرر بالغير أو بأنفسهم ، الأمر الذى يستدعى عزلهم عن المجتمع فى مستشفيات خاصة.

أما المظهر الآخر لهذا المرض ، فهو على طرف نقيض من سابقه ، من حيث العوارض ، إذ نجد المريض لا يميل إلى الحركة حتى أنه يقضى الساعات الطوال فى مكان واحد ، كئيبا حزينا ساهما مشتت الفكر موزع الخواطر ، يندب حظه وسوء طالعه ، شاعرا بضآلة مركزه وتفاهة شأنه فى المجتمع ، ينظر إلى الحياة بمنظار أسود ، ناقما متبرما ، قليل الثقة بأصدقائه ومريديه ، متهما نفسه بارتكاب الجرائم والخطايا التى يتوقع الجزاء عليها من آن إلى آخر . وقد يغالى أحيانا فى التدين أو يغرق همومه فى الكأس أحيانا أخرى هربا مما هو فيه من ضيق . وهناك قلة من المرضى يصل بها هذا الضيق والتبرم بالحياة إلى التفكير فى التخلص منها عن طريق الانتحار .

تلك هى أهم عوارض هذا المرض ، كما تبدو فى مظهريه. أما أسبابه، فترجع أولا إلى الاستعداد العصبى الموروث لدى المريض ، ومثل هذا الاستعداد يجعل المريض شديد الحساسية لما يدور فى بيئته وما يعتريها

www.ibtesamah.com/vb

من اضطراب وعدم استقرار مما يفقده الشعور بالأمن ، فينشأ غير قادر على مشاكله الوجدانية المتصلة بحياته الخاصة ونمو شخصيته . ومن ثم ينشأ النضال بين النفس والحقيقة فيلجأ إلى ظاهر الكبت كوسيلة غير طبيعية لتفادى هذا النضال .

ويتنوع علاج هذا المرض باختلاف الأحوال والأشخاص ، ففى الحالات البسيطة يستحسن أن يكون العلاج بالمنزل ، أو فى إحدى المصحات تحت إشراف طبيب نفسانى ، وأهم ما يحتاجه المريض فى هذه الحالة ، ألا يترك فريسة لأوهامه بل تجب إحاطته بجو ملىء بالبهجة والمسرة ، كما يجب توفير العناية بطعامه ورفع المستوى الصحى له .

وأما فى حالات المرض التى تصاحبها نوبات تهيجية قد تضر بالمريض أو بمن يتصل بهم ، فيجب عزله فى مستشفيات خاصة ، حيث يقدم له العلاج المناسب . ومن أهم أنواع العلاج التى تقدم فى هذه الحالات ، العلاج بالصدمات الكهربائية Elecric-shock therapy ، وكذلك العلاج عن طريق إجراء العملية الجراحية المعروفة باسم Prefrontal leucotomy ثم العلاج المهنى ، أو العلاج عن طريق الموسيقى .

أما عن النوع الأول من العلاج ، فهو وسيلة من الوسائل التى تحدث بالمجموع العصبى هزة شديدة يفقد معها المريض شعوره فترة من الزمن لا يلبث بعدها أن يعود إلى حياته الشعورية المتزنة . وبالرغم من أن الكثير من الأطباء يعتقدون فى نجاح هذا النوع من العلاج ، إلا أننى أرى أنه لا يزال فى دور التجربة حيث لم يستقر الرأى بعد على ثبوت فائدته ، والتأكد من نفعه . وتستعمل الطريقة العلاجية الثانية فى الحالات المزمنة . والأساس الذى تقوم عليه العملية الجراحية التى أشرنا إليها آنفا ، هو فصل الأنسجة التى تربط الفص الجبهى من الدماغ عن المنطقة المعروفة « بالتلموس » ، والتى تعتبر مركزا للإحساسات التأثرية الغليظة ، غير

www.ibtesamah.com/vb

المصحوبة بإدراك دقيق واضح . بيد أننا يجب أن نشير هنا إلى أن النظرية « التلموسية » لا تزال عرضة للنقد فى نظر بعض علماء النفس التجريبيين.

أما الطريقة العلاجية الثالثة ، فهى أكثر ذيوعا من غيرها ويلجأ إليها الكثير من الإخصائيين فى مستشفيات الأمراض العقلية ، وتتكون من العلاج المهنى ، والعلاج عن طريق الموسيقى والتربية البدنية ، وما تلك إلا وسائل تجلب إلى نفس المريض الراحة وتحقق له الطمأنينة والثقة بالنفس ، وتزيل عنه الكآبة واليأس .

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل ٢٠١٨

خاتمـــــة

الدوافع فى التربية

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل ٢٠١٨

الدوافع فى التربية

كلما استطاعت التربية أن تؤثر فى السلوك تأثيراً يحقق مصلحة الفرد ، دون أن يتناقض ذلك مع تقاليد المجتمع الذى يعيش فيه ، كلما كانت أقرب إلى تحقيق رسالتها .

والسلوك — كما نعلم — يقوم فى أساسه على دوافع داخلية نفسية ، ولا يظهر أثر التربية ما دام الدافع الذى يهدف إلى الإشباع متلائما مع البيئة ، وما دام تحقيقه لا يؤدى إلى الاصطدام بالعالم الخارجى بما فيه من نظم وتقاليد وأديان ومثل عليا ، وإنما يظهر أثر التربية حيثما يصطدم الدافع بالبيئة ، ويتطلب إشباعه الخروج على أوضاعها المألوفة ونظمها المعروفة ، وحينئذ تتدخل التربية ، إما بتعديل العالم الخارجى حتى يتوافق مع ذلك الدافع ، وإما بتعديل الدافع حتى يتلاءم مع العالم الخارجى .

فلسنا نتطلب من التربية إذا أن تقمع الدوافع المتنافية مع ظروف البيئة ، ولا نبيح لها كذلك أن تترك العنان لهذه الدوافع ، وتعطيها الحرية المطلقة ، ولكننا نطالبها بأمرين هذا وذاك ، وهو المواءمة بين الدوافع والبيئة واستغلال الدوافع جميعا على نهج سليم .

وعلى هذا المنوال نستطيع أن نكون الشخصية الصالحة ، فالمدرسة مثلا تستطيع أن تستغل الميل إلى التجمع فى بث روح التعاون بين التلاميذ ، وتستطيع أن توجه حب التملك إلى جمع الأشياء المفيدة ، وتستطيع أن تتخذ من دوافع حب الاستطلاع وسيلة لتوجيه التلاميذ إلى البحث العلمى ، بدلا من أن تهمله فينصرف إلى عمل شائن معيب : كالتجسس مثلا ، وتستطيع أن توجه الميل إلى المقاتلة وجهة صالحة ، بتشجيع الألعاب الرياضية التى تقوم المباراة فيها مقام المنازعة ، ولو أهمل ذلك الدافع لأدى إلى نشوء الخلافات والاضطرابات .

www.ibtesamah.com/vb

ومما سبق يتضح لنا أن الدافع لا يتعدل فى ذاته ، ولكن التعديل يكون فى طريقة إشباعه ، فالدافع الموجود فى ميدان الحرب هو نفس الدافع الموجود فى ميدان الألعاب الرياضية ، غير أن الطريقة التى تحقق بها فى كل منهما تختلف عن الطريقة التى تحقق بها فى الآخر .

إن تعديل الدافع كما يتضح من الأمثلة السابقة يطلق عليه (إعلاء) . وهناك تعديل من نوع آخر (إبدال) وفيه تستغل الطاقة التى يستند إليها دافع ما فى نشاط آخر يشغل الفرد عن الدافع الأصلى ، فمثلا إذا كنا بإزاء مراهق لا تمكنه حالته من الزواج لظروفه المدرسية أو الاقتصادية ، فإن الذى نلجأ إليه هو الاستفادة من تلك القوة المصاحبة للدافع الجنسى ، وتوجيهها إلى شتى الأعمال التى من شأنها أن تشغل المراهق عن الدوافع.

ولكننا نلاحظ أن الدوافع وحدها ليست كفيلة بتوجيه التلميذ الوجهة التى نريدها له ، وحمله على تأدية الواجبات التى تتطلبها منه ، ولكن لابد من أن نهيئ لها مجموعة من العوامل المساعدة التى تستحثها ، وتؤثر فى سيرها بما نريد ، سواء أردنا تقويتها أو الحد من نشاطها ، فمثلا نستطيع عن طريق الجوائز والمكافآت أن نلهب عزائم التلاميذ ، وأن ندفعهم إلى العمل فى حماس وقوة ، وعن طريق فرض العقوبات يمكن أن نحد من الفوضى والإهمال ، وغير ذلك مما يسيطر على بعض التلاميذ ، وكذلك بإشعار التلميذ بأنه إيجابى نستطيع أن نعلمه الاعتماد على نفسه ، وبذلك تتفق عبقريته ، ويتكشف نبوغه ، وهذا ماتهدف إليه التربية الحديثة وتتحراه ، بخلاف التربية القديمة التى كانت تدع التلميذ سلبيا يستمع إلى المدرس فينشأ بذلك خمولا معتمدا على غيره .

ولا يستطيع المدرس أن ينجح فى أداء رسالته ، وفى استغلال دوافع التلاميذ وتوجيهها وتعديلها وإثارتها أو الحد منها بمختلف العوامل المؤثرة فيها إلا إذا كان له من المقدرة ما يساعده على دراسة تلاميذه ، ومعرفة

www.ibtesamah.com/vb

الدوافع التى تسيطر عليهم ، وبذل ما يمكنه فى سبيل السير بها والإفادة منها على نحو مقبول ، وبغير ذلك يضرب المدرس فى بيداء مظلمة لا يمكن الاهتداء فيها ، وبذلك يضل فى تأدية واجبه ، وتضيع جهوده سدى مهما بذل من كد وعناء .

ولو أن الدوافع جامدة لا تتغير ولا تتبدل ولا يمكن التأثير عليها ، ولا التصرف فى طرق إشباعها لما أوجبنا على المدرس أن يراقبها فى تلاميذه أو يعمل لها حساباً ، ولكن ما دامت الدوافع على جانب من المرونة والتغيير وقبول التعديل والتأثير ، فإننا نحن المربين يجب أن نستغل كل هذه الميزات فى تحقيق أكبر قدر ممكن من المصلحة الفردية والاجتماعية .

وسنتحدث الآن عن بعض العوامل التى تؤثر فى الدوافع من حيث التقوية والإثارة والتوضيح والإبراز :

الدافع وعامل السرور :

إن الطفل يتعلم سريعاً ، وإن سعادته تتوقف على مقدرته فى اكتساب محبة الأشخاص الآخرين ، فهو يحاول جاهداً أن يبعث السرور فيمن حوله . وهذه الرغبة هى أقوى الدوافع فى حياة الطفل ، بل الإنسان بوجه عام . وهكذا يمكن أن نقول : إن أقوى تأثير لتحريك الطفل ودفعه للعمل هو الرغبة فى إرضاء شخص ما ، يكن له الاحترام والتقدير ، ولا بد من كشف هذا الشخص حتى نعمل معه على دفع الطفل للعمل ؛ ومن هنا يجب على المدرس أن يعمل دواما على كسب حب تلاميذه له وإعجابهم به وثنائهم عليه ، حتى يحرك فيهم الدوافع التى تكون نواة للعدل واكتساب الخبرات المختلفة .

www.ibtesamah.com/vb

الدافع والحاجة إلى التقدير والنجاح :

يميل الطفل إلى تقدير الآخرين له ، ولذلك يجب أن نتقبل بصدر رحب وأفق متسع أعماله وأن نشعره بسرورنا منها . والطفل لا يستطيع أن يؤدى بنجاح أى عمل ما ، إذا تجاوز ذلك حدود طاقته . ومن ثم يجب علينا ألا نكلفه إلا بما يمكنه القيام به حتى لا نعرضه للفشل ، وبذلك نجلب إليه اليأس ، وننتزع منه الميل إلى العمل والشعور بالنجاح .

الدافع والرغبة فى التغلب على العراقيل :

إن وجود الدافع يرمى دائمـا إلى تحقيق هدف معين ،غير أن تحقيق هذا الهدف قد يعترضه بعض العراقيل ، والطفل دائما يبذل مجهوداً كبيراً للتغلب على هذه العراقيل ، فإذا نجح فى اجتيازها شعر بالارتياح ، ولـكنه إذا عجز أمامها فإنه يضاعف جهوده ليتمكن من التغلب عليها .

والنجاح كما نعلم يشيع الثقة فى نفس الطفل . ونحن المربين يجب علينا ألا نتخذ من فشل الطفل فى تحقيق أهدافه ذريعة للتشهير به ، بل يجب علينا أن نساعده ليواجه المشكلة التى أمامه ، ونقدم له من المساعدة ما يمكنه من تحقيق أهدافه .

الثواب والعقاب وعلاقتهما بالدافع :

إن هناك ما يؤثر على الدوافع من العوامل المحيطة بالطفل ، فالجائزة مثلا نوع من التأثير الإيجابى ، والعقوبة نوع من التأثير السلبى . ونحن بوصفنا مربين يجب علينا أن ندرس الطفل دراسة واسعة لمعرفة ما يؤثر عليه فى وقت معين ، وأن نصنف وسائل معاملته حتى نعرف ما يريده وما لا يريده ، ومدى تأثير هذه الوسائل عليه .

ولـكن هناك ما هو أهم من تلك الوسائل الصناعية ، هناك الاعتماد على رغبة الطفل فى العمل ، فهى أقوى وأعظم من الاعتماد على الثواب

www.ibtesamah.com/vb

والعقاب إن رغبة الطفل فى العمل تعتبر عاملا دائما يشوقه إلى الدرس والتحصيل ، بينما الوسائل الأخرى لا تستمر طويلا فهى وسائل ذات أثر مؤقت ، وقد يحدث فى بعض الأحيان أن تؤدى إلى نتائج سلبية ، كأن يتعود الطفل ألا يعمل بدونها ، أو أن عدم حصوله على المكافأة يؤدى به إلى كراهية العمل .

والمبرر الوحيد للعقوبة ، هو أن يمنع الطفل من عمل شيء يضره أو يضر الآخرين ، ولكن نتائج العقوبة تكون سيئة فى كثير من الأحيان ، ومن ذلك أن الطفل يحاول أن يتستر على جريمته . ويتخذ الحيطة حينما يرتكب أخطاءه حتى لا يضبطه الكبار ، ولكنه لا يقلع عن ارتكاب هذه الأخطاء .

ومما تؤدى إليه العقوبة كذلك كراهية الطفل للكبار ، وقد تكون النتيجة أسوأ من ذلك فقد تؤدى إلى شعوره بالخوف ، وتسيطر عليه هذه الحالة فى جميع أدوار حياته . وتجعله ثائر الأعصاب ، مضطرباً ، قلقا ، بطيء التفكير : نهباً للوساوس والمتاعب والآلام .

الدافع والتعلم :

إن الدافع شرط من شروط التعلم الذى يسهله ويسر تحقيقه ، وهناك علاقة كبيرة بين الدافع والتعلم ، فهو يؤثر فيه . ولا يوجد فى الواقع تعلم دون أن يكون مصحوباً بدافع ما .

والدوافع كما بينا سابقا متعددة ، ونحن لانميل إلى تحديدها فى عدد معين ؛ والدوافع فى الواقع يمكن أن نقول عنها من حيث العدد ، إنها تختلف باختلاف الأهداف التى يرمى إليها الإنسان فى حياته .

والذى يعنينا الآن ، هو أن نبحث عن العلاقة بين الدوافع وعملية التعلم ، ومدى تأثير هذه الظاهرة النفسية فى اكتساب الخبرات الجديدة .

www.ibtesamah.com/vb

ونحن فى هذا المجال لايهمنا أن نعرف أى الدوافع فطرى وأيها مكتسب ؟ ولكن الذى يعنينا هو أن نبين إلى أى حد ، كيف نستفيد من دراستنا للدوافع ونحن نعالج مشكلة من المشاكل ، وكيف نكيف المادة التى نعرضها على التعلم فى شكل يتفق مع ميوله واستعداداته . بمعنى أننا نقوم بعملية توافق وانسجام بين المادة (وهى موضوع التعلم) وبين الدوافع الداخلية التى تدفع الإنسان إلى السلوك .

ومن أجل ذلك يجب على المربين أن يعنوا عناية فائقة باختيار الموضوعات التى تتفق وميول التلاميذ وحاجاتهم المختلفة .

وليست المسألة قاصرة على كون الموضوعات متفقة مع ميول التلاميذ فحسب ، بل يجب أن تكون وسيلة إلى حل المشكلات التى تعترض حياتهم

ومن غير شك إذا كانت هذه الموضوعات التى يتعلمونها متصلة تماماً بميولهم ، وبما يتعرضون له من مشاكل ، فإن هذا يعطى المادة التى يدرسونها روحا جديدة وحيوية ويخرجها من الروح التقليدية الجامدة .

والفرق بين التعليم التقليدى والتعليم الذى يقوم على دراسة مشكلات الطفولة وما ترتبط به من الميول ، راجع فى أساسه إلى أن النوع الثانى من التعلم قائم على ربط الدوافع بهذه العملية والاستفادة منها فى هذه الناحية بينما النوع الأول يهمل الاستفادة من دوافع الأطفال .

ومن أجل هذا كان التعلم الذى يعتمد على ما لدى الأطفال من قوى دافعة ، ويستغل هذه القوى الاستغلال الحسن ، يعطى نتائج سريعة ويكون أقوى وأعمق وأبقى أثراً من التعلم التقليدى الذى يهمل استغلال ما لدى الطفل من دوافع .

وأحب أن أبين هنا أنه من قصر النظر أن تعمل المدرسة على تغذية ميول الطفل الحاضرة فقط ، بل يجب فى الوقت ذاته أن تكون لديه ميولا واتجاهات جديدة ، وأن تجعله يشعر دواما بأنه فى حالة نقص ،

www.ibtesamah.com/vb

وهذا الشعور بالنقص يستثيره دائما إلى استكماله عن طريق البحث الذى يؤدى إلى اكتساب خبرات جديدة .

وإن أى تعلم يقوم على ميول الفرد ورغائبه ودوافعه ، من شأنه أن يعطى خبرات الطفل قيمة ومعنى ، وإن الدراسة التى تقوم على أساس من الخبرات ، تؤدى كما يقول « جون ديوى » الى اكتساب خبرات جديدة . وإن أى نشاط له اتصال بخبرات الطفل سيساعده حتما على اكتساب خبرات جديدة ، ويفتح أمامه آفاقا جديدة تشجعه على القيام بنماذج مختلفة من السلوك ، وكل هذا وسيلة تساعد على نمو الطفل من النواحى العقلية والانفعالية والاجتماعية .

فمثلا تعمل المدرسة على أن يمضى التلاميذ أوقات فراغهم فى عمل نماذج للطائرات من الخشب . وهذا مدعاة إلى أن يتكون لدى هؤلاء الأطفال ميل نحو هذا العمل يؤثر فى سلوكهم ، ويدفعهم فى حياتهم المستقبلة إلى العمل فى مصانع الطائرات أو احتراف مهنة الطيران . وهذا دليل واضح يبين لنا كيف أن الاستفادة من ميول الأطفال فى التعلم تؤدى إلى أن يتأثر الفرد بميله المبكر فى احتراف صناعة معينة .

وتتحدد الاستفادة من دراستنا للدوافع فى الأمور الآتية :

(ا) فهى تنشط السلوك فإذا كانت الموضوعات التى نتعلمها ترمى إلى إشباع حاجة من حاجات الفرد ، ففى العادة أن أثر التعلم لا يزول بزوال المثير .

(ب) وهى تحدد نوع السلوك ؛ فإن ربط التعلم بالدوافع والميول فيه تحديد لاستجابات الفرد فى مواقف معينة ، بمعنى أن الناس فى بعض المواقف تختلف استجاباتهم الواحد عن الآخر .

وأحيانا تهدينا معرفة الدوافع لدى شخص ما وخاصة الدوافع المكتسبة إلى أن نتنبأ بسلوك الفرد . فالشخص الذى يميل إلى الناحية الجمالية نجده عند ما يقرأ صحيفة ما ، يلفت نظره دائما المسائل التى تتصل

www.ibtesamah.com/vb

بالفنون . ونجد هذا الشخص يعنى عناية فائقة بملبسه وعند ما نطلب منه أن يصدر حكما على شخص ما ، فإنه يضع الصفات الجمالية ومدى تقدير الشخص للقيم الفنية موضع التقدير والاعتبار .

والدوافع التى يكتسبها الفرد لها أثر كبير فى اتجاهاته وميوله . وذلك يظهر بصورة واضحة عندما نسأل ثلاثة أفراد لهم ميولهم المختلفة عن رأيهم فى محاضرة استمعوا إليها ، فإنهم يحكمون عليها حسب ميولهم وخبراتهم السابقة .

(حـ) تهدف إلى تحقيق أغراض معينة . وكلما كان الغرض واضحا فى ذهن المتعلم ، وكلما كان تحقيق الغرض سهلا ، كان التعلم ميسورا ، والعكس بالعكس .

والخلاصة أن الدوافع شرط مهم من شروط التعلم . والدوافع التى لها قيمة فى عملية التعلم تشمل ميول الفرد واتجاهاته وحاجاته وأغراضه، وأنها تنشط السلوك كما أنها تحدد نوعه . (make it selective)(*)،وتهدف به إلى تحقيق أغراض معينة .

ويكون التعلم قوى الأثر عندما يتضمن سلوكا أو نشاطا يرمى إلى إشباع حاجات الفرد وتحقيق أهدافه الهامة .

إن التربية يجب ألا تكون قاصرة على ميول وأغراض الطفل الحاضرة ، بل يجب أن تكون هذه الميول وسيلة لاكتساب ميول أخرى جديدة ، ومن ثم يجب أن تكون وظيفة التربية ، هى العمل على اكتساب الفرد دوافع جديدة عن طريق الخبرة والتعلم .

(*) Gates ond others : Educational Psychology New York. 1924, P. 320.

www.ibtesamah.com/vb

فهرس الكتاب

الفصل الأول

عرض تاريخى

الصفحة

السلوك ومعناه ١٥

السلوك الكتلى والجزئى . . . . . ١٥ — ١٦

النظريات التى تفسر السلوك ١٦

المدرسة السلوكية ١٦

نظرية الغرائز . . . . . ١٧ — ١٨

رأى مدرسة التحليل النفسى ١٩

نظرية (البورت) فى تفسير السلوك . . . . . ٢٠ — ٢١

تفسير السلوك وعلاقة ذلك بنظرية المجال النفسى . . . . ٢٢ — ٢٢

الفصل الثانى

سيكلوجية الدافع

نقد لنظرية الغرائز . . . . . ٣٠ — ٣٢

معنى الدافع . . . . . ٣٣ — ٣٤

السلوك الذى يصدر عن دافع والسلوك الآلى . . . . ٣٤ — ٣٦

الدافع والطاقة ٣٧ ٣٨

الفصل الثالث

تقسيم الدافع

الدوافع الأولية والثانوية ٤١

تقسيم آخر للدوافع (دوافع عضوية ودوافع شخصية) . . . ٤١

www.ibtesamah.com/vb

الصفحة

الدوافع الأولية ٤٢
معنى الدوافع الأولية ٤٢
مظاهر الدافع الأولى . . . . . ٤٣ — ٤٤
قوة الدوافع الأولية . . . . . ٤٥ — ٤٦
النضوج العضوى والتعبير عن الدافع . . . . . ٤٧ — ٤٨
الدوافع الثانوية . . . . . ٤٩ — ٥٤
أمثلة من الدوافع الثانوية ٥٥
الميل إلى الإجتماع . . . . . ٥٥ — ٥٨
التقليد ٥٩
التقليد البسيط ٥٩
تقليد يعتمد على القياس ٦٠
النقل أو النسخ ٦٢
الاستهواء . . . . . ٦٣ — ٦٤
بعض النواحى التطبيقية للاستهواء ٦٥
المشاركة الوجدانية . . . . . ٦٧ — ٧٠
التملك . . . . . ٧٠ — ٧٣
دراسة لدافع التملك بين جماعات الشيلوك ٧١
تأكيد الذات . . . . . ٧٣ — ٧٥
الميل إلى العدوان . . . . . ٧٥ — ٧٨

الفصل الرابع

الانفعالات

معنى الانفعال ٨٢
تطور النمو الإنفعالى ٨٤
المظاهر الفسيولوجية فى الانفعال . . . . . ٨٨ — ٩١

www.ibtesamah.com/vb

الصفحة

الانفعال والدافع ٩٢
متى يعد الانفعال دافعا ؟ . . . . . ٩٣ — ٩٤

الفصل الخامس

العواطف

معنى العاطفة ٩٧
كيف تتكون العواطف ٩٨
بعض العوامل التى تصحب تكوين العاطفة ١٠٠
التكرار ١٠١
الايحاء والتقليد ١٠٢
الاقتران ١٠٢
أنواع العواطف ١٠٢
عاطفة اعتبار الذات . . . . . ١٠٣ — ١٠٥
عواطف نحو موضوعات جمعية ١٠٦
عواطف نحو موضوعات مجردة ١٠٧
العاطفة السائدة ١٠٨
أهمية دراسة العواطف . . . . . ١١٥ — ١١٦
عاطفة اعتبار الذات ١١٧
بعض العوامل التى تنمى عاطفة اعتبار الذات ١١٨
بعض العوامل التى تحد من عاطفة اعتبار الذات . . . ١١٨
العواطف نحو الفضائل . . . . . ١١٩ — ١٢٠
دراسة لبعض العواطف بين جماعات الشيلوك بجنوب السودان . ١٢١ — ١٣٦
عاطفة الزوجية بين جماعات الشيلوك . . . . . ١٢١ - ١٢٤
توريث الزوجة . . . . . ١٢٥ — ١٢٦
تعدد الزوجات . . . . . ١٢٧ — ١٣٠
التنازل عن الزوجات ١٣١

www.ibtesamah.com/vb

الصفحة

إتخاذ الزواج وسيلة للحصول على المال ١٣١
عاطفة الأمومة بين جماعات الشيلوك . . . . . ١٣٢ — ١٣٤
عاطفة الأبوة بين جماعات الشيلوك . . . . . ١٣٥ — ١٣٦

الفصل السادس

الصراع بين الدوافع

مصادر الصراع . . . . . ١٣٩ — ١٤٠
تحليل الصراع الشعورى . . . . . ١٤١ — ١٤٢
تحليل الصراع اللاشعورى ١٤٣
تكوين الجهاز النفسى ١٤٣
الانا ١٤٤
الهو ١٤٥
العلاقة بين « الانا » « والهو » ٢٤٦
الانا الأعلى ١٤٧
الصراع بين « الانا » « والهو » . . . . . ١٤٨ — ١٤٩
الصراع بين الأنا الاعلى « والأنا » ١٥٠
نتائج مباشرة للصراع ١٥١

الفصل السابع

الحيل اللاشعورية كوسيلة

مؤقتة لإنهاء الصراع

تمهيد ١٥٥
التوافق المعقول . . . . . ١٥٥ — ١٥٦
الحيل الدفاعية ١٥٧
التبرير ١٥٨

www.ibtesamah.com/vb

الصفحة

الأسقاط ١٦٠
التقمص ١٦٢
انعدام الترابط ١٦٣
الحركات القسرية ١٦٤
الاكثار من التفكير النظرى ١٦٥
الكبت ١٦٦
الابدال ١٦٨

الفصل الثامن

المرض النفسى والعقلى

وسيلة ثابتة من وسائل التعبير عن الدوافع اللاشعورية

تمهيد ١٧٣
المفهوم العام لمعنى المرض النفسى (العصاب) ١٧٤
الفرق بين العصاب والذهان ١٧٥
تصنيف الاستجابات الشاذة ١٧٦
الوساوس المتسلطة ١٧٧ ١٧٨
دراسة لحالة من حالات الوساوس . . . . . ١٧٩ — ١٨٠
النيوراستنيا ١٨١
مثال لحالة من حالات النيوراستنيا ١٨٤
الهستيريا ١٨٥
أعراض مرض الهستيريا ١٨٦
الاعراض الثانوية لمرض الهستيريا ١٨٧
فقدان الشهية ١٨٧
فقدان القدرة على تذكر الخبرات الماضية ١٨٨
السلوك السيكوباتى ١٨٩

www.ibtesamah.com/vb

الصفحة

السيكوزوفرنيا . . . . . ١٩٣ — ١٩٦
الجنون الدورى . . . . . ١٩٦ — ١٩٩

خاتمـــة

الدوافع فى التربية

الدوافع فى التربية . . . . . ٢٠٣ — ٢٠٥
الدافع وعامل السرور ٢٠٥
الدافع والحاجة إلى التقدير ٢٠٦
الدافع والرغبة فى التغلب على العراقيل ٢٠٦
الثواب والعقاب وعلاقتها بالدفع . . . . . ٢٠٦ — ٢٠٧
الدافع والتعلم . . . . . ٢٠٧ — ٢١٠

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل ٢٠١٨

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة
** شهر إبريل 2018 **
www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

www.ibtesamah.com/vb

دار مصر للطباعة
٣٧ (أ) شارع كامل صدقي الفجالة

www.liilsorrab.com/vb

www.ibtesamah.com/vb